

علوم الأخوة

في هذا العدد :

- علاقات الاقتران في الجملة العربية.
- الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين.
- واو الربط ووظائفها ودلالاتها.
- أداة العطف (بل و) في العربية.
- مكانة كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ.

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة
كتاب دوري

مكتبة الاسكندرية

١٩٩٨

العدد الرابع

المجلد الأول

رئيس التحرير

د. د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

مدير التحرير

د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

نائب رئيس التحرير

د. د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

د. د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

المستشارون العلميون

د. د. جوزيف ديشى (ليون ٢) د. د. عبده على الراجحي (الاسكندرية)

د. د. حسن حمزة (ليون ٢) د. د. كمال محمد بشر (القاهرة)

د. د. حمزة المزيلى (الرياض) د. د. مائتورد فويدخ (أمستردام)

د. د. رليف جورج خورى (ميدلبرج) د. د. محمد عونى عبد الرؤوف (عين شمس)

د. د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة) د. د. محمود الطناحى (حلوان)

د. د. فولفديترش فيشر (ارلانجن) د. د. مصطفى مندور (بنها)

الناشر

دار غريب

القاهرة

علوم اللغة
دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة
كتاب دورى

مج ١ ، ٤٤ ، ١٩٩٨

© حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابي من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهاً مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
٨٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهاً مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
٢٠ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ض ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

| البحوث: | الصفحة |
|--|--------|
| علاقات الاقتران في الجملة العربية | ٩ |
| د. محمد رجب محمد الوزير | |
| الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين | ٥٣ |
| د. محمد عبد الوهاب شحاته | |
| واو الربط وظائفها ودلالاتها | ١٥١ |
| د. محمد عبد الرحمن محمد الريحاني | |
| أداة العطف (بل و) في العربية | ٢٤٨ |
| د. عباس السوسوة | |
| مكانة كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ | ٢٧٦ |
| د. مجدى إبراهيم يوسف | |

تقديم

هذه سلسلة جديدة من البحوث المتخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العربية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثيق علمى دقيق . ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق .

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق الكامل وتقديم الفكرة مدعمة ومدققة فيها . ولهذا نفضل أن يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت أنه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . وتجد ملاحظات المحكمين صدق طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوباً إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلمية المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم اللغة ، يدين بالفكرة - من حيث الشكل - إلى زملاء أعزاء سبقوا فأصدروا من قبل دراسات عربية وإسلامية ، و زملاء بادروا إلى نشر كتب دورية تضم بحوثا علمية محكمة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجعل للناشرين الجادين مكانا فى النشر العلمى التخصصى ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة . وكل ما يتفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعق الجاد الذى يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار أربعة أعداد فى كل سنة ، وتعهد إلى أحد كبار الأساتذة فى علوم اللغة بالإشراف على عدد أو أكثر ، حرصا على تنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

والأمل كبير فى أن تكون هذه السلسلة الفصلية محققة لجانب من أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتواصل العلمى وتبادل الراى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية .

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر .
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

علاقات الاقتران فى الجملة العربية

دراسة فى الفكر النحوى

والدراسات اللغوية الحديثة

د. محمد رجب محمد الوزير

مقدمة البحث :

مجال هذا البحث هو علاقات الاقتران فى الجملة العربية دراسة فى الفكر النحوى والدراسات اللغوية الحديثة . ويقصد بالاقتران هنا : التلازم بين مفرد نحوى ومفرد نحوى آخر أو أكثر ، أو بين مفرد نحوى وجملة ، أو بين مركب ومفرد أو بين أسلوب وآخر أو أكثر ، أو بين جملة فرعية وأخرى رئيسة فى موقع واحد أو وظيفة أو حُكْم أو معنى أو غير ذلك .

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها أول دراسة جمعت علاقات الاقتران على المستويين : التطبيقى متمثلاً فى المحور الأول الخاص بدراسة علاقة الاقتران فى الجملة العربية ، والنظرى متمثلاً فى المحور الآخر الخاص بدراسة علاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى ومقابلة هذا الفكر بالاتجاهات اللغوية الحديثة ، خاصة عند العلماء الأوربيين الذين قاموا بدراسة العربية .

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلى :

* أجزى هذا البحث بعد تحكيمه فى أغسطس ١٩٩٦ .

أولاً : بيان أنواع العلاقات التى تربط صور الاقتران فى الجملة العربية وفى الفكر النحوى العربى .

ثانياً : توضيح صور الاقتران التى تربطها كل علاقة وتحليل مكونات تلك الصور .

ثالثاً : دراسة أهم القضايا التى تتعلق ببعض العلاقات .

رابعاً : مقابلة الفكر النحوى العربى فى مجال علاقات الاقتران بالاتجاهات اللغوية الحديثة عند العلماء العرب والأوروبيين الذين قاموا بدراسة العربية .

مادة هذا البحث على المستوى التطبيقى نصوص من القرآن الكريم ، وعلى المستوى النظرى آراء النحاة العرب وجهودهم ، على اختلاف المدارس النحوية التى يتبعونها ، جمعت من المظان التالية : الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) والأصول لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، ومشكل إعراب القرآن للقيسى (ت ٤٣٧ هـ) ومنتور الفوائد لابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) ، وشرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، وشرح التسهيل لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، وشرح الكافية للرضى (ت ٦٨٦ هـ) ، والجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى (ت ٧٤٩ هـ) ، وشرح شذور الذهب ومغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) ، والأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى (ت ٩١١ هـ) .

إلى جانب الجهود التى بذلها النحاة العرب فى توضيح أجزاء صور الاقتران ، كان للعلماء العرب والأوروبيين دور فى إبراز إحدى علاقات الاقتران مثل الدكتور تمام حسان الذى خصَّ علاقة « التلازم » فى الجملة العربية

بالدراسة فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، او إيراد أجزاء من صور الاقتران أمثال : روكن وكارل بروكلمان ورايت ونولدكه وفولفديترش قيشر .

أفاد الباحثُ من الجهود التى بذلها النحاة العرب والعلماء المحدثون من العرب والأوربيين فى مجال علاقات الاقتران فى العربية وفى الفكر النحوى وأضاف إليها الأبعاد التالية :

أولاً : إضافة مكونات أخرى جديدة إلى مكونات صور التلام التى ذكرها الدكتور تمام حسان فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، وكذلك إضافة تسع صور جديدة إلى الصور التى ذكرها والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ذكرت جميعاً فى البحث .

ثانياً : القيام بدراسة الصورة السادسة عشرة من صور التلام فى الجملة ، تلك الصورة الخاصة بالتلام بين همزة التسوية و « أم » ؛ وتحليلها وإبداء رأى فيها للباحث لم يطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمه .

ثالثاً : حصر العلاقات التى تربط صور الاقتران فى الفكر النحوى العربى فى خمسة أنواع ، وكذلك حصر هذه الصور ومكوناتها ودراساتها وتحليلها .

رابعاً : مقابلة الفكر النحوى العربى فى مجال بعض علاقات الاقتران بالاتجاهات اللغوية الحديثة عند العلماء العرب والأوربيين الذين قاموا بدراسة العربية .

خامساً : طرح بعض القضايا التى تتعلق بعلاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى ودراساتها وتحليلها وإبداء رأى الباحث فيها ، مثل قضية مدى مشابهة الفعل المضارع الاسم ومشابهة الفعل الماضى الاسم .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحليلي لدراسة علاقات الاقتران في الجملة العربية على عدة أسس توضح في النقاط التالية :

(١) ترتب علاقات الاقتران في البحث كالتالى : العلاقات المتعلقة باللفظ فالعلاقة المتعلقة بالمعنى ، فالعلاقة المتعلقة بالخصائص المشتركة بينهما .

(٢) تندرج تحت كل علاقة صور الاقتران التى تربطها هذه العلاقة ، كما تندرج تحت كل صورة منها أجزاؤها البسيطة ، من مفردات نحوية ، أو مركبات أو جمل أو أساليب .

(٣) ترد غالباً صور الاقتران طبقاً لنظام الانماط التالية :

اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر ، فاقتران مفرد نحوى بمفردين آخرين ، فاقتران مفرد بثلاثة مفردات . . وهكذا وفى أحيان قليلة يرد العكس حسب طبيعة صورة الاقتران ؛ فيرد اقتران ثلاثة مفردات نحوية بمفرد نحوى مثلاً . ويطبق نظام ورود هذه الانماط الخاصة بصور اقتران المفرد أيضاً على صور اقتران المركب والجملة والأسلوب .

(٤) تُرتب أجزاء كل صورة ، من مفردات أو مركبات أو جمل أو أساليب ترتيباً ألفبائياً .

(٥) تذكر أجزاء صور الاقتران من مفردات نحوية أو غيرها بإيجاز فى المتن ثم تفصل بالهامش ويشار إلى ذلك .

(٦) يراعى فى دراسة المحور الخاص بعلاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى أن يمثل فيها برأى جمهور النحاة وبآراء نحاة يتمون إلى مدارس نحوية متنوعة ، فيرد ، على سبيل المثال ، رأى الخليل بن أحمد وسيبويه وهما

من المدرسة البصرية ، والفراء من الكوفية ، وابن جنى من البغدادية
والقاسم بن أحمد اللورقي وابن مالك من الأندلسية ، وابن هشام
الأنصاري والسيوطي من المصرية .

(٧) إذا وردت صورة اقتران مفرد نحوى بآخر مثلاً فى فكر أحد النحاة أو
مدرسة نحوية أو مجموعة من النحاة يهتمون إلى مدارس مختلفة ، أشير
إلى ذلك وإلى الراى المخالف إن وُجد .

(٨) إذا ورد فى البحث رآى للباحث فى إحدى القضايا اتى بأدلة على إثبات
رأيه من الاستعمال اللغوى ومن آراء النحاة .

وتقسم دراسة علاقات الاقتران فى البحث إلى محورين :

الأول : علاقة الاقتران فى الجملة العربية .

الآخر : علاقات الاقتران فى الفكر النحوى .

وبيان هذين المحورين بالتفصيل كما يلى :

المحور الأول : علاقة الاقتران فى الجملة العربية :

يقصد بالاقتران فى الجملة العربية « تلامر مفرد نحوى ومفرد نحوى آخر أو مفرد نحوى وجملة أو جملة فرعية وأخرى رئيسة فى الجملة العربية الواحدة » .

وتورد فيما يلى صور التلامر فى الجملة كما ذكرها دكتور تمام حسان^(١) ويضيف الباحث إلى بعض مكونات هذه الصور مكونات أخرى ، كما يضيف أيضاً تسع صور جديدة إلى الصور التى ذكرها دكتور تمام حسان والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ، ثم يقوم بدراسة الصورة السادسة عشرة الخاصة بالتلامر بين همزة التسوية و«ام» وتحليلها وإبداء رأيه فيها :

- (١) تلامر الموصول وصلته .
- (٢) تطلب كلا وكلتا مضافاً إليه معرفة مثنى .
- (٣) تطلب العائد مرجعاً .
- (٤) التلامر بين حرف الجر ومجروره .
- (٥) التلامر بين المبهم وتمييزه .
- (٦) التلامر بين واو الحال وجملة الحال .
- (٧) التلامر بين حرف العطف والمعطوف .
- (٨) التلامر بين النواصب والجوازم والفعل المضارع .
- (٩) التلامر بين الجواب الذى لا يصلح شرطاً والحرف الرابط .
- (١٠) التلامر بين الفعل والفاعل .
- (١١) التلامر بين المضاف والمضاف إليه .
- (١٢) التلامر بين المبتدأ والخبر .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها (بتصرف) : ٢١٧ - ٢٢٠ .

- (١٣) التلازم بين الموصوف وصفته .
- (١٤) الأدوات التى تتطلب الاسماء كليتها ، وإذا الفجائية وإن وأخواتها والنواسخ الأخرى الداخلة على الجملة الاسمية .
- ويضيف الباحث إلى هذه الأدوات : واو المعية ، وأداة الاستثناء «إلا» التى تقع فى كلام تام موجب أو تام غير موجب ، وهاء التنبيه التى تصحب اسم الإشارة المجرد من كاف الخطاب ، وأدوات النداء ، وأدوات القسم .
- (١٥) الأدوات التى تتطلب الأفعال كإن ولو ولولا ولوما وإلا وهلاً . ويضيف الباحث إليها الأداة «قد» .
- (١٦) التلازم بين همزة التسوية و «أم» .
- (١٧) التلازم بين همزة التعيين و «أم» .
- (١٨) التلازم بين الجمل الفرعية والجمل الرئيسة .
- ويضيف الباحث إلى الصور السابقة تسع صور جديدة ، هى :
- (١٩) التلازم بين واو «رُبَّ» ومجرورها .
- (٢٠) التلازم بين البدل والمبدل منه .
- (٢١) التلازم بين التوكيد والمؤكد .
- (٢٢) التلازم بين عطف البيان ومتبوعه .
- (٢٣) التلازم بين المعطوف والمعطوف عليه .
- (٢٤) التلازم بين بينما (أو بينما) . والجملة الاسمية .
- (٢٥) التلازم بين الحال وصاحبها .
- (٢٦) التلازم بين جملة القسم وجملة جوابه .
- (٢٧) التلازم بين تاء القسم أو لامة والمقسم به لفظ «الله» .

دراسة التلازم بين همزة التسوية و «ام» :

تقع همزة التسوية متلوّة بحرف العطف «ام» دائماً فى جملة خبرية مثل قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ ^(١) .

وتحلل هذه الآية إعرابيا لدى النحاة على النحو التالى :

سواء : خبر مقدم مرفوع .

عليهم : جار ومجرور متعلق بسواء .

الهمزة : همزة التسوية .

أنذرتهم : الجملة من الفعل والفاعل حلّت محل مصدر مؤول بالصريح (الإنذار) مبتدأ مؤخر مرفوع ، وهم : مفعول به .

ام : حرف عطف .

لم تنذرهـم : الجملة من الفعل المضارع المنفى والفاعل المستتر حلت محل مصدر مؤول بالصريح (عدم الإنذار) معطوف على المبتدأ (المصدر المؤول) ، وهم : مفعول به .

يرى سيبويه ^(٢) (ت ١٨٠ هـ) أن همزة التسوية أصلها همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام الحقيقى إلى معنى التسوية . وتابع سيبويه فى رأيه هذا كل من ابن يعيش ^(٣) (ت ٦٤٣ هـ) ، وابن هشام

(١) سورة البقرة ، الآية ٦ .

(٢) ذكر سيبويه (فى كتابه : ٢/ ٢٣١) أن التسوية أجرت ما ليس باستخبار ولا استفهام على حرف الاستفهام لأنك تسوى فيه كما تسوى فى الاستفهام . التسوية أجرته على حرف الاستفهام .

(٣) قال ابن يعيش (فى شرح الفصل : ١٧/٢) : « وقد أجرت العرب أشياء اختصوها على طريقة النداء لاشتراكهما فى الاختصاص فاستعير لفظ أحدهما للآخر من حيث شاركه فى الاختصاص كما أجروا التسوية مجرى الاستفهام ، إذ كانت التسوية موجودة فى الاستفهام وذلك قولك : أريد عندك أم -

الأنصاري^(١) (ت ٧٦١ هـ) ، والسيوطي^(٢) (ت ٩١١ هـ) .

ويرى الباحث أن همزة التسوية ليست في الأصل همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام إلى معنى التسوية ، كما قال سيويه ومن تبعه من النحاة ، بل هي همزة « أن » المصدرية وقد حذفت نونُها وبقيت همزتها . واستند الباحث في رأيه هذا إلى عدة أمور :

الأول : أن الجملة التي تقع فيها همزة التسوية خبرية وليست إنشائية حتى نشبُها بالجملة التي تقع فيها همزة الاستفهام المعنية عن « أَى » في مثل :
أريدُ عندك أم عمرو ؟

الثاني : أن حذف النون من « أن » قد يكون لطول الجملة التي تقع فيها أو يكون حذفُها اعتباطاً كما يحدث لبعض الكلمات التي تشتمل على النون في العربية^(٣) .

« عمرو ؟ وأريد أفضل أم خالد ؟ . فالشيئان اللذان نسأل عنهما قد استوى علمك فيهما . ثم تقول : ما أبالي أقمّت أم قعدت و « سواء عليهم أأنزلتهم أم لم نُنزلهم » فانت غير مستفهم ، وإن كان بلفظ الاستفهام لتشاركهما في معنى التسوية » .

(١) أوضح ابن هشام الأنصاري (في معنى اللبيب : ١٧/١) أنَّ الهمزة قد تخرج « عن الاستفهام الحقيقى ، فتزد لثمانية معانٍ : أحدها : التسوية » .

(٢) أشار السيوطي (في الأشباه والنظائر : ٨/٤) أن همزة التسوية في مثل : سواء هل أقمّت أم قعدت « قد خُلِعَ منها معنى الاستفهام » .

(٣) يرى سيويه (في كتابه : ١٨٦/١) أن النون « حذفتها كما حذفتها من اللَّئِن واللَّيْن حيث طال الكلام ... وقال الأخطل (في ديوانه : ٤٤) :

أَبَسَى كَلْبٍ إِنْ عَمِيَ السِّلْسِلَا سَلَبَا الْمُلُوكَ وَلَمَّكَ الْأَغْلَالَا

وذكر السيوطي (في الأشباه والنظائر : ٦١٩/١ ، ٦٢٠) أن « النون تشابه حروف المد واللين من ستة عشر وجهاً : ... الثالث : أن الجارم قد يحذف في (لم يكُ) كما يحذف الواو والياء والألف ... أن النون قد تحذف اعتباطاً عينا ولا ما في مثله ولدن ... السابغ : أنها قد تحذف للطول » .

الثالث : أن اقتطاع الهمزة من الحرف « أن » مع بقاء دلالتها على المعنى الأصلي قبل الاقتطاع ، وهو المصدرية ، أمر له نظائر في العربية ، مثل ذلك السبب الدالة على المستقبل فإنها ، على الأرجح ، مقتطعة من « سوف » ودالة على معناها ^(١) ، وكذلك الحروف الناسخة : « إن » و « أن » و « كأن » و « لكن » ، فإنها قد ترد مخففة من الثقيلة مع بقاء دلالاتها على معانيها الأصلية قبل التخفيف .

الرابع : أن المبتدأ المؤخر - طبقاً لرأى الباحث - فى مثل قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ ^(٢) هو المصدر المكوّن من (أن) التى حذفت نونها والفعل الماضى ^(٣) « أنذر » ، وهو مصدر مؤول بالصريح

= إضافة إلى ذلك فإنّ النون قد تحذف من كلمة يُؤمنُ (الله) ، يقول الجوهري (فى الصحاح : مادة : ي م ن) : « يُؤْمِنُ (الله) : اسم وضع للقسم وهو جمع يمين ولم تجسّ فى الاسماء الف وصل مفتوحة غيرها . وربما حذفوا منه النون فقالوا : « (يَمِ) الله ، بفتح الهمزة وكسرها » .

(١) قال ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٢٥ / ١) : « جاء عن العرب : سف افعل ، وسو افعل ، وسى افعل ومن أغربهن ، حكاهما صاحب المحكم . واتفقوا على أن أصل سف وسو وسى « سوف » ، ووعموا أن السين أصل برأسها غير مفرقة عن سوف ، ولكنها منها » .

وذكر المرادى (فى الجنى الدانى : ٥٩ ، ٦٠) أن « السين عند البصريين حرف مستقل ، وقد ذهب الكوفيون إلى أنها مقتطعة من « سوف » كما قالوا : سووسى وسف واختاره ابن مالك ، قال : لأنه أبعد عن التكلف ، ولأنهم أجمعوا على أن هذه الثلاثة فروع « سوف » ، فلتكن السين كذلك » .

وقد أيد مذهب الكوفيين وابن مالك كل من رايت وبروكلمان ، فيرى وليم رايت Wright, W. (فى كتابه : 18 - 19 , 8 (C), A grammar of the arabic language II) أنه « لكى نعبّر عن الاستنبالية بصورة أكثر وضوحاً فإننا نستعمل الظرف « سوف » وشكله المختصر « س » الذى يوضع فى نهاية الأمر بوصفه بادئة للفعل » ، ويرى كارل بروكلمان Brockelmann, Carl (فى كتابه : Arabische Grammatik, 86 (g), s. S. 115) أن « الحرف « س » مقتطع من سوف وأنه يعطى الفعل المضارع معنى الاستقبال الحقيق » .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ .

(٣) تدخل « أن » المصدرية على الفعل الماضى فى العربية مثلما تدخل على المضارع ، وفى ذلك يقول رضى الدين الاسترابادى (فى شرح كافية ابن الحاجب : ٢٣٤ / ٢) : « إن (أن) التى ليست بعد -

(إنذار) مرفوع . والخبر المقدم هو « سواء » .

أما المعطوف بأَمْ على المبتدا (المصدر المؤول بالصريح) فأرى أيضاً أنه مصدر مؤول بالصريح حُذِفَ منه الحرف المصدرى لطول الجملة . وقد ورد هذا المعطوف ، فيما قرأت من نصوص ، على ثلاثة أنماط :

النمط الأول : « أَنْ » حرف مصدرى محذوف + فعل ماض .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَوَّيْنَاهُ ﴾ ^(١) .

ف (أَنْ) المصدرية المحذوفة والفعل الماضى (صَبَرَ) مصدر مؤول بالصريح (صَبَرْنَا) مرفوع معطوف على المبتدا المصدر المؤول بالصريح (جزعنا) .

النمط الثانى : (أَنَّ) المصدرية واسمها محذوفان + جملة فعلية فعلها مضارع منفى فى محل رفع خبر « أَنَّ » المحذوفة .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ ^(٢) .

ف (أَنَّ) المصدرية واسمها محذوفان ، والجملة من الفعل المنفى والفاعل المستتر (لم تنذر) فى محل رفع خبر أَنَّ المحذوفة . وَأَنَّ واسمها وخبرها مصدر مؤول بالصريح ^(٣) (عدم إنذارك) مرفوع معطوف على المبتدا المصدر المؤول بالصريح (إنذارك) .

العلم ولا ما يؤدي معناه وما لا يؤدي معنى القول ولا بعد الظن فهى مصدرية لاغير سواء كانت بعد فعل الترقب كحببت وطمعت ورجوت وأردت أو بعد غيره من الأفعال كقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ ﴾ (الشعراء : ١٩٧) وأعجبني أن قُمْتُ ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ﴾ (الأعراف : ٨٢) .

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ ، وينظر أيضاً : سورة الشعراء : الآية ١٣٦ ، سورة يس : الآية ١٠ ، وسورة المنافقون : الآية ٦ .

(٣) قال ابن هشام (فى معنى اللبيب : ١ / ٤٠) بأن (أَنَّ) « موصول حرفى مؤول مع معموليه بالمصدر » .

النمط الثالث : (أن) المخففة من الثقيلة واسمها محذوفان + جملة اسمية فى محل رفع خبر أن .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ^(١) .

فـ (أن) المخففة من الثقيلة المصدرية ^(٢) واسمها محذوفان ، وخبرها الجملة الاسمية (أنتم صامتون) فى محل رفع . والمصدر من « أن » واسمها وخبرها مؤول بالصريح (صَمْتَكُمْ) مرفوع معطوف بأم على مبتدأ المصدر المؤول بالصريح (دعوتكم) .

وأظن أن إعراب هذه الآيات فى الأنماط الثلاثة على هذا النحو يتفق وميل النحاة العرب إلى جعل المبتدأ هو المصدر المؤول بالصريح ، ولكن لم يستطيعوا تحديده فى الموقع بالضبط ، فاختلفوا فى ذلك ؛ فمنهم من رأى أن الفعل بعد همزة التسوية يقع موقع المصدر ^(٣) ، ومنهم من رأى أن الجملة بعدها حلت محل المصدر ^(٤) .

هذا ولم يقف الباحث حتى الآن على رأى قال بأن همزة التسوية هى همزة (أن) المصدرية وقد حذف نونها ، وأن المعطوف بأم مصدر مؤول حذف منه الحرف المصدرى .

* * *

(١) سورة الاحراف : الآية ١٩٣ .

(٢) ذكر ابن هشام (فى معنى اللبيب : ٣١/١) أن (أن) المخففة من الثقيلة « مصدرية » .

(٣) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ١٦/٣) : « قد يقع الفعل موقع المصدر فى ... قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتُمْ ﴾ والمراد الإنذار وعدم الإنذار » .

(٤) يقول ابن هشام (فى معنى اللبيب : ١٧/١) فى همزة التسوية : « والضابط : أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها ، نحو : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (المتالفون : ٦) ونحو : « مَا أَبَالَى أَقَمْتُ أَمْ قَدَدْتُ » ألا ترى أنه يصح : سواء عليهم الاستغفار وعَدَمُهُ ، وما أبالَى بقيامك وعدمه » .

المحور الآخر : علاقات الاقتران في الفكر النحوي :

إن اقتران مفرد نحوي بمفرد نحوي آخر أو أكثر أو بجملته أو بغير ذلك في الفكر النحوي العربي تربطه خمسة أنواع من العلاقات التي يذكرها الباحث فيما يلي ثم يوضحها بالتفصيل ثم يقوم بدراسة أهم القضايا التي ترتبط بكل منها على حدة .

العلاقة الأولى : ردُّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية .

العلاقة الثانية : إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال .

العلاقة الثالثة : المشابهة في العمل .

العلاقة الرابعة : إفادة معنى واحد .

العلاقة الخامسة : الاشتراك في بعض الخصائص .

وبيان هذه العلاقات بالتفصيل ودراسة أهم القضايا التي ترتبط بكل منها كما يلي :

العلاقة الأولى : ردُّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية :

تربط هذه العلاقة ثلاث صور من صور الاقتران في الفكر النحوي ، توضح فيما يلي ثم تدرس قضية علاقة رد المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية بين الفكر النحوي العربي والفكر اللغوي الحديث .

الصورة الأولى : اقتران مفرد نحوي بمفرد نحوي آخر في ردِّ الأول إلى الآخر في الأصل . من ذلك :

(١) اقتران « إذن » بأصله : « إذ » ^(١) .

(١) يقول رضى الدين الاستراباذي (في شرح الكافية : ٢ / ٢٣٥) : « الذى يلوح لى لى (إذن) ويغلب =

(٢) اقتران الحروف المخففة من الشثيلة « إن » و « أن » و « كان » و « لكن » و « رُب » بأصولها ، وهى : « إن » (خلافا للكوفيين) ، و « أن » و « كان » و « لكن » ^(١) و « رُب » ^(٢) .

(٣) اقتران السين بأصله : « سوف » عند الكوفيين وابن مالك مخالفين فى ذلك رأى البصريين ^(٣) .

(٤) اقتران الظرف المخفف من الثقيل « قَطُ » بأصله : « قَطُّ » ^(٤) .

(٥) اقتران اسم الاستفهام « كَيْ » بأصله « كَيْفَ » ^(٥) .

(٦) اقتران الظرف « لد » بأصله : « لدن » ^(٦) .

= فى ظنى أن أصله (إذ) حذفت الجملة المضاف إليها وهوض منها التنوين لما قصد جعله صالحا لجميع الأزمنة الثلاثة بعدما كان مختصا بالماضى .

(١) ينظر : معنى اللبيب : ٣٧/١ ، ٤٠ ، ٢٩٢ وشرح شذور الذهب : ٢٨٤ لابن هشام الأنصارى .
(٢) يقول ابن السراج (فى الأصول فى النحو : ٤١٨/١) : « وفى رب لغات : رُب ، ورُبُّ يا هذا . ومن النحويين من يقول : لو سكنت جاز : ورُبَّت » . وينظر : معنى اللبيب لابن هشام : ٣٣٦/١ .

(٣) ابن مالك : شرح التسهيل : ٢٥/١ ، والمرادى : الجنى الثاني : ٥٩ ، ٦٠ .
(٤) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ١٢٥/٢) : « ويُنَى (قَطُّ) على الضم حملا على أخيه (هوض) . وهذه أشهر لغاته أعنى مفتوح القاف مضموما الطاء المشددة . وقد يخفف الطاء فى هذه ، وقد يضم القاف إتباعا لضمه الطاء المشددة أو المخففة كمنذ . وقد جاء قط ساكنة الطاء مثل قط الذى هو اسم فعل » .

(٥) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ١١٠/٤) : « وفى كيف لغتان ، قالوا : كيف وكى » ويذكر ابن هشام (فى معنى اللبيب : ٢٠٤/١) أن كيف « يقال فيها كى » كما يقال فى سَوَف « سَرُ » .
(٦) أوضح الرضى (فى شرح الكافية : ١٢٣/٢) أن « لدن مثل : عصف ، ساكنة النون ، هى المشهورة ، ومعناها أول غاية زمان أو مكان ، نحو : لدن صباح و ﴿ من لدن حكيم ﴾ وقلما تفارقها من ... وقد جاء « لد » بحذف نون لدن التى هى أم الجميع وأشهر اللغات » .

(٧) اقتران « مذ » بأصله : « منذ »^(١) .

الصورة الثانية : اقتران مفرد نحوى بمفردين نحويين فى ردّ هذا المفرد إليهما فى الأصل . من ذلك :

(١) اقتران « إذ ما » بأصله : « إذ » و « ما » عند سيويه^(٢) .

(٢) اقتران « أمّا » بأصله : « أن » و « ما » عند الكوفيين^(٣) .

(٣) اقتران « إمّا » بأصله : « إن » و « ما » عند الخليل بن أحمد^(٤) .

(٤) اقتران (بلى) بأصله : « بَلْ » والالف الزائدة (أو التى للتانيث)^(٥) .

(٥) اقتران « بينا » بأصله : بين والالف الزائدة^(٦) .

(١) ينظر الخصائص لابن جنى : ٣٤٤/٢ ، وشرح الكافية للرضى : ١١٧/٢ ، والأشباه والنظائر للسيوطى : ٦٠٩/١ .

(٢) ذكر سيويه (فى كتابه : ٥٩/٣ ، ٦٠) أن (مهما) قد تكون مركبة من (مَ ما) « كإذ ضمّ إليهما ما » . إن ما جاء فى كتاب سيويه من أن (إذ ما) مركبة بنفى ما ذكره الرضى (فى شرح الكافية : ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤) حين نسب رأى سيويه السابق للمبرد ، يقول الرضى : « وأما (إذ ما) فهو عند سيويه حرف ... فإذا ما عنده غير مركبة ... قال المبرد : إذ ما باقية على اسميتها وما كاسنة لها من طلب الإضافة مهية للشرط والجزم كما فى حيث فإنها صارت بما بمعنى المستقبل وجازمة » .

(٣) الرضى : شرح الكافية : ٣٩٧/٢ .

(٤) يقول سيويه (فى كتابه : ٥٩/٣) : « وسألت الخليل عن مهْمَا فقال : هى ما أدخلت معها ما لغوا ، بمنزلتها مع متى إذا قلت : متى ما تأتى أتك ، وبمنزلتها مع إن إذا قلت : إن ما تأتى أتك » .
إن ما جاء فى كتاب سيويه من نسبة الرأى القائل بأن (إمّا) مركبة من إن وما للخليل بن أحمد ينفى ما ذكره ابن هشام الانصارى (فى مفنى اللبيب : ٥٩/١) حين نسب رأى الخليل السابق لسيويه ، يقول ابن هشام : « (إمّا) المكسورة المشددة ... هى مركبة عند سيويه من إن وما » .

(٥) ابن هشام : مفنى اللبيب : ١١٣/١ .

(٦) ابن جنى : سر صناعة الإعراب : ٢٧/١ .

- (٦) اقتران « بينما » بأصله : بين وما الزائدة ^(١) .
- (٧) اقتران « حيثما » بأصله : حيث وما ^(٢) .
- (٨) اقتران « ربّما » بأصله : ربّ وما ^(٣) .
- (٩) اقتران « كأنّ » بأصله : كاف التشبيه و « إنّ » ^(٤) .
- (١٠) اقتران « كأيّ » بأصله : كاف التشبيه وأيّ المنونة ^(٥) .
- (١١) اقتران « كذا » بأصله : كاف التشبيه واسم الإشارة « ذا » ^(٦) .
- (١٢) اقتران « كلّاً » بأصله : كاف التشبيه ولا النافية عند ثعلب ^(٧) .
- (١٣) اقتران « كلّما » بأصله : كل وما المصدرية (أو ما التي تكون اسماً نكرة بمعنى وقت) ^(٨) .
- (١٤) اقتران « كما » بأصله : كاف التشبيه وما الكافة عند ابن مالك ^(٩) .

-
- (١) ابن الأنباري : مشور الفوائد (المسألة ١٥١) : ٣٦٠ .
- (٢) الرضي : شرح الكافية : ٢٥٤ / ٢ .
- (٣) ابن السراج : الأصول في النحو : ٤١٩ / ١ ، ٢٣٤ / ٢ .
- (٤) ذكر ابن هشام (في معنى اليب : ١٩١ / ١) أن « الأصل في » كأنّ ريداً أسد « إن ريداً كاسد ، ثم قُدّم حرف التشبيه اهتماماً به ، ففتحت همزة « أنّ » لدخول الجار عليه » .
- (٥) ينظر : الكتاب نفسه : ١٨٦ / ١ .
- (٦) ينظر : الكتاب نفسه : ص ١٨٧ / ١ .
- (٧) أشار ابن هشام (في معنى اليب : ١٨٨ / ١) أن « (كلّاً) مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية ، قال : وإنما شُدّتْ لأنها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين وعند غيره هي بسيطة » .
- (٨) ينظر الكتاب نفسه : ٢٠١ / ١ .
- (٩) يقول ابن مالك (في شرح التسهيل : ١٧٣ / ٣ ، ١٧٤) : « ومحدث « ما » الكافة في الكاف معنى التعليل كقوله تعالى : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ (البقرة : ١٩٨) . . . وزعم الفارسي أن الأصل كيما وحذفت الياء ، وهذا تكلف لا دليل عليه ولا حاجة إليه » .

- (١٥) اقتران « لات » بأصله : لا النافية وتاء التانيث ^(١) .
- (١٦) اقتران « لن » بأصله : لا وأن عند الخليل بن أحمد والكسائي ^(٢) .
- (١٧) اقتران « ليتما » بأصله : ليت والحرف « ما » ^(٣) ، وكذلك اقتران « إن » وبقية أخواتها حين تلحقها « ما » بأصولها .
- (١٨) اقتران « منذ » بأصله : من وذو عند الفراء ، على حين يرى بعض الكوفيين والرضى أن « منذ » مركبة من : « من » و « إذ » ^(٤) .
- (١٩) اقتران « مهما » بأصله : ما وما عند الخليل بن أحمد ، وخالفه في رأيه هذا سيبويه ، فأجاز أن تكون مهما مركبة من مة وما ^(٥) .
- الصورة الثالثة : اقتران مفرد نحوي بثلاثة مفردات نحوية في ردّ هذا المفرد إلى تلك المفردات . من ذلك :

(١) ينظر : شرح الكافية للرضى : ٢٧١ / ١ .

(٢) ينظر : معنى اللبيب لابن هشام : ٢٨٤ / ١ .

(٣) ينظر : الكتاب نفسه : ٢٨٦ / ١ .

(٤) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ١١٨ / ٢ ، ١١٩) : « قال الفراء : منذ مركبة من (مسن) و (ذو) . . . وقال بعض الكوفيين : أصل (منذ) من إذ فركبا وضم الدال للساكين . . . فنقول إنهم أرادوا ابتداء غاية للزمان خاصة فأدخلوا لفظ (من) الذى هو مشهور فى ابتداء الغاية وركبوه مع (إذ) الذى هو للزمان الماضى ، وإنما حملنا على ارتكاب تركيبه من الكلمتين وجود معنى الابتداء والوقت الماضى فى جميع مواقع (منذ) كما يجىء ، وهما معنى من وإذ فقلب على الظن تركبه منهما مع مناسبة لفظه للفظهما . . . فنقول : حذف لأجل التركيب همزة إذ بقى منذ بنون وذال ساكنين وحق إذ أن يضاف إلى الجمل والإضافة إليها كلا إضافة . . . فضموا الدال لما أحوجوا إلى تحريكها للساكين » .

(٥) يقول سيبويه (فى كتابه : ٥٩ / ٣ ، ٦٠) : « سألت الخليل عن (مهما) فقال : هى « ما » أدخلت معها « بما » لغو . . . ولكنهم استجبوا أن يكرّروا لفظا واحدا فيقولوا : ماما ، فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى . وقد يجوز أن يكون مة كإذ ضم إليها ما » .

(١) اقتران « إيان » بأصله : أى وأو وأن عند الأندلسي^(١) (القاسم بن أحمد البلورقي ت ٦٦٠ هـ^(٢)) .

(٢) اقتران « لكن » بأصله : لا وإن والكاف الزائدة عند الكوفيين ما عدا الفراء^(٣) .

علاقة ردّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث :

اتضح من دراسة العلاقة الخاصة بردّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية مدى الاهتمام الكبير من جانب الفكر النحوى العربى لهذه القضية ؛ فقد انشغل بها معظم النحاة العرب على اختلاف مناحيهم ومدارسهم وعصورهم وتناولوها بالدراسة فى ثنايا الموضوعات والأبواب النحوية المختلفة .

فإذا ما تناولنا فى المقابل الفكر اللغوى الحديث ، خاصة عند العلماء الأوربيين الذين اهتموا بدراسة العربية وقواعدها ، وجدنا لهذا الفكر اتجاهات ثلاثة تحدد مدى اهتمام هذا الفكر بقضية ردّ المفردات إلى أصولها من عدمه كما تحدد كيفية تناول القضية عند بعض العلماء الأوربيين والقيمة العلمية التى أضافوها . وفيما يلى بيان بهذه الاتجاهات :

الاتجاه الأول : وهو الاتجاه الغالب ، لم يتناول قضية ردّ المفردات النحوية إلى أصولها بالدراسة أو الإشارة بل اهتم بدراسة قضايا أخرى مثل

(١) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ١١٦/٢) فى أصل (إيان) : « قال الأندلسي : ينبغي أن يكون أصلها (أى أو أن) فحذفت الهمزة مع الياء الأخيرة فبقى (أيوان) فادغم بعد القلب » .

(٢) ينظر : بنية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : ٢٥٠ / ٢ .

(٣) يقول ابن هشام (فى منتهى اللبيب : ٢٩١/١) فى أصل لكن : « والبصريون على أنها بسيطة ، وقال الفراء : أصلها (لكن أن) ، فطرحت الهمزة للتخفيف ، ونون لكن لساكنين ... وقال باقى الكوفيين : مركبة من : لا وإن والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذلت الهمزة تخفيفا » .

معاني هذه المفردات ومواضعها في الجمل . ويمثل هذا الاتجاه كل من :
أوجست فيشر^(١) ، وهنزأير^(٢) ونولدكه^(٣) وديتز^(٤) .

الاتجاه الثاني : تناول قضية ردّ المفردات النحوية إلى أصولها بالدراسة قليلاً ، غير أنه أضاف قيمة علمية جديدة إليها . ويمثل هذا الاتجاه روكن وكارل بروكلمان :

يرى روكن أن « الفعل (ليس) أصله حرف النفي (لا) والاسم المستعمل نادراً في العربية (أيس) ، وهو المقابل للاسم **أيس** في العبرية^(٥) »^(٦) .

FISCHER, A.: Zwei Beiträge zur arabischen Grammatik. In : Zeitschrift der (١)
Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 63. In kommission bei F.A.
Brockhaus, Leipzig 1909, s.S. 597-603.

WEHR, HANS : Zur Funktion arabischer Negationen. In : Zeitschrift der (٢)
Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 103. Kommissionsverlag
Franz Steiner GMBH, Wiesbaden 1953, s.S. 27-39.

NÖLDEKE, THEODOR : Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : (٣)
Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

DENZ, ADOLF : Die Struktur des klassischen Arabisch. In : Grundriss der (٤)
arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von
Wolfdietrich Fischer. Dr. Luwig Reichert Verlag. Wiesbaden 1982. S. 58-82.

SOCIN, A.: Arabische Grammatik, Verlag von Reuther und Reichard, Berlin (٥)
1894, § 50, S. 45.

(٦) ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (في كتابه : فصول في فقه العربية ؛ ٤٨) أن « كلمة «ليس» في العربية ، يمثلها التحاة العرب ، فعلاً جامداً لا يتصرف ، من إختوات : « كان » . غير أننا إذا نظرنا إلى ما يقابلها ، في اللغات السامية الأخرى ، عرفنا أنها مركبة من (لا) . وكلمة : (أيس) ، التي لا وجود لها الآن في اللغة العربية ، إلا في بعض التعبيرات القديمة ، كقول العرب : « اتسنى به من حيث أيس وليس » ومعناه : من حيث هو ولا هو ، وكذلك في قولهم : « الأيس والليس » ، بمعنى : الوجود والعدم . وهذه الكلمة تقابل في العربية : (يش) yēs بمعنى : يوجد ، ونفيها : -

وهذا الرأي الذى تناول أصل « ليس » تفرد به روكن فيما يظن الباحث .

علاوة على ذلك ذكر روكن فى مواضع أخرى قليلة من كتابه بعض آراء النحاة العرب فى قضية علاقة رد المفردات النحوية (السين ، والأ ولثلا ولن) إلى أصولها دون تحديد أسماء هؤلاء النحاة ^(١) .

أما كارل بروكلمان فقد رأى أن « بعض حروف الجر والظروف نشأت من حروف نفى . لقد حدث هذا فى اللغة العربية مع الحرف « بَلَّه » ^(٢) الذى يبدو أنه مشابه للحرفين الأصليين (بل ، وبلى) ، على حين ظلت نهايته (الهاء المفتوحة) غامضة ^(٣) » .

وهذا الرأي الذى تناول أصل « بله » تفرد به كارل بروكلمان فيما يظن الباحث .

علاوة على ذلك ذكر بروكلمان فى مواضع أخرى قليلة بعض آراء النحاة العرب أيضاً فى قضية رد المفردات النحوية (لن ، ونعمًا ^(١) والسين ^(٢)) إلى أصولها دون تحديد أسماء هؤلاء النحاة .

= (ألْ يَشْ) = al yēs - ليس . وكذلك فى الآشورية : (إِشُو) ʾišu ونفيها : (لَشُو) ʾlassu ، ومكداً

وينظر أيضاً كتابه : فى قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية : ٢١٢ .

(١) SOGIN, A.: Arabische Grammatik, s.S. 88, 92, 94.

(٢) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٧٠ / ٢) : « بَلَّه أى دَعَّ ويستعمل مصدرًا واسم فعل كما ذكرنا ، فيقال : بله زيد بالإضافة إلى المفعول كترك زيد ، وبله زيد كدع زيداً . وحكى أبو على عن الأخفش أنه يحكى بمعنى كيف ، فيرفع ما بعده ... وذكر الأخفش فى باب الاستثناء فى قوله * أعطيتهم الجهد منى بله ما أسع * أن بله حرف جر كمداً وخلا بمعنى سوى » .

(٣) BROCKELMANN, CARL : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, II, § 264, S. 426.

(٤) الكتاب نفسه : ج ٢ / ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٥) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, s.S. 115.

الاتجاه الثالث : تناول قضية ردّ المفردات النحوية إلى أصولها بكثرة ، وحافظ على آراء النحاة العرب في ذلك . وكان تناوله إياها عبارة عن مجموعة من الملاحظات تختتم بها الفقرات .
ويمثل هذا الاتجاه فولفديترش فيشر ^(١) .

العلاقة الثانية : إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال :

تربط هذه العلاقة أربع صور من صور الاقتران في الفكر النحوي ، توضح فيما يلي :

الصورة الاولى : اقتران مفرد نحوي بمفرد نحوي آخر تربطهما علاقة إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال . من ذلك :

(١) اقتران « أن » بـ « إن » في إمكان شغل أى منهما موقعاً واحداً هو أول الجملة الشرطية ، وذلك عند الكوفيين وابن هشام الانصاري ^(٢) .

(٢) اقتران الظرف بالجار والمجرور في إمكان شغل أى منهما عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك :

(١) أنهما يقعان : صفة وحالاً وصلة وخبراً ^(٣) ، ويطلق على كل واحد منهما « شبه الجملة » .

FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch : s.S. 29, (١)
142, 146, 148, 150, 151, 152, 155, 157, 159, 160.

(٢) يقول ابن هشام (في معنى اللب : ٣٥/١) : « وقد ذكر لأن أربعة آخر : أحدها : الشرطية كأن المكسورة ، وإليه ذهب الكوفيون ، ويرجمه عندي أمور :

أحدها توارد المفتوحة والمكسورة على الحل الواحد ، والأصل التوافق ، فقرأه بالوجهين قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُلْ إِحْدَاهُمَا ﴾ (البقرة : ٢٨٢) ... الثاني : مجئ الفاء بعدها كثيراً ...
الثالث : حطفاً على إن المكسورة .

(٣) ينظر : معنى اللب لابن هشام : ٤٤٥/٢ .

(ب) أن يفصل بهما الفعلُ الناقص من معموله ، وفعلُ التعجب من المتعجب منه وبين الحرف الناسخ ومنسوخه وبين الاستفهام والقول الجارى مجرى الظن ، وبين المضاف وحرف الجر ومجرورهما وبين إذَنْ وَلَنْ ومنصوبيهما (١) .

(ج) أنهما يقدمان خبرين على الاسم فى باب إنَّ ، ومعمولين فى باب ما ومعمولين لصلة ال فى قول ، وعلى الفعل المنفى ، وعلى إن معمولا لخبرها ، وعلى العامل المعنوى (٢) .

(٣) اقتران النفس بالعين فى إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال ، وهو وظيفة التوكيد المعنوى « الذى يقصد به رفع توهم السامع أن التكلم حذف مضافا وأقام المضاف إليه مقامه ، نحو : قتل العدو زيد نفسه (٣) » .

الصورة الثانية : اقتران ثلاثة مفردات نحوية بمفرد واحد . وتربط هذه المفردات الأربعة علاقة إمكان شغل أى منها عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك :

اقتران أسماء الشرط الثلاثة : مَنْ ، وما ، وأيّهم باسم الموصول «الذى» فى إمكان شغل أى منها المواقع التالية : المبتدأ والمفعول به ، والمفعول الثانى واسم إنَّ واسم كان وأخواتها ، فحملت أسماء الشرط هنا على الموصولة فلهذا لم تحزم الأفعال (٤) .

(١) ينظر : معنى اليب لابن هشام : ٦٩٣/٢ .

(٢) ينظر : الكتاب نفسه : ٦٩٣/٢ ، ٦٩٤ .

(٣) ابن مالك : شرح التسهيل : ٢٨٩/٣ .

(٤) يقول سيبويه (فى كتابه : ٦٩/٣ ، ٧١) : « هذا باب الأسماء التى يجازى بها وتكون بمنزلة الذى ، وتلك الأسماء : مَنْ ، وما ، وأيّهم . فإذا جعلتها بمنزلة الذى ، قلت : ما تقول أقول ، فيصيرُ تقولُ =

الصورة الثالثة : اقتران مركَّب بمفرد تربطهما علاقة إمكان شغل عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك : اقتران المركب المكون من (أن) المصدرية والفعل بالمصدر في إمكان شغل أى منهما عدة مواقع ، منها : ^(١) **المتبداً** والمفعول به ، والفاعل .

الصورة الرابعة : اقتران أسلوب بأسلوب أو أسلوبين وتربط هذه الأساليب علاقة إمكان شغل أحدهما موقعين أو أكثر عن طريق الإحلال . من ذلك :

(١) اقتران النفى بالاستفهام في إمكان شغل أحدهما موقعين عن طريق الإحلال . وبيان هذين الموقعين كما يلي :

الاول : وقوع النفى أو الاستفهام قبل المتبداً النكرة ، فيكون ذلك من مسوغات الابتداء بها ، لحصول الفائدة ، فمثال النكرة « التالية استفهاما : أرجل في الدار ؟ » ، ومثال التالية نفياً : ما رجل في الدار ^(٢) » .

الآخر : وقوع النفى أو الاستفهام قبل اسم الفاعل المجرد عن ال والإضافة ، فيكون ذلك من شروط عمله عمل الفعل المضارع ، نحو : « أضرابُ زيدٍ عمرًا ، وما ضاربُ زيدٍ عمرًا ^(٣) » .

* صلة لما حتى تكمل اسما ، فكانك قلت : الذى تقول أقول . وكذلك : مَنْ يأتينى آتبه وأيتها تشاء أعطيك ... إن مَنْ يأتينى آتبه ، وكان مَنْ يأتينى آتبه ، وليس مَنْ يأتينى آتبه .

(١) يقول سيويه (فى كتابه : ١٥٣/٣) : « هذا باب من أبواب إن التى تكون والفعل بمزلة المصدر ، تقول : إن تاتينى خير لك ، كائنك قلت : الإتيان خير لك . ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن تصوموا خير لكم ﴾ (البقرة : ١٨٤) ، يعنى الصوم خير لكم » .

(٢) ابن مالك : شرح الشهاب : ١ / ٢٩٣ .

(٣) ينظر : شرح الكافية للرضى : ١٩٩/٢ ، ٢٠٠ .

(٢) اقتران النفي بالنهي فى إمكان شغل أحدهما ثلاثة مواقع عن طريق الإحلال . وبيان هذه المواقع كما يلى :

الاول : وقوع النفي أو النهى قبل « أو » ، فتفيد معنى الإضراب كبل عند سيويه ^(١) .

الثانى : وقوع أحدهما قبل « بل » فتفيد معنى الإضراب ^(٢) .

الثالث : وقوع أحدهما قبل « لكن » فتصبح عاطفة إن وليها مفرد ، مثل : « ما قام زيد لكن عمرو ، ولا يقيم زيد لكن عمرو » ^(٣) .

(٣) اقتران النفي بالنهي والاستفهام (بهل) فى إمكان شغل أحد هذه الأساليب موقعين عن طريق الإحلال ، ويكون الموقع الاول فى أول الجملة التى تحتوى على (من) الزائدة ، ويعد ذلك شرطاً لزيادتها ^(٤) ، والموقع الآخر قبل صاحب الحال النكرة ، فيكون ذلك من مسوغات مجيئه نكرة .

(١) ذكر ابن هشام (فى معنى اللبيب : ٦٤/١) المعنى السادس لحرف العطف (أو) ، وهو « الإضراب كبلٌ فمن سيويه إجازة ذلك بشرطين : تقدم نفي أو نهى ، وإعادة الصامل ، نحو : « ما قام زيد أو ما قام عمرو » ، « لا يقيم زيد أو لا يقيم عمرو » ، ونقله ابن عصفور ، ويؤيده أنه قال فى « ولا تطلع مِنْهُمْ أَسْمًا أَوْ كَفُورًا » (الإنسان : ٢٤) ولو قلت أو لاتطلع كفورا انقلب المعنى ، يعنى أنه يصير إضراباً عن النهى الاول ونهياً عن الثانى فقط . وقال الكوفيون وأبو على وأبو الفتح وابن برهان : ثأنى للإضراب مطلقاً .

(٢) أوضح ابن هشام (فى معنى اللبيب : ١١٢/١) أن (بل) « إن تقدمها نفي أو نهى فهى لتقرير ما قبلها على حاله ، وجعل ضده لما بعده ، نحو : « ما قام زيد بل عمرو » و « لا يقيم زيد بل عمرو » .

(٣) الكتاب نفسه : ٢٩٢/١ وشرح شلور اللهب : ٤٤٧ .

(٤) ذكر ابن هشام (فى معنى اللبيب : ٣٢٢/١ ، ٣٢٣) وجهين من أوجه استعمالات الحرف من ، وهما : « الوجه الرابع عشر : التخصيص على العموم ، وهى الزائدة فى نحو : ما جاءنى من رجلٍ ... (و) الوجه الخامس عشر : تأكيد العموم ، وهى الزائدة فى نحو : ما جاءنى من أحد ... وشرط زيادتها فى النوعين ثلاثة أمور : أحدها : تقدم نفي أو نهى أو استفهام بهل ... والثانى : تكثير مجرورها ، والثالث : كونه فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ .

العلاقة الثالثة : المشابهة فى العمل :

تربط هذه العلاقة صورتين من صور الاقتران فى الفكر النحوى ،
بوضوحان فيما يلى :

الصورة الاولى : اقتران مفرد نحوى بمنسرد نحوى آخر تربطهما علاقة
المشابهة فى العمل ، من ذلك :

- (١) اقتران (لا) بـ (إنَّ) فى نصب الاسم ^(١) .
- (٢) اقتران (لا) بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر ^(٢) .
- (٣) اقتران (لات) بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر ^(٣) .
- (٤) اقتران حرف النفى (لأ) بـ (لم) فى جزم المضارع ^(٤) .

(١) يقول ابن إياز (فى الأشباه والنظائر للسيوطى : ٥٥٣/١) : « لما كانت (لا) فرعاً فى العمل عن (إنَّ) ومثيبتها بها وجب أن تنحط عنها ، فلذلك اشترط فى إعمالها شروط : كتكثير معمولها وعدم فصلها ... إلخ » .

(٢) ينظر : معنى اليب لابن هشام : ٢٣٧/١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) يقول سيويه (فى كتابه : ٥٧/١) : « وأما أهل الحجاز فيشبهونها (أى ما) بليس إذ معناها كمنعها ، كما شبهوا بها لات فى بعض المواضع ، وذلك مع الحين خاصة ، لأنكون لات إلا مع الحين ، تُضْمَرُ فيها مرفوعاً وتنصب الحين ، ولأنه مفعول به (أى لأنه شبه بالمفعول) ، ولم يُكُنْ تَمَكَّنْها ، ولم تستعمل إلا مضمراً فيها ، لأنها ليست كليس فى المخاطبة والإخبار عن غائب ، تقول : لست [ولست] وليسوا ، وعبد الله ليس ذامياً ، فتبنى على الابتداء وتُضْمَرُ فيه ، ولا يكون هذا فى لات ، لا تقول : عبد الله لات مطلقاً ، ولا قومك لأتوا مطلقين » .

وينظر أيضاً : معنى اليب لابن هشام : ٢٥٣/١ ، ٢٥٤ .

(٤) ذكر ابن هشام (فى معنى اليب : ٢٧٨/١) أن « لأ » على ثلاثة أوجه : أحدها أنها تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقبله ماضياً كَلَمْ » .

(٥) اقتران (ما) النافية بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر عند أهل الحجاز^(١) .

(٦) اقتران اسم الفاعل بالفعل المضارع المبني للمعلوم فى رفع الفاعل ونصب المفعول^(٢) .

(٧) اقتران اسم المفعول بالفعل المبني للمجهول فى رفع نائب الفاعل ونصب المفعول الثانى^(٣) .

(٨) اقتران اسم التفضيل إذا لم تصحبه (من) بالفعل فى رفع الفاعل^(٤) .

(١) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٥٥٢/١) قول أبى الحسين بن أبى ربيع فى شروط إعمال ما الحجازية عمل ليس ، بقول : « إنما لم تعمل (ما) عمل ليس مطلقاً بل بالشروط المعروفة ، وهى أن يكون الخبر مؤخرًا وإن يكون متبياً ، وإن لا يقع بعد ما (أن) ، فإن (أن) تكف ما عن العمل كما تكف ما إن عن العمل » .

(٢) يقول سيويه (فى كتابه : ١٦٤/١) : « هذا باب من اسم الفاعل الذى جرى مجرى الفعل المضارع فى المفعول فى المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت فى يفعل كان نكرة متونا ، وذلك قولك : هذا ضاربٌ زيدًا غداً فمعناه وعمله مثل : هذا يضربُ زيدًا غداً ، وتقول : هذا ضاربٌ عبد الله الساعة ، فمعناه وعمله مثل : هذا يضربُ زيدًا الساعة » ، ويقول ابن السراج (فى الأصول : ٥٢/١) : « وإنما أعملوا اسم الفاعل لما ضارع الفعل وصار الفعل سبباً له وشاركه فى المعنى وإن اختلفا فى الزمان ، كما أعربوا الفعل لما ضارع الاسم فكما أعربوا هذا أعملوا ذلك » .

(٣) يقول سيويه (فى كتابه : ١٠٨/١ ، ١٠٩) « هذا باب ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما تجرى فى غيره مجرى الفعل ، وذلك قولك : أزيداً أنت ضاربُهُ وأزيداً أنت ضاربٌ له ، وأعمرًا أنت مكرمٌ أخاه ، وأزيداً أنت نازلٌ عليه ، كأنك قلت : أنت ضاربٌ ، وأنت مكرمٌ وأنت نازلٌ ، كما كان ذلك فى الفعل ، لأنه يجرى مجراه ويعمل فى المعرفة كلها والنكرة مقدماً ومؤخراً ، ومظهرًا ومضمراً... وكذلك جميع هذا ، فمفعولٌ مثلُ يفعلٌ ، وفاعلٌ مثلُ يفعلٌ » .

(٤) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٥١٤/١) أن « أصل العمل للفعل ثم لما قويت مشابهته له وهو اسم الفاعل واسم المفعول ثم لما شبه بهما من طريق التشبيه والجمع والتذكير والتأنيث وهى الصفة المشبهة ، وأما الفعل التفضيل : فإنه إذا صحبته من ، امتنعت منه هذه الأحكام فيبعد لذلك عن شبه الفعل ، فلذلك لم يعمل فى الظاهر » .

- (٩) اقتران المصدر بالفعل فى رفع الفاعل ونصب المفعول ^(١) .
- (١٠) اقتران الصفة المشبهة باسم الفاعل فى رفع الفاعل ^(٢) ولكن بشروط ^(٣) .
- (١١) اقتران الاسم المنسوب بالصفة المشبهة فى رفع الفاعل ^(٤) .

الصورة الأخرى : اقتران خمسة مفردات نحوية بمفرد نحوى تربطها به علاقة المشابهة فى العمل ، من ذلك :

- اقتران الحروف الناسخة (إن ، ولكن ، وليت ، ولعل ، وكان) بالفعل فى نصب الاسم ^(٥) .

(١) ينظر : الأصول لابن السراج : ٥٢/١ .

(٢) يقول سيويه (فى كتابه : ١٩٤/١) : « هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه ، ولم تقوَ أن تحصل حَمَلُ الفاعل (أى اسم الفاعل) ، وإنما شَبِهَتْ بالفاعل فيما عملت فيه . وما تَعَمَلُ فيه معلوم ، إنما تعمل فيما كان من سببها مَعْرُوفًا بالالف واللام أو نكرة ، لا تَجَارِزُ هذا ؛ لأنه ليس بفعل ولا اسم هو فى معناه ، والإضافة فيه أحسن وأكثر ؛ لأنه ليس كما جرى مجرى الفعل ولا فى معناه » .

(٣) ذكر السيوطى (فى الأشياء والنظائر : ٤٦٣/٢) شروط إعمال الصفة المشبهة ، فيقول : « الأول : أنها لاتعمل إلا فى السبب دون الأجنى ، نحو : زيدٌ حسنٌ وجهه ، ولا يجوز : حسنٌ وجهٌ عمرو ، كما يجوز ضاربٌ وجهٌ عمرو لقصصاتها من مرتبة اسم الفاعل . والثانى : لا يتقدم معمولها عليها ، فلا يقال : زيدٌ وجهها حسن ، كما يقال : زيدٌ عمرًا ضاربٌ ... الثالث : أنها لا توجد إلا ثابتة فى الحال ... بخلاف اسم الفاعل ، فإنه يدل على ما يدل عليه الفعل ، ويستعمل فى الأزمنة الثلاثة » .

(٤) يقول سيويه (فى كتابه : ٣٦/٢) : « أَقْرَسَى قَوْمُكَ وَالْقَرَسَى أَبَوَاكَ ، إذا أردتَ الصفة جرى مجرى حَسَنٌ وَكَرِيمٌ » .

(٥) يقول سيويه (فى كتابه : ١٣١/٢) : « هذا باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده ... وكذلك هذه الحروف ، متزكيات من الأفعال . وهى : إن ، ولكن ، وليت ولعل ، وكان . وذلك قولك : إن زيدا مطلق ، وإن عمرا مسافر ، وإن زيدا أخوك ، وكذلك أخواتها . وزعم الخليل أنها عَمِلَتْ عَمَلَيْنِ : الرفع والنصب ، كما عملت كان الرفع والنصب حين قلت : كان أخاك زيدا . إلا أنه ليس لك أن تقول : كان أخوك عبد الله ، تريد كأن عبد الله أخوك ، لأنها لاتصَرَّفُ تصَرَّفُ الأفعال ، ولا يُضَمَرُ فيها المرفوع كما يُضَمَرُ فى كان » .

العلاقة الرابعة : إفادة معنى واحد :

تربط هذه العلاقة صورتين من صور الاقتران في الفكر النحوى يَوْضَحَان فيما يلى ثم تدرس قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة معنى التوكيد بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث :

الصورة الاولى : اقتران مفرد نحوى بمفرد آخر فى إفادتهما معنى واحد .
من ذلك :

(١) اقتران (إلاً) بـ (لكن) فى إفادتهما معنى الاستدراك نحو قوله تعالى :
﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾^(١) أى : ولكن من رَحِمَ^(٢) .

(٢) اقتران (أياًن) بـ (متى) فى إفادة معنى الظرفية الزمانية والإبهام^(٣) .

(٣) اقتران حرف الجر (حتى) بـ (إلى) فى إفادة معنى الغاية^(٤) .

(١) سورة هود الآية : ٤٣ .

(٢) يقول سيبويه (فى كتابه : ٣٢٥/٢ ، ٣٢٦) : « هنا باب ما يكون إلا على معنى (ولكن) ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أى ولكن من رحم . وقوله عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسَّسُ لِمَا آمَنُوا ﴾ (يونس : ٩٨) . وهذا الضرب فى القرآن كثير ، ومن ذلك من الكلام : لا تكونن من فلان فى شئ إلا سلاماً بسلام ومثل ذلك أيضاً من الكلام فيما حدثنا أبو الخطاب : ما راد إلا ما نقص وما نفع إلا ما ضر . فما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النقصان والضرر . . . كانه قال : ولكنه ضرر ، وقال : ولكنه نقص . »

(٣) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ١٠٦/٤) : « وأما (أياًن) فظرف من ظروف الزمان مبهم بمعنى (متى) . والفرق بينها وبين (متى) أن (متى) لكثرة استعمالها صارت أظهر من أياًن فى الزمان . ووجه آخر من الفرق أن (متى) يستعمل فى كل زمان و (أياًن) لا يستعمل إلا فيما يراد تفخيم أمره وتعليقه نحو قوله تعالى : ﴿ أَيْأَنُ مُرْسَاكُمْ ﴾ (الاعراف : ١٨٧) . »

(٤) ينظر الأشباه والنظائر للسيوطى : ٤٤٦/٢ .

- (٤) اقتران (رُبَّ) بـ (كم) الحبرية « فى إفادة التكثير »^(١) .
- (٥) اقتران السين بسوف فى إفادة معنى الاستقبال^(٢) .
- (٦) اقتران (كَأَيَّن) بـ (رُبَّ) فى إفادة معنى التكثير عند سيويه خلافاً ليونس فى ذلك^(٣) .
- (٧) اقتران (لو) المصدرية بـ (ليت) فى إفادة معنى التمنى^(٤) .
- (٨) اقتران (لوما) بـ (لولا) فى إفادة معنى التحضيض والعرض^(٥) .
- الصورة الأخرى : اقتران مفردات نحوية بمواضع زيادتها فى إفادة معنى التوكيد . وبيان هذه المفردات الزائدة كما يلى^(٦) :
- إِذْ (عند أبى عبيدة وابن قتيبة) ؛ وإلى (عند الفراء) ، وإن ؛
وإنْ ؛ والباء ؛ والفاء (عند الأخفش والفراء والأعلم) ؛
وفى (عند الفارسي) ؛ والكاف ؛ واللام ؛ ولا ؛

(١) ابن هشام : معنى اللبيب : ١٣٤ / ١ .

(٢) ينظر : الكتاب نفسه : ٦٦٣ / ٢ .

(٣) يقول سيويه (فى كتابه : ١٧٠ / ٢ ، ١٧١) : « هذا باب ما جرى مجرى كم فى الاستفهام وذلك قولك : له كذا وكذا درهما ، وهو مبهم فى الأشياء بمنزلة كم ، وهو كتابة للعدد ، بمنزلة فلان إذا كتبت به فى الأسماء ... وكذلك كَأَيَّن رجلاً قد رأيت ، رغم ذلك يونس ... وكَأَيَّن معناها معنى رُبَّ » .

(٤) ينظر : معنى اللبيب لابن هشام : ٢٦٦ / ١ ، ٢٦٧ .

(٥) يقول ابن هشام (فى معنى اللبيب : ٢٧٤ / ١ ، ٢٧٦) : « الثلثى (من أوجه لولا) أن تكون للتحضيض والعرض ... (و) لوما : بمنزلة لولا ، تقول : لوما زيد لاكرمك وفى التثنية « لوما تأتيان باللامكة » (الحجر : ٧) » .

(٦) ينظر : معنى اللبيب لابن هشام : ٨٣ / ١ ، ٧٦ ، ٢٥ ، ٣٣ - ٣٤ ، ١٠١ - ١١١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ،

١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ١١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٠٦ - ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٥٧ / ٢ - ٣٦٢ .

وما ؛ ومن ؛ والواو (عند الكوفيين والأخفش) .

قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة^(١) معنى التوكيد بين الفكر النحوي العربي والفكر اللغوي الحديث :

اختلف فكر النحاة العرب في قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة معنى التوكيد ، ووجد لهذا الفكر في هذه القضية اتجاهان :

الاول ، وهو الغالب : ذهب إلى أن كل المفردات الزائدة تفيد معنى واحداً ، هو التوكيد . ويمثل هذا الاتجاه كل من : سيبويه ، والقاسم بن أحمد الأندلسي ، وابن هشام الأنصاري ؛ فيرى سيبويه أن « معنى ما أتاني أحدٌ وما أتاني من أحد واحدٌ ، ولكنَّ (من) دخلت هنا توكيداً ، كما تدخل الباءُ فسي قولك : كفى بالشيب والإسلام ، وفي ما أنت بفاعلٍ ، ولستَ بفاعلٍ^(٢) » .

ويؤيد القاسم بن أحمد الأندلسي الحكم القائل « بأنَّ الباءَ في قولك : « ما زيدٌ بقاتم » مزيدة مع أنها لتأكيد النفي^(٣) » .

ويرى ابن هشام الأنصاري أنه « لاعمى لأن الزائدة غيرُ التوكيد كسائر الزوائد ... على أن الزائد يؤكد معنى ما جرى به لتوكيده^(٤) » .

الآخر : ذهب إلى أن المفردات الزائدة تفيد معاني أخرى إلى جانب معنى التوكيد . ويمثل هذا الاتجاه كل من :

(١) يرى ابن هشام (في معنى الليب : ١ / ١٨٠) أن « القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم ، بل زيادة الاسم لم تثبت » .

(٢) الكتاب : ٣١٦ / ٢ .

(٣) السيوطي : الأشباه والنظائر : ٢ / ٥٤ .

(٤) ابن هشام : معنى الليب : ١ / ٣٤ ، ٣٥ .

الزجاج ، والقيسى ، والشلوين ؛ فيذهب الزجاج إلى أن الباء الزائدة قبل فاعل كفى فى نحو قوله تعالى : ﴿ كفى بالله شهيداً ﴾^(١) ودخلت لتضمن كفى معنى اكف^(٢) .

ويرى القيسى أن « (بالله) فى قوله : ﴿ كفى بالله ﴾ فى موضع رفع ، وهو فاعل كفى تقديره : « كفى الله شهيداً » والباء زائدة معناها ملازمة الفعل لما بعده ، فالله تعالى لم يزل هو الكافى بمعنى سيكفى لايحول عن ذلك أبداً »^(٣) .

ويقول الشلوين إنَّ (أن) الزائدة فى نحو قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لَوْطًا بِسَيِّئِ بِهِمْ ﴾^(٤) : « أفادت هنا أنَّ الإساءة كانت لأجل المجيء وتعقبه »^(٥) .

فإذا ما تناولنا فى المقابل موقف الفكر اللغوى الحديث من هذه القضية ، خاصة عند العلماء الأوربيين الذين اهتموا بدراسة الجملة العربية ومكوناتها ، وجدنا أن معظم هؤلاء العلماء ذكروا فى بحوثهم مواضع ورود تلك المفردات (الزائدة فى عرف النحاة العرب) دون التعرض لكونها زائدة أو لمعناها . ومن هؤلاء العلماء روكن^(٦) وكارل بروكلمان^(٧) ، وأن القليل منهم من ذكر هذه المفردات ونص على أنها زائدة وتحدث عن معناها . ومن هؤلاء نولدكه ؛ فقد

(١) سورة يونس ، الآية ٢٩ .

(٢) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١٠٦ / ١ .

(٣) القيسى : مشكل إعراب القرآن : القسم الأول - ص ٣٤٤ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٣٣ .

(٥) ابن هشام : مغنى اللبيب : ٣٤ / ١ .

SOCIN, A.: Arabische Grammatik, § 144, s.S. 121. (٦)

BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, § 142, S. 176, § 144, S. (٧)

خصص فقرة كاملة من كتابه ^(١) لـ « ما الزائدة » وتحدث فيها عن مواضع ورودها فى الجملة العربية وذكر أنها « ترد لمعنى تقوية أدوات الشرط ، مثل : إذا ما ، وكيفما ، وأماً ... إلى غير ذلك ... وأنها تقع بين حرف الجر ومجروره ؛ فتجلبب معنى توكيد الأخير ، نحو قوله تعالى ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ^(٢) ﴾ و ﴿ فَمَا نَفْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ^(٣) ﴾ ^(٤) .

العلاقة الخامسة : الاشتراك فى بعض الخصائص :

تربط هذه العلاقة صورةً واحدةً من صور الاقتران فى الفكر النحوى ،
توضح فيما يلى :

- اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر لاشتراكهما فى بعض الخصائص .
من ذلك :

- (١) اقتران الاسم بالفعل المضارع لاشتراكهما فى سبعة أمور ، هى :
الإعراب ^(٥) ، ودخول لام الابتداء على كل منهما ^(٦) ، ووقوع الفعل
موقع الأسماء ^(٧) ، وإفادة معنى العموم والاختصاص ^(٨) ، ومجaraة
اسم الفاعل للمضارع فى الحركة والسكون ^(٩) ، والمعنى (الزمنى)

NÖLDEKE, THEODOR : Zur Grammatik des classischen Arabisch, § 51, S. (١)
59-63.

(٢) سورة نوح ، الآية ٢٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٤) كتاب نولدكه السابق : فقرة ٥١ ، صفحة ٥٩ ، ٦٠ .

(٥) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٤/١ .

(٦) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١٧٤/١ ، ٢٢٨ .

(٧) السيوطى : الأشباه والنظائر : ١١٢/١ .

(٨) الكتاب نفسه : ٤٤٧ .

(٩) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٥/١ .

والعمل^(١) .

(٢) اقتران الاسم بالفعل الماضى ؛ لاشتراكهما فى خمسة أمور ، هى : دخول اللام الواقعة بعد لو عليهما ، واتصالهما بتاء التانيث ، ووقوعهما بعد مذ ومنذ ، ومجaraة الماضى غير الثلاثى اسم الفاعل فى الحركة والسكون ، ومجaraة الماضى الصفة المشبهة والمصدر فى الوزن . ولعل هذه الخصائص المشتركة بين الاسم والفعل الماضى تفرّد بذكرها ابنُ مالك^(٣) .

يرى ابن مالك أن مشابهة الفعل الماضى الاسم أقوى من مشابهة الفعل المضارع الاسم ، يقول فى ذلك : « إن فى الفعل الماضى من مشابهة الاسم ما يقاوم المشابهة المعزوة للمضارع ولعلها اكمل^(٤) » .

ويرى الباحث أن المشابهة بين الفعل المضارع والاسم أقوى من المشابهة بين الفعل الماضى والاسم واكمل وليس كما رأى ابن مالك ؛ وذلك لما يلى :

أولاً : أن اتصال تاء التانيث بآخر الفعل الماضى وبآخر الاسم ليس مقصوراً عليهما ، كما قال ابن مالك ، بل تتصل تاء التانيث أيضاً

(١) سيويه : الكتاب : ٦٤ / ١ .

(٢) يقول ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣٥ / ١) : « ولما لام الابتداء ، وإن كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم ، لكونها لا تتدخل إلا عليهما ، فتقارنهما اللام بعد لو ، فإنها تصحب الاسم والفعل الماضى خاصة ، فقولته تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لنكوننهم فئحة ﴾ (البقرة : ١٠٣) و ﴿ ولو أسمعهم لتتوّلوا ﴾ (الأنفال : ٢٣) ، وليس الاعتبار بتلك أحق من الاعتبار بهذه ، ولو لم يظفر بهذه لقارم تلك تاء التانيث ، فإنها تتصل بآخر الماضى كما تتصل بآخر الاسم ، فحصل للماضى بذلك مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء ، ويقاوم لام الابتداء أيضاً مباشرة مذ ومنذ ، فإن الماضى يشارك الاسم فيهما دون المضارع . وأما مجaraة المضارع اسم الفاعل فى الحركة والسكون ، فالماضى غير الثلاثى شريكه فيها . . . وللماضى ما يقاوم الفات من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما^(٥) .

(٣) الكتاب نفسه : ٣٥ / ١ .

بآخر بعض الحروف مثل : ثُمَّ ، وَرُبَّ ، ولا النافية ، فتصبح بعد اتصال تاء التانيث بها : ثُمَّتْ ، وَرُبَّتْ ، ولات ^(١) .

ثانياً : أن ابن مالك يرى أن مَـذ ومنذ تدخلان على الفعل الماضي والاسم فقط ، فلا تدخلان على المضارع . ولكن هذه المسألة لم تكن محل اتفاق بين النحاة ، بل كانت مسألة خلاف بينهم ؛ فقد أجاز رضى الدين الاسترأبادى دخول مَـذ ومنذ على الاسم ، والفعل الماضى ، والمضارع ، والحرف المصدرى ^(٢) .

ثالثاً : أن مجازاة الماضى غير الثلاثى اسمَ الفاعل فى الحركة والسكون أمر يتعلق بالوزن الإيقاعى ، وليس بالوزن الصرفى ^(٣) .

(٣) اقتران أفعل فى التعجب بأفعل التفضيل ؛ لاشتراكهما فى اللفظ والمعنى ^(١) .

(١) ذكر الرضى (فى شرح الكافية : ٢٧١/١) أن « التاء فى لات للتانيث كما فى رِئَتْ وثُمَّتْ » .
(٢) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ١١٩/٢ ، ١٢٠) « نقول : يضاف منذ إلى جملتين إما الاسمية الجزئيين نحو : منذ زيد ناسم ، والمعنى فيها جميع المدة ولا أعلمها بهذا القيد مستعملة لأول المدة ، وإما التى أحد جزئيهما فعل ؛ فإن كان الفعل ماضياً نحو : منذ قام زيد ومنذ زيد قام فهو لأول المدة ، وإن كان مضارعاً نحو : منذ يكتب زيد ومنذ زيد يكتب ، فإن كان المضارع حالاً فهو لجميع المدة وإن كان حكاية حال ماضية فهو لأول المدة ولا يكون مستقبلاً ، لأن منذ لتوقيت الزمان الماضى فقط لتركيبه من إذ الموضوع للماضى . وقال الاخفش : « لايجوز : مذ يقوم زيد للزوم مجازين : كون يقوم مقام قام وحذف زمان مضاف على ما يجئ فى تقرير مذهب جمهور البصريين » ، والأصل جوازه ؛ لأن يقوم كما قلنا حال أو حكاية حال وليس المضاف محذوفاً كما اخترنا . وجاز أيضاً أن يضاف منذ إلى الجملة المصدرية بحرف مصدرى لتغير إذ بالتركيب عن صورته التى كان معها واجب الإضافة إلى الجملة ... فنقول : منذ أن الله خلقنى ... ويجوز أن يكون : مذ أنك قائم » .

(٣) يصدق هذا الكلام أيضاً على مجازاة المضارع من الثلاثى اسمَ الفاعل فى الحركة والسكون .
(٤) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٤٦٨/٢) رأى صاحب البسيط (ضياء الدين بن الملح) فى هذا الاقتران فيقول : « قال صاحب البسيط : التعجب والتفضيل يشتركان فى اللفظ والمعنى . أما »

(٤) اقتران (كأي) بـ (كم) ، لاشتراكهما في « خمسة أمور : الإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير ، وإفادة التكرير تارة وهو الغالب ، نحو : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ ^(١) والاستفهام أخرى ، وهو نادر ^(٢) .

(٥) اقتران (كذا) بـ (كأي) لاشتراكهما في « أربعة أمور : التركيب ، والبناء ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ^(٣) » .

(٦) اقتران كم الخبرية بكم الاستفهامية ، لاشتراكهما في خمسة أمور : الاسمية ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير ^(٤) .

= اللفظ فلتسريهما من ثلاثة أحرف أصول وهمزة . وأما المعنى فلأن ما أعلم زيداً ا وزيد أعلم من عمرو يشتركان في زيادة العلم ، ويفترقان في أن أفعل في التمعجب ينصب المفعول به (نحو) ما أحسن زيداً ا وأفعل التفضيل لا ينصب المفعول به على أشهر القولين ، والثاني أنه ينصب للفاعل والقياس » .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٦ .

(٢) ابن هشام : معنى اللبيب : ١٨٦/١ . وذكر ابن هشام في الموضع نفسه أيضاً أن (كأي) تخالف (كم) في « خمسة أمور : أحدها : أنها مركبة ، وكم بسيطة على الصحيح ... والثاني : أن معيها مجرور بمن غالباً ... والثالث : أنها لاتنفع استفهامية عند الجمهور ... والرابع : أنها لاتنفع مجرورة ... والخامس : أن خبرها لا يقع مفعلاً » .

(٣) الكتاب نفسه : ١٨٧/١ . وذكر ابن هشام في الموضع نفسه أن (كذا) تخالف (كأي) « في ثلاثة أمور : أحدها : أنها ليس لها الضمير ، تقول : قبضت كذا وكذا درهما . الثاني : أن تمييزها واجب النصب ، فلايجوز جرّه بمن افتقاراً ، ولا بالإضافة خلافاً للكويتين ... الثالث : أنها لاتستعمل إلا مطلقاً عليها » .

(٤) ابن هشام : معنى اللبيب : ١٨٣/١ ، ١٨٤ . وذكر ابن هشام في الموضع نفسه أن كم الخبرية والاستفهامية « يفترقان في خمسة أمور : أحدها : أن الكلام مع الخبرية محتتمل للتصديق والتكذيب ، بخلافه مع الاستفهامية . الثاني : أن التكلم بالخبرية لا يستدعى من مخاطبه جواباً لأنه مُخَيَّر ، والتكلم بالاستفهامية يستدعيه لأنه مُسْتَحْيَر . الثالث : أن الاسم المُبَدَل من الخبرية لا يقرن » .

يلاحظ أن النقطة الرابعة والخامسة والسادسة من صورة الاقتران السابقة ضمت المفردات الثلاثة (كأي^١ وكذا وكم) . وقد ربطت اقتران معانى هذه المفردات صلةً التجاور^(١) إضافةً إلى ربطه بالعلاقة الرئيسية ، وهى علاقة الاشتراك فى بعض الخصائص .



= بالهمزة ، بخلاف المبك من الاستفهامية ... الرابع : أن تميز كم الخبرية مفرد أو مجموع ... ولا يكون تميز الاستفهامية إلا مفردا ، خلافا للكوفيين . الخامس : أن تميز الخبرية واجب الخفض ، وتميز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقا ، خلافا للفراء والزجاج وابن السراج وآخرين * .
(١) يقول نيده NIDA, E.A. (فى كتابه : Componential Analysis of Meaning, p. 18) إن صلة التجاور هى التى توضح العلاقات بين المعانى التى ترتبط ارتباطا وثيقا ، وتتشرك جميعا بسمات معينة وتحتل مجالا دلاليا محددًا ، ومعرفًا بدقة ، وتُظهر اختلافات معينة بوضوح * .

خاتمة البحث

توصل هذا البحث إلى نتائج عديدة متنوعة ، يُصنّف أهمها فى النقاط التالية :

أولاً: من النتائج التى تقبل جدّة فى البحث والتى يرى الباحث انها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمه بذلك :

(١) الكشف عن العلاقات التى تربط صور الاقتران فى الفكر النحوى العربى ، وحصرها فى خمسة أنواع ، وكذلك حصر هذه الصور ومكوناتها .

(٢) الوصول إلى أن همزة التسوية ليست فى الأصل همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام إلى معنى التسوية ، كما قال سيبويه ومن تبعه من النحاة ، بل هى همزة (أن) المصدرية وقد حذفت نونُها وبقيت همزتها .

وبناء على ذلك يكون المبتدأ المؤخر فى مثل قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ هو المصدر المكون من (أن) التى حذفت نونُها والفعل الماضى (أنذر) ، وهو مصدر مؤول بالصريح (إنذار) مرفوع ، والخبر المقدم هو (سواء) .

أما المعطوف بأم على المبتدأ (المصدر المؤول بالصريح) فيرى الباحث أنه مصدر مؤول بالصريح حذف منه الحرف المصدرى لطول الجملة . وقد مثل لهذا الإعراب فى البحث بالعديد من الشواهد .

هذا ولم يقف الباحث حتى الآن على رأى قال بأن همزة التسوية هى همزة (أن) المصدرية وقد حذفت نونُها ، وأن المعطوف بأم مصدر مؤول حذف منه الحرف المصدرى .

ثانياً : من النتائج التى تمثل إضافة جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما يلى :

* إضافة مكونات أخرى جديدة إلى مكونات صور التلازم التى ذكرها دكتور تمام حسان فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، وكذلك إضافة تسع صور جديدة إلى الصور التى ذكرها فى الكتاب نفسه والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ذكرت كلها فى البحث .

ثالثاً : وصل البحث إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث . من ذلك :

(١) ما ذكره سيبويه (فى كتابة : ٥٩ / ٣ ، ٦٠) من أن (مهما) قد تكون مركبة من (مَهْ ما) «كإِذْ ضُمَّ إِلَيْهَا ما» .

إن ما جاء فى كتاب سيبويه من أن (إِذْ ما) مركبة ينفى ما ذكره رضى الدين الاسترأبادى (فى شرح كافية ابن الحاجب : ٢ / ٢٥٣ ، ٢٥٤) حين نسب رأى سيبويه السابق للمبرد .

(٢) ما ورد فى كتاب سيبويه (٥٩ / ٣) من أنه سأل «الخليل عن مهما فقال : هى (ما) أدخلت معها (ما) لغواً ، بمنزلة ما مع متى إذا قلت : متى ما تأتى آتاك ، وبمنزلة ما مع إن إذا قلت : إن ما تأتى آتاك» . إن ما ورد فى كتاب سيبويه من نسبة الرأى القائل بأن (إِمْما) مركبة من (إن وما) للخليل ابن أحمد ، ينفى ما ذكره ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ٥٩ / ١) حين نسب رأى الخليل السابق لسيبويه .

(٣) ما رآه ابن مالك من أن مشابهة الفعل الماضى الاسم أقوى من مشابهة الفعل المضارع الاسم ؛ يقول (فى شرح التسهيل : ٣٥ / ١) : «إن فى الفعل الماضى من مشابهة الاسم ما يقاوم المشابهة المعزوة للمضارع ولعلها أكمل» .

ويرى الباحث أن المشابهة بين الفعل المضارع والاسم أقوى من المشابهة بين الفعل الماضى والاسم وليس كما رأى ابن مالك ، وذلك لأسباب عديدة ذكرت فى البحث .

* * *

مصادر البحث ومراجعته

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- الاسترأبادى (رضى الدين محمد بن الحسن) :
- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب . دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين) :
- منشور الفوائد : تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن - نشر فى مجلة «المورد» التى تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية - المجلد العاشر - العدد الأول ، دار الجاحظ - بغداد ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- تمام حسان (دكتور) :
- اللغة العربية معناها ومبناها : الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٧٩ م .
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :
- الخصائص : تحقيق محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ، القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- سر صناعة الإعراب : تحقيق لجنة من الأساتذة : مصطفى السقا ومحمد الزقزاق وإبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الاولى ،
القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) :

- تاج اللغة وصحاح العربية : تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار
الكاتب العربي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .

رمضان عبد التواب (دكتور) :

- فصول فى فقه العربية : مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

- فى قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) - مكتبة الخانجي -
القاهرة ١٩٨١ م .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادي) :

- الاصول فى النحو : تحقيق دكتور عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :

- الكتاب : تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، الجزء الاول ١٩٧٧ م ، والجزء
الثانى ١٩٧٩ م ، والجزء الثالث ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) :

- الأشباه والنظائر فى النحو : تحقيق عبد الإله نبهان وغازى مختار
طلبيات وأحمد مختار الشريف . مطبوعات مجمع اللغة العربية ،
دمشق ، الجزء الاول والثانى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، والجزء الرابع
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

القيسى (أبو محمد مكى بن طالب) :

- مشكل إعراب القرآن : تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله الطائى الجياني الأندلسي) :

- شرح التسهيل : تحقيق دكتور عبد الرحمن السيد ودكتور محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى - الجيزة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

المرادى (الحسن بن قاسم) :

- الجنى الدانى فى حروف المعانى : تحقيق دكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فضيل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :

- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محبى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت بدون تاريخ .

- مغنى السليب عن كتب الأعاريب : حققه محمد محبى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر - القاهرة بدون تاريخ .

أبن يعيش (موفق الدين يعيش بن على) :

- شرح المفصل : عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

ثانياً - المصادر والمراجع الأوروبية :

BROCKELMANN, CARL :

- Arabische Grammatik : 14 Auflage-Besorgt von Manfred Fleischhammer. VEB Otto Harrassowitz, Leipzig 1960.
- Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen : II. Verlag von Reuther & Reichard. Berlin 1913.

DENZ, ADOLF :

- Die Struktur des klassischen Arabisch. In : Grundriss der arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von Wolfdietrich Fischer : Dr. Luwig Reichert Verlag. S. 58-82. Wiesbaden 1982.

FISCHER, A.:

- Zwei Beiträge zur arabischen Grammatik. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 63. In kommission bei F.A. Brockhaus, S. 597-603, Leipzig 1909.

FISCHER, WOLFDIETRICH :

- Grammatik des klassischen Arabisch. Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1972.

NIDA, EUGENE A.:

- Componential Analysis of Meaning, Mouton, the Hague, Paris 1975.

NÖLDEKE, THEODOR :

- Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

SOCIN, A.:

- Arabische Grammatik. Dritte Vermehrte und verbesserte Auflage. Verlag von Reuther und Reichard, Berlin 1894.

WEHR, HANS :

- Zur Funktion arabischer Negationen. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 103. Kommissionsverlag Franz Steiner GMBH, S. 27-39, Wiesbaden 1953.

WRIGHT, W. :

- A grammar of the Arabic Language. II. Cambridge at the University Press 1951.

الوسائل اللغوية للتوكيد

عند

طه حسين

بقلم الدكتور

محمد عبد الوهاب شحاته

مقدمة

الغرض من هذا البحث هو دراسة التوكيد لدى أحد أعلام الفكر المعاصر لبيان جانب من جوانب الاستخدام اللغوى ، بإيضاح طرائقه ووسائله وأنماطه والكيفية التى يوجد عليها فى بنية الكلمة وتركيب الجملة .

إنَّ التوكيد وجه من وجوه تمكين المعنى والإحاطة به ، وهو أحد معان ثلاثة للمجاز . وقد أشار ابن جنى فى الخصائص (حـ ٤٥١ / ٢) ، إلى أن وقوع التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتمالها عليه ، حتى إنَّ أهل العربية أفردوا له باباً ، لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم باباً ، كالصفة ، والعطف ، والإضافة ، والنداء ، والتدبئة ، والقسم ، والجزاء ، ونحو ذلك .

ودلالة التوكيد لا تنحصر فى باب واحد ، بل تتوزع فى موضوعات متنوعة ، تحمل معانى مختلفة . والتوكيد يأتى لتحقيق وتسديد المعنى المقصود فى هذه الموضوعات . فهو يأتى فى المجاز وفى الحقيقة ، فالعرب وكدت المجاز كما وكدت الحقيقة ، وهو فى الإثبات والنفى ، والقسم ، والمصدر ،

ويقع بالفاظ مثل : لاسيما ، وقط ، وحسب ، وإن ، وأن ، وغيرها مما توضحه الصفحات التالية .

وقد كان التوكيد موضع اهتمام هذه الدراسة للأسباب الآتية :

(١) التوكيد يمثل ظاهرة شائعة لدى مستخدمي اللغة ، فكل حريص على تأكيد القول أو الفعل ، ولكن الكيفية التي يقع بها تتفاوت من فرد إلى آخر .

(٢) إرالة ما علقى بذهن الكثير عن حدود التوكيد ، وبيان أن دلالة لا تقف عند حدود ما أشار إليه النحاة في باب التوابع ، بل تمتد إلى موضوعات أخرى متفرقة وموزعة على أبواب مختلفة من أبواب النحو العربي .

(٣) معرفة خواص الأساليب والتراكيب والجمل في لغتنا معرفة تقرب ما بين التركيب في صورته التي طرحها النحاة والأغراض الدلالية التي يأتي لها من توافق وتطابق أو غير ذلك .

(٤) محاولة استثمار جهود القدماء العظام من دراسة تكاملية ، تقوم على التأثر العلمي بين فروع اللغة ، لمعرفة خصائص الأجزاء من الكل ، فتجعل الوحدة التعبيرية هي موضوع التحليل ، حتى تنتهي إلى الجمل كاشفة عن دور كل منها في أداء الغرض الرئيسي ، وباحثة في التركيب عن قدرة الشكل على استيعاب المضمون على أدائه للأغراض الدقيقة .

(٥) تقرير القواعد والاحكام التي قال بها القدماء ، بناء على الواقع اللغوي المستخدم لدى الكتاب والشعراء .

لهذا كله رأيت أن أتناول دراسة هذا الموضوع من خلال الجمع بين ما أورده القدماء من النحاة من جانب ، وما يقره الواقع اللغوي معتمداً على

صور مسن الاستخدام اللغوى المعاصر من خلال نموذجين من مؤلفات الدكتور / طه حنين ، هما : الأيام ، ومستقبل الثقافة ، وذلك بتقديم صورة واقعية من الاستعمال اللغوى لكل مفردة من مفردات التوكيد .

وقد جاء البحث مشتملاً على مايلى :

أولاً : المصطلح ودلالته .

ثانياً : التوكيد ظاهرة اجتماعية .

ثالثاً : العناصر الصوتية للتوكيد .

رابعاً : التوكيد والوظيفة النحوية .

خامساً : جدوى التوكيد .

سادساً : التوكيد فى الجملة العربية عند النحاة العرب .

سابعاً : أنماط التوكيد ووسائلها عند طه حنين .

ثامناً : الخاتمة .

تاسعاً : المصادر والمراجع .

هذا وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع ، نذكر من المصادر على سبيل المثال : الكتاب لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والخصائص واللمع لابن جنى ، وشرح الكافية للزضى ، ورصف المبانى للمالقي ، ومغنى اللبيب لابن هشام .

ومن المراجع : علم اللغة الاجتماعى لـ « هدسون » ، ويبحث عن فكر طه حسين اللغوى ، للدكتور / محمود فهمى حجازى ، بعنوان « فكره اللغوى » منشور بكتاب الفكر رقم ١٤ / ١٩٨٩ ، وكتاب « مناهج البحث فى اللغة » للدكتور / تمام حسان ، وكتاب « اللسانيات واللغة العربية » ،

للدكتور / عبد القادر الفاسى الفهرى ، « والأصوات اللغوية » للدكتور / محمد على الخولى ، ويحث « فى تطور اللغة العربية » لـ « أندرى رومان » ، منشور بمجلة اللسانيات - تونس - ع ٦ / ١٩٨٦ .

أولاً: المصطلح ودلالته

التوكيد والتأكيد مصدران رباعيان للفعلين « وَكَّدَ يُوَكِّدُ توكيداً ، وأَكَّدَ يُوَكِّدُ تأكيداً » بمعنى أوثق الأمر ، وشدد عليه ، وأحكمه وقرره . والهمز فيه لغة ، فأكدّه لغةً فى وَكَّده ، وقيل هو بدل ، والتأكيد لغة فى التوكيد ، والتوكيد بالواو أفصح من التأكيد بالهمز^(١) . ولم يرد فى القرآن الكريم إلا بالواو ، فى قوله تعالى ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾^(٢) .

وقد تبين النحاة فى استخدام المصطلحين ، فمنهم من استخدم مصطلح التوكيد^(٣) ، ومنهم من استخدم مصطلح التأكيد^(٤) ، ومنهم من استخدم

- لا أنسى واجب الشكر لاساتذى العظيم الدكتور محمود حجازى ، فله منى خالص التقدير ، ومن الله الجزاء الأولى لقاء ما يقدمه على مر الأيام .

- لا أدعى لنفسى تجنب الأخطاء والبعد عن الزلل ، وحسى أننى حاولت مخلصاً أن ألمّ شتان الموضوع وإتباعه فى كتابات أحد الأعلام المعاصرين ، فإن بدا ما يحمد فله الشكر والمث ، وإن بدا خلاف ذلك فعلى أننى بشر .

(١) اللسان - أكد ١ / ١٠٠ ، وكد ٦ / ٤٩٠٥ ، تاج العروس - وكد ٢ / ٥٤٠ .

(٢) الآية ٩١ من سورة النمل ، وانظر : المعجم المفهرس ٧٦٢ ، دراسات فى أسلوب القرآن ق ٣ / ٤ - ٣ - ٢٥ .

(٣) سيبويه - الكتاب ١ / ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ، ١١ / ٢ ، ١٢ ، ١٤٦ ، ١٨٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٢٠٥ / ٣ ، المبرد - المقتضب ٣ / ٢١٠ ، ٢١٢ ،

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٧١ / ٤ ، ابن جنى - اللع ١٤١ ، الخصائص ١ / ١٢٦ ، ٢ / ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥١ ، ١٠١ / ٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، الحيدرة - كشف المشكل ٤ / ٥ - ١٥ ، أبو

حيان - ارتشاف الضرب ٢ / ٦٠٨ - ٦١٨ ، عباس حسن - النحو الوافى ٣ / ٥٠١ - ٥٣٧ .

(٤) الزمخشري - المفصل ١١٤ ، ابن يسيش - شرح المفصل ٣ / ٣٩ ، ابن الحاجب - الإيضاح على شرح المفصل ٤٣٥ - ٤٤٠ .

المصطلحين معاً^(١) . والاول أكثر فى الاستعمال .

وفى الإصطلاح هو « تابع يقرر أمر المتبوع فى النسبة والشمول . . . والفاظه ليست مستقلة مستغنية عما تقدم عليها^(٢) . وقد حده صاحب دلائل الإعجاز بقوله : « حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك . . . وهو ضرب من التقييد . فمضى نفيت كلاماً فيه تأكيد ، فإنَّ نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصاً ويقع له »^(٣) . فالتوكيد بيان وتحقيق وزيادة تثبيت للمعنى المراد .

ورثمة فعل أورده ابن جنى هو الفعل « تبليغ » ، وقد فُسر بمعنى « تؤكد » فى قوله : « قيل لأبى عمرو : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبليغ . قيل أكانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها »^(٤) . ف « تبليغ » بمعنى « تؤكد » . وفى التاج « إيمان علينا بالغة ، أى متتهية فى التوكيد ، وقيل يمين بالغة ، أى مؤكدة . والحكمة البالغة ، التامة المؤكدة »^(٥) . وذلك فى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ، إن لكم لما تحكمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة فما تغنى النذر ﴾^(٦) . ف « بالغة وتبليغ » بمعنى متقارب فى الدلالة على التوكيد والتثبيت والتيقن من تمام الأمر واستوائه ، والإطالة فى جواب أبى عمرو فيها تحقيق وتسديد ، وهذا ما يليق به الإطناب والإسهاب ، ويتنقى عنه الإيجاز والاختصار .

(١) ابن هشام - شرح شذور الذهب ٥٠٨ - ٥١٢ .

(٢) الرضى - شرح الكافية ١/ ٣٢٨ ، ٣٣٣ .

(٣) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ٢٣٠ ، ٢٨٠ .

(٤) ابن جنى - الخصائص ١/ ٨٣ ، وقد علق محقق الكتاب على كلمة « تبليغ » بقوله : « كذا فى حد ، وفى أ : لتبليغ ، وكتب فوقه « لتؤكد » ويبدو أن هذا تفسير لتبليغ » هامش ٢ - ح ٨٣/ ١ .

(٥) تاج العروس ٦/ ٤ ، ٥ .

(٦) الآية ٣٩ من سورة الفلم ، والآية ٥ من سورة القمر .

ثانياً: التوكيد ظاهرة اجتماعية

العلم بالإثبات والنفي وسائر معانى الكلام فى غرائز النفوس^(١) ، والتوكيد باعتباره معنى من الكلام يقع فى الإثبات والنفي لا يُعلم فى ذاته ، بل ليُعرف واقعاً من المتكلم وكائنًا فى نفسه ، إذ لا يوجد على انفراد ، وإنما يكمن فى النفس الإنسانية ، فلاشك أن كل مستخدم للغة يحرص على دفع الشك عن نفسه ، ويسعى إلى تأكيد القول أو الفعل ما وسعته الوسائل إلى ذلك ، فمرة يقسم ، ومرة يقدم ويؤخر ، وثالثة يستخدم كلمة أو تركيباً خاصاً على نسق معين . . . وهكذا يحاول المرء - على قدر طاقته - أن يثبت ما يقول ، ويوثق ما يكتب ، ويشدد على ما يفعل .

فالتوكيد يمثل ظاهرة شائعة لدى البشر ، والكل حريص على تأكيد أفعاله وأقواله ، مع تفاوت الكيفية التى يقع بها ، وذلك لماله من أهمية كبيرة للسامع ، إذ يثبت فى قلبه ما يدعيه المتكلم فى نفسه ، وهو يختلف باختلاف المقام ، وما يتلمسه السامع ، مما يحيط به من نسيان أو خوف أو شك ونحو ذلك .

إن علاقة التوكيد بأفعال الشخص وسلوكه قائمة ودائمة ، إذ يعكس مواقفه من قضايا خاصة ذات صلة مباشرة ، وغير مباشرة بواقع الفرد الاجتماعى والنفسى ، وما يحيط بهما من ظروف سياسية واقتصادية ونحوهما ، إذ عندما يستخدم وسيلة معينة فيما يتحدث أو يكتب ، ويكرره تكراراً يظهر تميزاً أسلوبياً فى عمله الأدبى ، يعكس بذلك علاقات مختلفة ترتبط بمواقف معينة تشير فى نفسه هذا الاستخدام اللغوى ، وتجعل له خصوصية على مستوى التعبير ، وقد تعكس وجهة نظر خاصة بكاتب أو شاعر ويحاول من خلالها ترسيخ وجهة نظره فى قضايا لها علاقة بحياته وشخصيته وأسرته .

(١) عبد القاهر الجرجانى - دلالات الإعجاز ٥٦١ .

وليس استخدام وسيلة أو أكثر غاية تتصل بإيحاءات شكلية تجعله كلفاً بهذه الوسيلة أو تلك ، وإنما يكون استجابة لمعان نفسية واجتماعية ، تقوده ليغلب وسيلة على أخرى ، أو يعيدها إعادة تلفت النظر ، وتثير الانتباه ، فتارة يؤكد المتكلم أو القارئ للسامع بأداة واحدة ، كأن تكون نوناً أو لاماً ، فإن وجد فى السامع شكاً أضاف له وسيلة ، أو حشد عدة وسائل فى الجملة الواحدة ، حتى يكون على ثقة مما يقال أو يسمع ، فوسائل التوكيد رسائل ثقة وتطمين يثبها صاحبها فى ثنانيا حديثه إلى الآخرين ليكونوا على يقين مما يقع من أقوال وأفعال .

وهذه الوسائل إذا كانت تختلف باختلاف مستخدميها ، فإنها تتنوع كذلك حسب تنوع المتلقى ، فالمثقف لا يتفق مع من هو دونه ، والكبير ليس كالصغير ، والموجه لفرد ليس كالموجه لجماعة ، إذا لتوكيد أولاً وأخيراً يعتمد على وحدات لغوية « وليس مجرد ثرثرة تافهة لإضاعة الوقت ، بل هو نوع من اتخاذ المواقف الرسمية إزاء المشكلات التى لا تنتهى والمناقشات والقوافى أو المنافسة الكلامية . فالكلام له معايير التى تتحكم فيه ، وهذا الحجم الكمى قد يتراوح ما بين القليل جداً والكثير جداً . والمجتمع يتحكم فى الكلام بطريقتين :

أولاً : عن طريق تجديد مجموعة من المعايير norms ، نتعلم كيفية الالتزام بها بمهارة ، وقد تختلف بعض المعايير من مجتمع لآخر ، ولو أن بعضها قد يكون أكثر شمولية وانتشاراً من بعضها الآخر .

ثانياً : يوفر المجتمع الدوافع motivation الضرورية لحثنا على الالتزام بهذه المعايير ، ولحثنا على بذل الجهد فى الكلام^(١) .

(١) هــسـون - علم اللغة الاجتماعى - ترجمة د. محمود عياد ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ مع تصرف يسير

بالإضافة إلى ذلك يهتم المجتمع اهتماماً كبيراً بالكلام ، ويوفر لنا على وجه الخصوص مجموعة من المفاهيم للتفكير فيها والتحدث عنها . وإحدى هذه المجموعات المجموعة الخاصة بوظائف الكلام ونظرية الأفعال الكلامية ، التي تعكس بدورها التصنيف الاجتماعي للكلام حسب وظائفه وهذا التصنيف الوظيفي للكلام هو جزء من الأداة التي يتحكم بها المجتمع في الكلام وعلينا أن نتوقع نفس القدر من التباين بين الأفراد في معايير الكلام ، كما هو الحال بالنسبة لاستخدام الوحدات اللغوية . فمن الواضح أن الناس يستخدمون الكلام مثلما يفعلون في حالة استخدام الوحدات اللغوية ، أي لتحديد موقعهم بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأخرى التي يستطيعون تمييزها في المجتمع من حولهم . والاختلاف الوحيد القائم بين معايير الكلام والوحدات اللغوية ، هو أن دراسة الأولى أكثر صعوبة نسبياً من دراسة الأخيرة ؛ فالوحدات اللغوية إذا كانت تعكس الخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب أو العلاقة بينهما ، فإن الكلام الذي يشتمل على مثل هذه الوحدات ينبنى المتلقى عن الطريقة التي يرى بها المتحدث هذه الخصائص ^(١) .

فالتوكيد يعكس السمات والخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب والعلاقة بينهما ، وهو يتفاوت تبعاً لأهمية الموضوع ومكانة المؤكد . ومنى إرداد إدراك الفرد لأهمية موضوعه وموقع من يتحدث إليه تعددت الوسائل وتنوعت الطرق لتحقيق المعنى المراد .

ولم يغفل العرب القدماء قيمة التوكيد وأهميته في الكلام ، وإدراكاً منهم لذلك فقد « أفردوا له باباً لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم باباً ، كالصفة والعطف والإضافة والتداء والتدبة والقسم والجزاء ، ونحو ذلك » ^(٢) .

(١) المرجع السابق ١٨٨ - ١٨٩ مع تصرف يسير .

(٢) ابن جني - الخصائص ٤٥١/٢ .

ويمثل التوكيد وجهًا من وجوه الاحتياط والتمكين للمعنى ، قال ابن جنى :
 « اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكتته واحتاطت له . فمن ذلك التوكيد ،
 وهو على ضربين : أحدهما : تكرير الأول بلفظه ، وهو نحو قولك : قد
 قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، والله أكبر الله أكبر . والثاني : تكرير الأول
 بمعناه . وهو على ضربين : أحدهما : للإحاطة والمعموم ، مثل : قام القوم
 كلهم . والآخر : للتثيت والتمكين ، مثل قام زيد نفسه »^(١) .

ويعد التوكيد ملمحًا من ملامح الإطالة في الكلام ، فقد يطيل المرء حديثه
 للتوكيد ، « قيل لأبي عمرو : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ، لتبلغ . قيل :
 أفكانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها » ، وفسرت « تبلغ » ب : تؤكد ،
 وفسرت : « يحفظ » ب « يخفف »^(٢) . وقد أشار ابن جنى في أكثر من
 موضع في الخصائص إلى أن التوكيد لا يقع للإيجاز والاختصار ، من ذلك
 قوله : « التوكيد للإسهاب والإطناب ، والحذف للاختصار والإيجاز »^(٣) . فإذا
 أسهبت العرب في أمر ، فذلك مرجعه إلى أهميته وعلو قدره بين الأمور ،
 لأنهم - أي العرب - مع ما ذكرنا - إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ،
 وهم لا يميلون إلى الإكثار والإطالة إلا لضرورة داعية إلى ذلك^(٤) .

كما يعد أحد معان ثلاثة يأتي لها المجاز ، إذ « يقع ويُعدك إليه عن الحقيقة
 لمعان ثلاثة ، وهى : « الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه . فإن عدم هذه
 الأوصاف كانت الحقيقة البتة . والحقيقة : ما أقر في الاستعمال على أصل
 وضعه في اللغة . والمجاز ما كان بضد ذلك »^(٥) .

(١) راجع : ابن جنى - الخصائص ١٠١/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ٨٣/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٩٠/١ ، وانتظر ٢٨٧/١ ، ٢٨٢/٢ من المصدر نفسه .

(٤) المصدر السابق ٨٣/١ .

(٥) المصدر السابق ٤٤٢/٢ .

ومما يدل على لحاق المجاز بالحقيقة عندهم وسلوكه طريقته فى أنفسهم ان العرب قد وكَّدته كما وكَّدت الحقيقة ، ووقوع التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتماله عليها^(١) ؛ حتى إن أهل العربية أفردوا له باباً لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ؛ كما أفردوا لكل معنى أهمهم باباً^(٢) .

والمجاز أعم من الاستعارة ، فكل استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة ، ولا معنى للإيجاز إلا أن يدلَّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وإذا لم تجعله وصفاً للفظ من أجل معناه ، أبطلت معناه ، أعنى أبطلت الإيجاز ، والمجاز إذا أكثر لحق بالحقيقة^(٣) .

وخلاصة الأمر أنه إذا كان صوغ الكلام ونظمه ليس إلا أن تضعه الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك ، فلا تخل بشئ منها ، كما أشار إلى ذلك صاحب دلائل الإعجاز ، وإذا كانت التراكيب تتنوع فى استخدامها بين الحقيقة والمجاز ، والإنسان يؤكد الحقيقة ، إذا كان كل ذلك يقع فإنه دليل على كون التوكيد ظاهرة اجتماعية ، تشيع لدى البشر مع اختلاف أعمارهم وتفاوت ظروفهم ، مما يميز الإنسان من سائر المخلوقات .

ثالثاً : العناصر الصوتية للتوكيد

ثمة عدد من العناصر التى يوردها الباحثون فى إطار الدرس اللغوى ، على أنها تؤدى عدداً من المعانى المختلفة كالاستفهام والتعجب والاستكثار والدعاء ، وهذه العناصر صوتية لا صرفية .

(١) كلما وردت العبارة وأظن أن الصواب « واشتمالها عليه » .

(٢) راجع الخصائص ٤٥١/٢ ، ٤٥٣ مع تصرف يسير .

(٣) راجع دلائل الإعجاز ٤٦٢ والخصائص ٤٤٧/٢ .

من ذلك مثلاً الطول فى الصوت الذى يستعمل كوسيلة من وسائل التعبير التوكيدية emphatic أو الانفعالية emotional . . . لتأكيد مقطع من المقاطع^(١) . ويتناول الباحثون فى الدراسات الصوتية الطول فى الصوت تحت ما يعرف بالكمية ، وتعلق بالمدة الزمنية للأصوات ، وتتوقف كمية كل صوت على سرعة الإلقاء speed of delivery وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت فى القصر والعكس صحيح . وعلى ذلك فمدة الأصوات تعتمد على طول المجموعة المنطوقة . فكلما زاد طول هذه المجموعة قصر طول كل صوت فيها ، إلا أن المدد الزمنية للأصوات الكلامية تعتمد أيضاً على نوعيتها الصوتية ذاتها . يضاف إلى ذلك كمية الحركة التى تعتمد على الساكن التالى لها .

وتلعب الفروق الكمية دوراً لغوياً فى التمييز بين الكلمات والصيغ ، كما أن النوع من الفرق الكمية يعنى ضمناً أن الفونيم الطويل فى سياق صوتى معين أطول فى مدته الزمنية من الفونيم القصير ، بقدر يكفى الأذن من إدراك الفارق ، ويكفى السامع أن يكون لديه انطباع واضح بذلك . وتعرف الكمية المدركة المحسوسة بالكمية الذاتية ، وهى الكمية الوظيفية Functional أو اللغوية^(٢) .

ويعد الطول فى العربية عنصراً هاماً فى اللغة العربية وله فيها دور وظيفى ، باختلاف الطول يميز المعنى فى كل من: نوح ، ونائح ، وقام ، قم ، قوموا . ولا يخلو تراثنا اللغوى من الحديث عن الطول الصوتى أو الكمية الصوتية للحركات والحروف وأثرهما فى المعنى ، إذ أشار ابن جنى فى أكثر من موضع فى كتاب الخصائص إلى إطالة الحركات والحروف^(٣) ، والمواضع التى تشتد

(١) مالميرج - الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليل ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) راجع : ابن جنى - الخصائص ١٢٠/٣ - ١٣٣ .

الحاجة فيها إلى إطالة الصوت ، لتمكين الحرف وتوفيته وتطاولاً إلى إطالته^(١) كما أشار إلى أن « مطل الصوت ، ومده وتراخيه والإبعاد فيه لمعنى الحادث »^(٢) .

ومن العناصر الصوتية التي يستدل بها على التوكيد « النبر » إذ « من الممكن على أى حال استعمال النبر للتعبير عن التوكيد emphasis أو الانفعال emation . وهذه الأنواع من النبر تسمى على التوالى بالنبر التوكيدى emphatic والنبر الانفعالى emotional . هذه الأنواع من النبر تشتمل على نبر إضافى على مقطع غير المقطع الذى يقع عليه النبر عادة »^(٣) .

وتكمن حقيقة النبر فى تنوعات شدة الصوت ، أو بمعنى آخر أدق علو الصوت ، إذ إنَّ القضية قضية إدراك وحس . وهذه التنوعات فى درجة الصوت تتفاوت من شخص إلى آخر ، فكل متكلم يستعمل نوعية صوتية معينة تختلف عن الآخر ، وعلى ذلك فدرجات الصوت الفعلية المستعملة فى عبارة معينة منطوقة تتباين تبايناً واضحاً من متكلم لآخر^(٤) ، أى أن النبر نوع من القوة النسبية التى تختلف قوة وضعفها من شخص لآخر ، فكل شخص يمكن التعرف على ما لديه بناء على مستوى صوته .

ويتقارب حديث كل من يسبر من ورجاء نصر ونحوهما من اللغويين من الحديث السابق عن النبر^(٥) ، وهو يتنوع بين القوة والتوسط

(١) ابن جنى - الخصائص ١٢٩/٣ .

(٢) المصدر السابق ١٥٥/٣ .

(٣، ٤) مالميرج - الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليل ١٥١ .

(5) See: Jespersen, Language its Nature and Development, p. 271-272 Raja Naser, The Structure of Arabic, p. 47.

وكذلك د. إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية ٨٢ ، ود. أحمد مختار عمر - دراسة الصوت اللغوى ١٩١ .

والضعف^(١) ، وبين النبر الصرفى ، أى نبر الصيغة ، والنبر السياقى أى الدلالى الذى يقع فى الجمل وليس على الكلمات مفردة^(٢) وهو ما أسماه الدكتور السمران ارتكار الجملة^(٣) .

وقضية النبر فى العربية موضع جدل لدى الباحثين ، فهنرى فليش يرى أن « نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب ، بل لم نجد له اسماً فى سائر مصطلحاتهم »^(٤) ويرى الدكتور تمام حسان « أن دراسة النبر ودراسة التنغيم فى العربية تتطلب شيئاً من المجازفة ، لأنها لم تعرف ذلك فى قديمها ، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين »^(٥) ويرى بروكلمان أن اللغة العربية القديمة يدخل فيها نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كمية المقطع ، فإنه يسير فى مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده ، فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل ، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها^(٦) .

ومن يبحث فى كتاب الخصائص يجد أن ابن جنى أشار إلى قضية النبر بشكل غير مباشر ، إذ لم يستخدم المصطلح صريحاً واضحاً ونحسب أن استخدامه لكلمات مثل : التطويج والتطريح والتفخيم والتعظيم ، ومثل : فتزيد فى قوة اللفظ ، ومثل : تتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، ومثل : وتتمكن الصوت وتفخمه^(٧) نحسب أن استخدامه لمثل هذه

(١) د. عبد الكريم مجاهد - الدلالة اللغوية عند العرب ١٧٠ .

(٢) د. تمام حسان - مناهج البحث فى اللغة ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣) د. محمود السمران - علم اللغة ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٤) هنرى فليش - العربية الفصحى - ترجمة د. عبد الصبور شاهين ط ١ / ٤٩ .

(٥) مناهج البحث فى اللغة ١٦٣ - ١٦٤ .

(٦) د. رمضان عبد التواب - لحن العامة ٥٤ .

(٧) ابن جنى - الخصائص ٣٧٠ / ٢ ، ٣٧١ .

الكلمات إشارة إلى النبر بمعناه الذى يدور حوله المحدثون ، من الطاقة الكامنة فى الصوت من حيث قوته ووضوحه وسعة امتداده وطول مقطعه .

وآخر العناصر الصوتية المؤثرة فى التوكيد عنصر « التنغيم » intonation وهو « وثيق الصلة بالنبر ، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة أى فى الكلمة التى تقع فى آخر الجملة »^(١) . وهو « المصطلح الصوتى الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) فى درجة pitch الجهر voice فى الكلام »^(٢) . وهو نوع من التغيرات الموسيقية التى تتنوع أصواتها صعوداً وهبوطاً ، « وما يهتما من الناحية اللغوية ليس درجة الصوت المطلق absolute pitch بل درجة الصوت النسبية relative pitch ... إذ بفضل الفروق النغمية أو التنغيم يمكننا الإفصاح عن كل صنوف حالات الفكر أو المشاعر (الرضا ، السخط ، الدهشة ، الخذلان ، الازدراء ، الكراهية ... الخ) . كما يمكن تحويل العبارة الخبرية أو التقريرية إلى الاستفهامية ، أو التعبير عن الاستفهام والمقابلة بينه وبين الإخبار أو التقرير والإشارة لشيء لم يتتبعه بعد »^(٣) .

إن التنغيم وهو « ظاهرة فيزيولوجية ، لا يمكن كبتها فى كلام طبيعى ، يتسرب إلى نظام التسمية ، حيث أصبح مطية وضعيات مختلفة منها : التأكيد ، والاستفهام والنداء ، وأخذ يحل محل حروف المعانى الأصلية المفيدة لها ، فصرنا نقول : « فلان ! » بدل أن نقول « يا فلان » و « فهمت ؟ » بدل « أفهمت ؟ »^(٤) .

ولم يقف أمر التنغيم عند حد إفادته لأغراض متنوعة فى تسميتها بل « نافس

(١) د. عبد الكريم مجاهد - الدلالة اللغوية عند العرب ١٧٧ .

(٢) د. محمود السمران - علم اللغة ٢١٠ .

(٣) مالمبرج - الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليل ١٥٢ مع تصرف يسير .

(٤) أندري رومان - فى تطور اللغة العربية ١١٣ .

أيضاً حركات الإعراب . صار بعضهم يقول « أمكن الوالد أن ... » ، « ترك الموظف الملف على المكتب » وذلك لأن التنغيم أمد اللغة بعلامات تنغيمية تأملت لتعيين وتبين علاقات وحدات الجملة بعضها ببعض . إن للتنغيم دوراً وظيفياً في اللغة الفصحى ، فإذا قرأ قارئ الآية ١٨ من سورة يوسف «إنهم فتية آمنوا بربهم» وفقاً للتجويد كانت الجملة الفعلية « آمنوا بربهم » جملة تابعة لمفرد جملة وصفية . ولو قرأ الآية ساكناً عن « فتية » ومستأنفاً بعد سكوته جعل الجملة الفعلية « آمنوا بربهم » جملة مستقلة ليس لها محل من الإعراب ، فبديهي أن تركيب الآية النحوى متعلق بتنغيم القراءة . فالتنغيم بصفة عامة يواكب ترتيب الوحدات الواقعة ضمن الجمل . . . وقد يخالف تسلسل وحدات الجملة ، كما هو الحال في الجملة الآتية : رأيته يتحرك بعينى ، فإن الفضلة « بعينى » لا تتعلق بالفعل الذى قبلها « يتحرك » بل بالفعل « رأيت » الذى يسبق هذا الفعل . فالتنغيم هو الوسيلة اللسانية التى تستعملها اللغة لتعين مناهج الفضلة «^(١)» .

وللتنغيم خط معين يلتزم به ، فعندما تقال الجملة فإنها تقال بطريقة معينة ، بتنغيم معين ، أو موسيقى معينة ، ويستطيع السامع أن يعرف أن ما سمعه سؤال أو إخبار أو تعجب ، حتى ولو لم يعرف بالضبط مضمون ما سمعه ، فمن التنغيم تعرف أن الجملة التى سمعناها كانت سؤالاً أو إخباراً أو تعجباً أو مؤكدة أو نداء . . . الخ .

فالخط التنغيمى / / ينطبق على معظم الجمل الإخبارية العادية ، فهى تبدأ بالنغمة العادية وتستمر عليها ، وقبل النهاية بقليل ترتفع النغمة إلى النغمة العالية ثم تهبط عند نهاية الجملة إلى النغمة المنخفضة مع الفاصل الهابط . وينطبق هذا الخط أيضاً على الجمل الاستفهامية التى لا تنجاب بنعم أو لا .

(١) اندرى ومان - في تطور اللغة العربية ١١٦ بتصرف يسير .

والخط التغمي / ٢ / وهو ينطبق على الجملة الاستفهامية التي جوابها نعم أو لا ، وهى تبدأ بالنغمة العادية ، ثم ترتفع إلى النغمة العالية قبل النهاية ، ثم تستمر على النغمة العالية عند النهاية مع الفاصل الصاعد^(١) . ونظن أن التأكيد يندرج تحت هذا الخط .

وأخيراً لا شك أن أثر العنصر الصوتي فى إبراز دلالة التوكيد فى إطار البنية الصرفية والتركيب النحوى ، لا يكون بالاعتماد على أصوات المرء بمفردها دون الاستعانة بوسائل التقنية التى تساعد على قياس الذبذبات الصوتية للأبنية والتركيب المؤكدة ، مع محاولة استماع المنطوق من أكثر من شخص فى مراحل مختلفة ومستويات متفاوتة ، واعتقد أن ذلك أمر يحتاج إلى دراسة منفردة بذاتها .

رابعاً: التوكيد والوظيفة النحوية

أشار النحاة إلى أن التوابع ثوان لا يحسب إعراب إلا على سبيل التبعية لغيرها ، ويقصد بقولهم ثوان أى فروع فى استحقاق الإعراب ، لأنها لم تكن المقصودة ، وإنما من لوارم الأول كالتسمة له ، فالتبوع أصل ومقصود فى الجملة ، والتابع فرع وتكملة للأول^(٢) .

ويستفاد من كلام النحاة السابق إدراكهم لموقع التابع فى الجملة ، كما يستفاد أن التابع أياً كان لا يشغل موقعاً وظيفياً نحوياً فى الجملة ، وأنه بمثابة الشئ المتمم لمعنى شئ آخر ، زيادة فى الإيضاح ، ورغبة فى توثيق المعنى وتثبيتته وتمكيته فى النفس .

(١) د. محمد على الخولى - الأصوات اللغوية ١٧٠ ، ١٧١ وللمزيد من التفاصيل راجع د. تمام حسان

- مناهج البحث فى اللغة ١٦٤ - ١٧٠ .

(٢) راجع ابن يعيش - شرح المفصل ٨٣/٣ .

والتأكيد باعتباره تابعاً من التوابع لا يشكل عنصراً وظيفياً أساسياً فى الجملة العربية ، إذ يكون تابعاً لغيره ، وألفاظه ليست مستقلة مستغنية عما تقدم عليها ، فهو لا ينزل منزلة المبتدأ أو الخبر فى التركيب الاسمى ، ولا ينزل منزلة الفعل والفاعل فى التركيب الفعلى . ويبدو من خلال قول النحاة بتبعية المؤكّد للمؤكّد أن « التوكيد عندهم مفهوم تركيبى قبل أن يكون مفهوماً دلالياً ، والمقصود به عندهم أنه عنصر ليست له وظيفة نحوية أساسية ، وإنما هو تابع . عندما نقول : « جاءوا هم بالغنيمة » يكون من الممكن أن يؤول « هم » فاعلاً وتوكيداً فى نفس الوقت ، لو كان المقصود بالتوكيد ما يقصد عادة بالبوّرة^(١) . ولكن الأمر عندهم خلاف ذلك . ومع هذا ، نجد الذى يفصل البدل عن التوكيد أمراً دلالياً لا تركيبياً ، وهذا هو الذى أدى ببعضهم إلى خلط البدل بالتوكيد أحياناً^(٢) .

إن تقارب التعريف لكل من التوكيد والبدل أدى إلى الخلط بينهما ، إذ صار يعول فى تمييز أحدهما من الآخر على الدلالة لا على التركيب . وقد أدرك ذلك نحاة العرب القدماء ، والنص التالى للاستراباذى بين لنا مدى الحيرة التى وقع فيها هؤلاء النحاة ، قال الاستراباذى : « قال النحاة : إن المنفصل فى نحو : ضربتك أنت تأكيد ، وفى ضربتك إياك بدل ، وهذا عجيب ، فإن المعنيين واحد ، وهو تكرير الأول بمعناه ، فيجب أن يكون كلاهما تأكيداً ؛ لاتحاد المعنيين ، والفرق بين البدل والتأكيد معنوى كما يظهر فى حد كل منهما . وقال الزمخشري فى : مررت بك بك ، إن الثانى بدل ، وهذا عجيب من الأول ، إذ هو صريح التكرير لفظاً ومعنى ، فهو تأكيد

(١) أى ينزل فى موضع مقدم من الجملة ، مثل المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل (راجع عبد القادر الفاسى

الفهري ١١٣/١ - ١١٤ .

(٢) د. عبد القادر الفاسى الفهري - اللانبات واللغة العربية ١٦٩/٢ .

لا بدل ، وهذا مثل قوله فى باب المتادى إن الثانى فى : يا ريد ريد بدل ،
وجميع ذلك تأكيد لفظى ^(١) .

ولم يذهب ابن مالك مذهباً بعيداً عما قال به الاسترأباضى ، إذ
يقول : «وجعل الزمخشري من أمثلة البذل : مررت بك بك ، وهذا إنما
هو تأكيد لفظى ، ولو صح جعله بدلاً لم يكن للتوكيد اللفظى مثلاً يخص
به» ^(٢) .

ومع أن البذل يجرى مجرى التوكيد فى التحقيق والتشديد فإن العبرة فى
البذل أن يصلح لحذف الأول ، وإقامة الثانى مقامه ^(٣) . ولعل إمكانية حذف
الأول فى البذل ، وإقامة الثانى مقامه هى التى دفعت عالماً مثل الزمخشري إلى
اعتبار التكرار فى مثل : ضربتك إياك بدلاً ، واعتبار التكرار فى مثل :
ضربتك أنت توكيداً ، إذ يمكن القول : ضربت إياك ، ولا يقال : ضربت
أنت ، لكون الضمير المنفصل «أنت» من ضمائر الرفع ، والضمير المنفصل
«إياك» من ضمائر النصب ، كما أن استعمال الضمير المنفصل لا يكون فى
المواضع التى يمكن أن يقع فيها المتصل ، لأنهم لا يعدلون إلى الأثقل (يقصد
الضمير المنفصل) عن الأخف (يقصد الضمير المتصل) والمعنى واحد إلا
لضرورة ، فلذلك «لا نقول : ضرب أنت ولا هو ، لأنه يجوز أن يقع هنا
المتصل فتقول : ضربت وضرب ، فتكون التاء الفاعلة ، ولا حاجة إلى أنت ،
وكذلك يكون الفاعل مشتركاً ، ولا حاجة إلى «هو» ، لأن الأول أو جز .
كما أن التوكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل ، نحو : قمت أنا ، واسكن
أنت ، ولذلك من المعنى وجب أن يكون المضرع هو الأول فى المعنى ، لأن

(١) الاسترأباضى - الكافية ١/ ٣٣٢ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٣/ ٣٣٣ .

(٣) ابن جنى - اللع فى العربية ١٤٤ .

التأكيد هو المؤكد فى المعنى ، ولهذا المعنى يسميه سيويه وصفاً ، كما يسمى التأكيد المحض^(١) .

وربما التبس ضمير الفصل بالتأكيد والبدال فى مواضع ، والذي يفصل بينهما ما يلى : أما الفرق بين الفصل والتأكيد فإنه إذا كان التأكيد ضميراً فلا يؤكد به إلا مضمر ، نحو : قمت أنت ، ورأيتك أنت ، ومررت بك أنت ، والفصل ليس كذلك ، بل يقع بعد الظاهر والمضمر ، فإذا قلت : كان زيد هو القائم ، لم يكن هو ههنا إلا فصلاً ، لوقوعه بعد ظاهر ، ولو قلت : كنت أنت القائم ، جاز أن يكون فصلاً ههنا وتأكيداً . . . وأما الفصل بينه وبين البديل فإن البديل تابع للمبدل منه فى إعرابه كالتأكيد ، إلا أن الفرق بينهما أنك إذا أبدلت من منصوب أتيت بضمير المنصوب ، مثل : ظننتك إياك خيراً من زيد ، وإذا أكدت أو فصلت لا يكون إلا بضمير المرفوع . ومن الفرق بين الفصل والتأكيد والبدال أن لام التأكيد تدخل على الفصل ، ولا تدخل على التأكيد والبدال ، فنقول فى الفصل : إن هذا لهو القصص الحق ، إن كنا لنحس الصالحين ، ولا يجوز ذلك فى التأكيد والبدال ، لأن اللام تفصل بين التأكيد والمؤكد ، والبدال والمبدل منه ، وهما من تمام الأول فى البيان^(٢) .

وما يجدر ذكره فى إطار ما ساد أقوال النحاة من خلط أن إعادة اللفظ بعينه فمن قبيل التأكيد ، لأنك إذا اتبعت اسماً باسم آخر وهما لعين واحدة ، كان الثانى مرادفاً للأول ، ليعلم السامع بمجموعهما ، كما أن الضمائر كلها لك أن تبدل منها ، إلا ضمير المتكلم والمخاطب ، فلا يحسن البديل من كل واحد منهما ، لأن الغرض من البديل البيان ، وضمير المخاطب والمتكلم فى غاية الوضوح ، فلم يحتج إلى بيان^(٣) .

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ١٠٢/٣ ، ١١٠ .

(٢) المصدر السابق ١١٣/٣ .

(٣) المصدر السابق ٧٠/٣ .

وعند تأكيد الضمير بثله من الضمائر فيكون تأكيد المرفوع والمنصوب والمجرور بلفظ واحد وهو ضمير المرفوع ، مثل : قمت أنت ، ورأيتك أنت ، ومررت بك أنت ، إنما كان كذلك من قبل أن أصل الضمير أن يكون على صيغة واحدة في الرفع والنصب والجرح ، كما كانت الأسماء الظاهرة على صيغة واحدة ، والإعراب في آخرها يبين أحوالها ، وكما كانت الأسماء المبهمة المبنيّة على صيغة واحدة وعواملها تدل على إعرابها ومواضعها ، مثل : جاءني هذا ، ورأيت هذا ، ومررت بهذا^(١) .

خامساً : جدوى التوكيد

إذا كان لا يغيب عن البال أن استخدام الإنسان للغة ليس عشوائياً ، فإن ذلك يعنى أن تناوله لمستوياتها في إطار مقنن ، دون استغلال لأى مستوى على حساب غيره ، وليس في مقدور الفرد أن يفصل مستوى عن الآخر ، كما أنه ليس في مقدوره أيضاً أن يقف عند حدود فن بعينه من فنون العربية ، فنراه يحشد صوته وصرفاً ونحواً ومعجماً وبلاغة في ثنايا التراكيب اللغوية التي يستخدمها أملاً في الوصول إلى الهدف المنشود ، وهو التعبير عن أغراضه ، والإعراب عن مكنوناته .

وإذا كان الإنسان في كل أحواله لا يتعدى القول أو الفعل ، فإنه ليحرص أشد الحرص على أن يؤكد قوله أو فعله بوسائل مختلفة للتعبير عن احتياجاته ، والإعراب عن كوامن نفسه ، وذلك يشير إلى أهمية التوكيد وفوائده التي لا تنكر ، ويمكن إيجاز جدواه فيما يلي :

١ - التوكيد ضرب من الإشباع في الكلام لإزالة التوهم بعدم الجمع بين أمرين : النفي أو الإثبات ، السلب أو الإيجاب ، الأفراد أو الجمع ،

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٤٣ / ٣ .

وهو يدخل فى الكلام لإخراج الشك ، ويكون فى الأعداد لإحاطة الأجزاء .

ب- تمكين المعنى فى نفس المخاطب ، ودفع الغلط فى التأويل ، وذلك من قبل أن المجاز فى كلام العرب كثير شائع ، يعبرون بأكثر الشئ عن جميعه ، وبالمسبب عن السبب ، قُرْبَ لفظ دال وضماً على معنى حقيقة فيه ، ظن المتكلم بالسامع أنه لم يحمله على مدلوله ، إما لسفولته أو لظنه بالتكلم الغلط ، أو لظنه به التجور ، فإذا قلت : قام القوم ، جاز أن يكون القائم أكثرهم ونحوهم ممن ينطلق عليه اسم القوم ، فإذا ذكرت الاسم بتكريره أو باتباعه اسماً من أسماء التوكيد المعنوى ، فقد أزلت الوهم ، وأذهبت الظن بالحقيقة ، إذ التوكيد يأتى ليدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه ، وليدفع ظنه بالتكلم الغلط ، ويدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوراً ، وإجمالاً فإن التوكيد يأتى لتقرير المعنى فى النفس ، وتمكينه والاحتياط له ، لإزالة الاحتمال واللبس والشك والتبعض^(١) .

ج- التوكيد يأتى لتعظيم قدر الواحد ، بأن تأتى بلفظه على اللفظ المعتاد للجماعة ، كما أنه يرفع المجاز من جهة وقوع الحدث ، ويصيره إلى الحقيقة ، ويأتى زيادة فى البيان للمبالغة ، أو تحسناً لللفظ ، ولم يكن هناك لبس .

د - التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتماله عليه^(٢) ، حتى إن أهل العربية أفردوا له باباً لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا

(١) انظر : ابن عبيش - شرح المفضل ٣/ ٤٠ ، الحيدرة - كشف المشكل ٤/ ٨ - الرضى - الكافية فى النحو ١/ ٣٢٨ .

(٢) هكذا وردت الكلمة فى الخصائص والظن أنها « واشتمالها عليه » .

يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم باباً ، كالصفة والعطف والإضافة والنداء والتدبة والقسم والجزاء ونحو ذلك^(١) .

هـ- ويتفرع من هذه الفوائد الأساسية أغراض أخرى ، مثل : التنبيه أو التذكير ، أو التهديد ، أو استرعاء الانتباه إلى عاطفة معينة ، مثل : الحزن والفرح أو الخوف أو الرغبة في فعل شيء ما .

سادساً : أنماط التوكيد في الجملة العربية

الوسائل التي تملكها الطاقة اللغوية للتعبير غير قليلة ، ويحرص المرء منذ نعومة أظفاره على استغلال ما يكون مسرّاً من هذه الوسائل ، فتتعدد الطرق ، وتنوع السبل في استخدام الجمل والتراكيب النحوية . وكلما ازداد إدراكه لذاته وللأشياء من حوله ، وما يطرأ عليها من تبدل وتحوّل ، انعكس ذلك على الاستخدام اللغوي ، وما يلحق هذا الاستخدام من تغيير له أهميته وقيّمته ، مثل : التقديم والتأخير ، أو الحذف والاختصار ، أو الزيادة في حروف الكلمة للمبالغة ، أو العموم والخصوص ، أو الإثبات والنفي ، أو الاستفهام ، أو الشرط ، أو التوكيد ، أو الاستدراك ، أو التعجب ، أو المدح والذم ، أو الاختصاص ، ونحو ذلك .

ويعد التوكيد مظهرًا من مظاهر الاستخدام اللغوي التي تعكس اهتمام المرء ، وحرصه على استيعاب التراكيب النحوية المختلفة لتأكيد وتوثيق المعنى الذي يريده ، إذ يمكن له ويحتاج من أجله بصور متعددة وأنماط متنوعة مما يعين على التحقيق والتسديد لأمر من الأمور لإزالة الشك عنه ، ورفع الاحتمال والتوهم .

(١) ابن جنّي - الخصائص ٤٥١/٢ ، ٤٥٢ .

(٢) الزمخشري - المفصل ١١١ - ١١٤ .

وينقسم التوكيد فى الجملة العربية إلى أقسام متنوعة ، وهذه الأقسام يمكن إدراجها - إن جاز لنا ذلك - فى نوعين هما : التوكيد النحوى ، والتوكيد اللفظى ، وسوف نتناول كل نوع على النحو التالى :

١- التوكيد النحوى

لعلنى أقصد بذلك ما أورده النحاة فى باب التوابع تحت عنوان « التوكيد » أو « التاكيد » ، وهو نوعان : لفظى ومعنوى . وقد عرف هذان النوعان عند الزمخشرى بـ « المكرر الصريح » و « غير الصريح »^(١) ، وأشار ابن جنى إلى النوع الأول بما تكرر أوله فى اللفظ ، وإلى النوع الثانى بما تكرر أوله بمعناه ، فى قوله : « اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكثته واحتاطت له ، فمن ذلك التوكيد ، وهو على ضربين ، أحدهما : تكرير الأول بلفظه ، والثانى تكرير الأول بمعناه ، وهو على ضربين ، أحدهما : للإحاطة والعموم ، مثل : القوم كلهم ، والآخر للتشبيث والتمكين ، مثل : قام ريد نفسه »^(٢) . ويقصد بـ « المكرر الصريح » أو ما يتم فيه تكرير الأول بلفظه يقصد بهذا النوع من التوكيد ما يعرف بالتوكيد اللفظى ، كما يقصد بـ « غير الصريح » أو الذى يتم فيه تكرير أوله بمعناه « التوكيد المعنوى ، وسوف نتناول كلا منهما على النحو التالى :

١- التوكيد اللفظى

الأمر فى التوكيد اللفظى راجع إلى اللفظ وتكريره من ذهن المخاطب وسمعه ، خوفاً من توهم المجاز ، أو توهم غفلته عن استماعه ، فاللفظ هو المقصود . ويعرف بأنه تابع يذكر بعد متبوعه ، أو هو إعادة اللفظ المؤكد بعينه^(٣) .

(١) الزمخشرى - الفصل ١١١ - ١١٤ .

(٢) ابن جنى - الخصائص ١٠١/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ مع تصرف يسير .

(٣) راجع ابن يعش - شرح الفصل ٤٤/٣ ، والحيدرة - كشف المشكل ٧ .

ويرى البعض من النحاة أن التوكيد اللفظي يقع بإعادة اللفظ المؤكد بعينه ، أو لفظ يوازئهِ ، أو بمرادفه ، ولا يضر فيه بضع تغيير نحو « فمهل الكافرين أمهلهم » كما قال السيوطي ، والمرادف مثل « أنت بالخير حقيق قمن » ، ومنه توكيد الضمير المتصل بالمنفصل ^(١) .

ويؤتى بالتوكيد اللفظي زيادة في البيان ، أو تحسیناً للفظ ، ولم يكن هناك لبس ، أو يأتى ليثني ويلاقبه من جهة المعنى للمبالغة .

فيزعم بعضهم أن ما يأتى زيادة في البيان ، قولهم : أصابنا مطر من السماء وطلع علينا نيل من الأرض ، وقوله تعالى : ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ وقد علم المخاطب أن المطر لا يكون إلا من السماء ، والنيل لا يكون إلا من الأرض ، وأن السقف لا يخر إلا من فوق ، والطائر لا يطير بغير جناحين ، ولكن أريد بذلك المبالغة . وما يأتى تحسیناً للفظ ، قولهم : أنت في حلٌ وبِلٌ ، وزيد جائع نائع ، وعطشان نطشان ، والثوب حسنٌ ، بَسَنٌ ^(٢) .

وإذا كان الأصل في التوكيد اللفظي إعادة اللفظ وتكراره ، فهذا اللفظ هو الأول بعينه ، ولو كان في الثاني زيادة فائدة لم يكن تأكيداً ، لأن التأكيد تمكين المعنى المؤكد ، ولأن التأكيد بصريح التكرير يرجع إلى لفظ المؤكد كائناً ما كان ^(٣) .

وفي ظني أن ما قيل بخصوص التوكيد الذي يأتى بلفظ موازن أو مرادف للأول للتحسين أو المبالغة أو ليثني اللفظ ويلاقبه من جهة المعنى لا يكون لهذا الغرض ، أي للتوكيد اللفظي ، وإنما يخرج إلى أغراض أخرى غير التوكيد ،

(١) راجع : الحيدرة - كشف المشكل ٧ ، والحضري - حاشيته ٥٨/٢ .

(٢) الحيدرة - كشف المشكل ٧ ، ٨ ، ٩ مع تصرف يسير .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٤١/٣ .

وما زعمه الآخرون ومنهم الأصمعي أن لكل واحد من هذه الالفاظ معنى ، ويختص به غير معنى الآخر صحيح ، ومن ثم يخرج هذه العبارات عن إطار التوكيد اللفظي أو النحوي الاصطلاحي ، إلى ما يمكن تسميته بالتوكيد اللغوي ، أو ما يعرف بالاتباع ، إذ لا معنى لها إلا بالتحسين ، وترصيع اللفظ بالفاظ متجانسة ومتوازنة .

والتوكيد اللفظي أعم وأشمل ، فهو جار في كل شيء ، في الاسم والفعل والحرف والجملة ، ولا يؤكد المظهر إلا بمثله ، ولا يؤكد المضمهر إلا بمثله ، فلا يؤكد المظهر بمضمهر ؛ « لأن التأكيد تكملة ، والأول هو المقصود ، ولا يليق أن تكون التكملة أقوى من المقصود ، فلذلك لم يؤكد المظهر بمضمهر »^(١) .

وهناك موطن لا يجوز فيه التوكيد اللفظي ، وذلك قولك : احذر الأسد ، ولا يجوز لك في هذا الكلام أن تكرر الاسم المحذر منه ، لثلا يجتمع البدل والمبدل منه ، لأنهم جعلوا التكرار نائباً عن الفعل^(٢) .

ولا تختلف الأغراض التي يأتي لها التوكيد اللفظي عن الأغراض التي طرحت في ثنايا حديثنا عن جدوى التوكيد . ويجب أن يلاحظ أن اللفظ الذي يقع توكيداً لفظياً ممنوع من التأثير والتأثير ، أي لا تؤثر فيه العوامل ، فلا يكون مبتدأ ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً به ، ولا غيره ، فليس له موضع من الأعراب مطلقاً ، وكذلك ليس له تأثير في غيره ، وإنما يقال في إعرابه : إنه توكيد لفظي لكذا^(٣) ، لكونه تابعاً له ، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله « مبنى عليه في قوله : « قد جربتك فوجدتك أنت أنت » ، فانت الأولى مبتدأ والثانية مبنية عليها »^(٤) .

(١) ابن الحاجب - الإيضاح على شرح المفصل ٤٣٩/١ ، وانظر الأشباه والنظائر ٢/٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) السيوطي - الأشباه والنظائر ٢/٢٢٩ .

(٣) عباس حسن - النحو الوافي ٣/٥٢٧ .

(٤) سيبويه - الكتاب ٢/٣٥٩ .

ويذهب الدكتور مهدي المخزومي إلى أن التوكيد اللفظي ليس من التوابع في قوله : « فإذا أنعمت النظر في قولهم : جاء زيد زيد ، رأيت أن « زيد » الثاني تكرر لزيد الأول ، بجميع ماله من سمات لفظية ، ومنها الرفع ، فارتفاع زيد حكاية لا اتباع^(١) » .

وأخيراً في ختام حديثنا عن التوكيد اللفظي يجب أن نشير إلى أن كل تكرير للفظ لا يعد توكيداً فإذا ادل التكرير على ترتيب أو تفصيل ، كان حالاً لا توكيداً ، مثل : مشى الطلاب اثنين اثنين ، قرأت الكتاب فصلاً فصلاً .

٢- التوكيد المعنوي

يعرف هذا الضرب من التوكيد عند الزمخشري بـ « غير الصريح » كما أشرنا ، ويكون بتكرير المعنى دون لفظه^(٢) ، أو هو تابع بالفاظ محصورة فلا يحتاج إلى حد ولا رسم^(٣) ، وجملة هذه الالفاظ تسعة ، وهي تتفاوت في الدلالات التي تؤديها فلفظة « نفس » و « عين » يؤكد بهما ما تثبت حقيقته ، وما يراد منه إزالة الاحتمال عن الذات في صميمها ، وإبعاد الشك المعنوي عنها^(٤) . وأما « كل » و « أجمع » و « عامة » فهي الفاظ تفيد الإحاطة والعموم ، ولا يؤكد بهما إلا ما يتبعض ويتجزأ ، وهما عكس « نفس » و « عين » اللذين يؤكد بهما ما يتبعض وما لا يتبعض ، لأنهما لإثبات حقيقة الشيء^(٥) . وأما « كلا » و « كلتا » فهما يأتيان لإزالة الاحتمال والمجاز عن التثنية ، وإثبات أن المثنى هو المقصود حقيقة ، ومجيئهما يكاد يقطع في أصله

(١) د. مهدي المخزومي - في النحو العربي - قواعد وتطبيق ١٩٤ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٤٠/٣ .

(٣) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٦٠٨/٢ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ٤٠/٣ ، عباس حسن - النحو الوافي ٥٠٣/٣ .

(٥) شرح المفصل ٤٠/٣ .

الثنية بفهم لاشك فيه ولا احتمال ، ويدل - فى الأغلب - على أن المراد هو الدلالة على الثنية الحقيقية التى تنصب على اثنين معاً ، أو اثنتين معاً . ولا فرق بين أن تكون الثنية على سبيل التفريق أو على غير سبيله ، نحو : فار الأول والثانى كلاهما ، وفارت الأولى والثانية كلاهما ، وفار السابقان كلاهما ، وفارت السابقتان كلاهما^(١) .

ويلحق بالألفاظ : كل ، جميع ، عامة ، ألفاظ أخرى ، هى : أجمع ، وجمعاء ، وأجمعون ، وجمع ، وهى تدل على الإحاطة والشمول والعموم ، وقد ألحقت بالألفاظ التوكيد الثلاثة الأولى ، لكون الكثير الفصيح فى استعمالها أن تقع مسبوقة بلفظة « كل » التى للتوكيد أيضاً ، ومطابقة لها ، ومقوية لمعناها^(٢) .

وتتبع « أجمع » كلمات : أكتمون أبصعون ، كتماع بصعاء ، كتّع بضع ، إذ لا تستعمل إلا بعده ، ولا تستعمل منفردة ، فهى شبيهة بقولهم شيطان ليطان ، وقيل إن معناها كمعنى أجمعين ، وهو الإحاطة والعموم ، فأجمعون من معنى الجمع ولفظه ، وأكتمون من قولهم : أتى عليه حول كتيع أى تام ، ومنه قولهم : ما بالدار كتيع ، أى أحد ، وأبصعون من البصع ، وهو الجمع إلا أن أجمع أظهر فى التأكيد ، فلذلك كانت مقدمة^(٣) .

هذه الكلمات التى تتبع « أجمع » يرى ابن جنى أن استخدامها لتوكيد دليل على أن العرب إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « ووجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة - مع مجيئها بها للضرورة الداعية إليها - أنهم لما أكدوا فقالوا : أجمعون ، أكتمون ، أبصعون ،

(١) عباس حسن - النحو الوافى ٥٠٨/٣ .

(٢) المرجع السابق ٥١٧/٣ .

(٣) ابن يسيث - شرح الفصل ٤٠/٣ ، ٤٤ مع تصرف يسير .

أبتعون ، لم يعيدوا أجمعون البتة ، فيكرروها فيقولوا : أجمعون ، أجمعون ، أجمعون ، أجمعون ، فعدلوا عن إعادة جميع الحروف إلى البعض ، نَحْمِيًّا - مع الإطالة - لتكرير الحروف كلها . ومعنى هذه التوابع كلها ، شدة التوكيد : ولا يجوز تقديم بعضها على بعض ^(١) .

ويلاحظ أن العرب اقتصروا في هذه الكلمات على إعادة العين وحدها ، دون سائر الحروف ، وذلك لأنها أقوى في السجعة من الحرفين اللذين قبلها ، وذلك أنها لام ، فهي قافية ، لأنها آخر حروف الاصل ، فجئ بها لأنها مقطع الاول ، والعمل في المبالغة ، والتكرير إنما هو على المقطع ، لا على المبدأ ، ولا المحشى . . . كما أن العين أشهر حروف أجمعين ، إذا كانت مقطعة لها . فأما الواو والنون فزائدتان لا يعتدان لحذفهما في أجمع وجمع ، وأيضا فلان الواو قد تترك فيه إلى الياء ، نحو : أجمعون وأجمعين . وأيضا لثبوت النون تارة وحذفها أخرى ، في غير هذا الموضع ، فلذلك لم يعتدا مقطعة ^(٢) .

ولا تؤكد النكرات بالتأكيد المعنوي ، وإنما تؤكد بالتأكيد اللفظي لا غير . . . ولم تؤكد النكرات بالتأكيد المعنوي ؛ لأن النكرة لم يثبت لها حقيقة ، والتأكيد المعنوي إنما هو لتمكين معنى الاسم ، وتقرير حقيقته ، وتمكين ما لم يثبت في النفس . فأما التوكيد اللفظي فهو أمر راجع إلى اللفظ وتمكينه من ذهن المخاطب وسمعه ، خوفاً من توهم المجاز ، أو توهم غفلته عن استماعه ، فاللفظ هو المقصود في التأكيد اللفظي ، فأما المعنوي فإما المراد منه الحقيقة ، ولذلك أعيد المعنى في غير ذلك اللفظ ، يضاف إلى ذلك أن الالفاظ التي يؤكد بها في المعنى معارف ، فلا تتبع النكرات توكيداً لها ، لأن التوكيد كالصفة ^(٣) .

(١) ابن جني - الخصائص ٨٣/١ ، واللمع ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٨٣/١ ، ٨٤ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٤٠/٣ ، ٤٤ بتصرف يسير ، وقد ذهب الكوفيون إلى جواز تأكيد النكرة بالتأكيد المعنوي ، إذا كانت النكرة محدودة أي معلومة المقدار ، مثل : يوم وشهر وفسخ وميل وضربة وأكلة ونحو ذلك (شرح المفصل ٤٤/٣) .

وفى إطار الحديث عن التوكيد المعنوى يجب أن نشير إلى أن أكتع وأبصع وما يتبعهما تحذف من الفاظ صارت مهملة فى الاستخدامات اللغوية المعاصرة ، ويفضل عدم استعمالها ، كما أن هناك ألفاظاً لا معنى لها فى ذاتها - فى أغلب الأحوال - بل تستمد معناها من المؤكّد ، فتصبح مرادفة لها ، وقد وقع عليها النحاة فاعتبروها توكيداً ، وهى كلمات مثل : عطشان عطشان ، وجائع جائع ، وحقير فقير ، وشيطان ليطان . . . الخ .

نفى رأينا أن مثل هذه الكلمات تعتمد على الموافقة الصوتية ، قبل الوضوح فى المعنى ، وتتخذ من المجانسة الصوتية بين أحرف الكلمتين وسيلة لما يظن أنه توكيد . ويعرف هذا الضرب من التركيب عند العرب بالإتباع ، ولا يشترط فيه وضوح معنى الكلمة الثانية ، وهى ألفاظ سماعية مهملة لا يحسن استخدامها ، إذ ليست توكيداً ؛ لأن التوكيد يفيد مع التَّقْوَى نفى احتمال المجاز ، كما أن التابع من شرطه أن يكون على رنة المتبوع ، والتأكيد لا يكون كذلك^(١) .

ب- التوكيد اللغوى

لعل المقصود بقولنا التوكيد اللغوى - إن جار لنا هذا التقسيم وهذه التسمية - ذلك الضرب من التوكيد الذى يشمل عدداً من الموضوعات التى وردت بمصطلحات متنوعة فى أبواب متفرقة من النحو العربى ، فلم يضمها باب معين ، ولا يجمعها تركيب موحد أو حتى متشابه ، ودلالة التوكيد فى مثلها تعتمد على أداة نحوية معينة ، أو حرف معين فى إطار هذا التركيب أو ذلك ، كما أن هذه الدلالة قد تأتى لترسيخ مفهوم آخر فى التركيب ، مثل : تأكيد القسم ، وتأکید نسبة الخبر إلى المبتدأ ، وتأکید الحدث فى الفعل للفاعل

(١) راجع بالتفصيل - السيوطى - لزمزم ١/ ٤١٤ - ٤٢٥ .

وهكذا ، ومن ثم فليس ينظم الدلالة التوكيدية نوع واحد ، بل أنواع متعددة ، نحاول - ما وسعنا الجهد - أن نلم بأطرافها على النحو التالى :

١- التوكيد بـ « حَسْبُ »

حَسْبُ (بفتح الحاء وتسكين السين) اسم لا يدل على ظرفية ولا مكانية ، بمعنى الاكتفاء ، ويكون مضافاً لفظاً ومعنى ، مثل : أعرف كتاباً حسب القارئ ، بمعنى « كاف » كما قد يكون مضافاً معنى لا لفظاً ، وذلك بأن يحذف المضاف إليه ، وينوى معناه فقط ، ويتضمن النفى ، فيصير المراد منه « ليس غير » ، أو « لا غير » ، مثل : إن لكل إقليم حاضره حسب ، بمعنى لا غير ، ومثل : قرأت ثلاثة كتب فحسب ، أى : ليس غير . ومع الاستخدام الأول تكون « حسب » من الأسماء الملازمة للإضافة ، ومع الاستخدام الثانى تدخل فى عداد الأسماء التى تشبه غير وقبل ، وتسبغ التاكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزيين اللفظ ^(١) .

٢- التوكيد بـ « غير »

أما كلمة « غير » فهى اسم ملازم للإضافة فى المعنى ، ويجوز أن تقطع عن الإضافة لفظاً إن فهم المعنى ، وتقدمت عليها كلمة ليس ^(٢) ، وعند سيويه أنها ليس باسم متمكن ، لكونها لا تكون إلا نكرة ، ولا تجمع ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تحقر ^(٣) ، أى لا تصغر . وتشبه « غير » لفظ « حسب » فى كونها اسماً خالصاً فى اسميته ، ويدل على أن ما قبلها يخالف ما بعدها فى ذاته .

(١) انظر : عباس حسن - النحو الواقى ١٥١/٣ .

(٢) ابن هشام - مفنى اللبيب ١٥٧/١ .

(٣) سيويه - الكتاب ٤٧٩/٣ .

وغير اسم دال على الغاية ، شأنه في ذلك شأن الظروف الدالة على الغايات ، إذ الأصل أن ينطق به: حسب، ولا غير ، وليس غير ، مضافات ، فلما اقتطع عنهن ما يضمن إليه وسكت عليهن ، صرن حدوداً ينتهى عندها ، فلذلك سمين غايات^(١) .

وهذا الاسم يفيد المغايرة ، أى الدلالة على أن ما بعدها مغاير ومخالف لما قبلها فى المعنى الذى ثبت لها ، إيجاباً أو نقياً ، وتستعمل غير فى الاستثناء قليلاً ، والأكثر أن تكون نعتاً للنكرة ، أو لشبه النكرة ، وهو المعرفة المراد منها الجنس ، مثل : غير المغضوب ، ولا يقع بعدها الجمل ، بل يقع بعدها المفرد^(٢) .

وتأتى « غير » مسبوقة بنفى فعلى أو حرفى ، وكلاهما ناسخ ، وهما : ليس ، ولا ، التى قد تكون نافية للجنس ، فتعمل عمل إن ، وقد تكون لنفى الوحدة ، فتعمل عمل ليس بشروط خاصة ، وقد تكون للنفى المطلق ، وهى التى تفيد دلالة النفى ولكنها لا تؤدى وظيفة نحوية فلا تعمل شيئاً ، وحيث لا تفيد مع النفى العطف ، فغير الواقعة بعد « لا » من هذا النوع تكون معطوفة على ما قبلها ، ويسرى عليها جميع الأحكام التى تسرى على المعطوف ، مثل : أنفقت عشرة لا غير .

فإذا لم تسبق غير بنفى ولم تتقدمها « ليس » أو « لا » النافيتين فأشهر وجوه استعمالها أن تكون للنعت أو الاستثناء ، وتصير من الأسماء الدالة على الغاية ، وتدخل فى عدادها فتشبه الظروف الخاصة بالغاية ، إذا تقدمتها « ليس » أو « لا » على نحو ما سبق بيانه منذ قليل .

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٨٥/٤ .

(٢) عباس حسن - النحو الوافى ٣٤٦/٢ - ٣٤٩ .

٣- التوكيد بـ «قط»

وعما يؤكد به أيضاً «قط»^(١) بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة فى أفصح اللغات ، وتأتى بمعنى الزمان الماضى ، ولا تستعمل إلا فى موضع النفى ، وقد اشتقت من قططته أى قطعته ، فمعنى ما فعلته قط : ما فعلته فيما انقطع من عمرى ، لكون الماضى منقطعاً عن الحال والاستقبال . وهى مبنيّة على الضم لتضمنها معنى «مذ» ، ولأنها ظرف ، وأصل الظروف أن تكون مضافة ، فلما قطعت عن الإضافة بنيت على الضم كقبل وبعد ، والعامة يقولون : لا أفعله قط ، وهو لحن . وتكون ظرف زمان غير متصرف ، وبمعنى «حسب» ، واسم فعل بمعنى يكفى ، فيقال : قطنى - بنون الوقاية - كما يقال : يكفينى .

ولا تضيف قط معنى التوكيد على الجملة إلا إذا كانت ظرفاً .

٤- التوكيد بـ «لاسيما»

أشار صاحب شرح المفصل إلى أن «لاسيما» كلمة يستثنى بها ، ويقع بعدها المرفوع ، والمخفوض ، فمن خفض جعل «ما» رائدة مؤكدة ، وخفض ما بعدها بإضافة السى إليه ومن رفع جعل ما بمعنى الذى ، ورفع ما بعدها على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والمعنى سى الذى هو وهو العائد إلى الذى وقد عدها ابن السراج اسماً ، مثل : غير وسوى^(٢) .

ومن النحاة من يرى أن لاسيما ليست من كلمات الاستثناء حقيقة ، بل المذكور بعدها منبه على أولويته بالحكم المتقدم ، وإنما عدها من كلماته لأن ما بعدها مخرج عما قبلها من حيث أولويته بالحكم^(٣) .

(١) راجع : شرح المفصل ١٠٧/٤ - ١٠٨ ، معنى الليب ١٧٥/١ - ١٧٦ ، مع الهوام ٢١٣/٣ -

٢١٤ ، النحو الواقى ١١٦/٢ - ١١٧ .

(٢) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٨٥/٢ ، ابن السراج - الموجز فى النحو ٤٠ .

(٣) الرضى - الكافية ٢٤٨/١ - ٢٤٩ .

وتلزم « الواو » هذه الكلمة ، ولا تحذف منها إلا نادراً ، وعدها بعض النحاة اعتراضية أو استثنائية ، وجملة « لاسيما » لا محل لها من الإعراب ، أو حالية وسيبويه يجيز حذف « ما » منها عندما تكون حرفاً راثكاً ، ورأى آخرون أنها لا تحذف ولو كانت رائدة . ومنهم من رعم أن « لا » رائدة ، والكثير لا يجيز حذفها ، ولم يسمع حذفها إلا فى أقوال المولدين^(١) .

والرأى عندى أن « لا » أصيلة فى وجودها ، وأنها مع « ما » تضيفان إلى هذه الكلمة معنى : التأكيد والتفصيل والتخصيص . كما أن « لاسيما » بكامل تركيبها ليست أداة خالصة للاستثناء ، وإنما هى شبيهة بأدوات الاستثناء ، وذلك لكونها تفيد ترجيح ما بعدها على ما قبلها ، بينما أداة الاستثناء الأصيلة تفيد إخراج ما بعدها مما قبلها ، وتخليصه من الدخول فى دائرة حدوث الحدث الذى يدخل فيه ما قبل الأداة ، نفيًا وإثباتًا ، وهذا عكس ما يفيد استخدام لاسيما ، فما بعدها يشارك ما قبلها فى المعنى ، مع زيادة فى التخصيص والتفصيل والتأكيد .

٥- التوكيد بالمصدر

أمة جدل غير قليل حول قضية المصدر وعلاقته بالفعل ، وهذا الجدل مصحوب بتفاوت فى الآراء بين أئمة النحو من البصريين والكوفيين ، ولا نريد الخوض فى هذه القضية ، لكثرة ما قيل عنها فى مظانها النحوية المختلفة^(٢) ، إذ الهدف الذى تسعى إليه هذه السطور هو بيان الجانب التوكيدى فى كل ما نعرض له .

(١) راجع : ابن جنى - الخصائص ٢/ ٤٧٢ ، وابن فارس - الصحاح ١٥٥ ، والبيوطى - معجم الهوامع ٢٩٢/ ٣ - ٢٩٥ .

(٢) راجع بالتفصيل : ابن الأثير - الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/ ٢٣٥ - ٢٤٥ ، وابن عيش - شرح المفصل ١/ ١١٠ - ١١١ ، ٦/ ٤٣ - ٦٨ ، الرضى - الكافية ٢/ ١٩١ .

والمصدر اسم دال على حدث غير مقترن بزمن ، ويقصد بالحدث معنى قائماً بغيره سواء صدر عنه كالضرب والمشي أو لم يصدر كالطول والقصر .
وحين يطلق المصطلح دون تقيد بوصف أو إضافة ، فإنه يقصد به المصدر الأصلي أو العام دون المصدر الميمى والصناعى ، ومصدر المرة ، ومصدر الهيئة .

فإذا كان المصدر يدل على حدث مجرد من الزمان والمكان ، ففي ذلك دليل على أن دلالة المصدر عرفية ذاتية ، لا صرفية ، فليس لصيغته وشكله أية دلالة ، فالمصدر (ضَرَبَ) لا يدل على غير الحدث المعروف ، إذ لا يدل على زمن الضرب ومكانه ، ولا فاعله ، ولا عدد القائم به ، ولا على جنسه ، amذكر هو أم مؤنث ، كما أن حدث المصدر ذهنى ، أى معنى مجرد . ويتميز المعنى العرفى للمصدر من المعنى النحوى المكتسب من التركيب ، فالمعنى النحوى لا يقع فى علم الصرف ، لكونه معنى سياقياً من اختصاص علم النحو ، مثل : معانى التوكيد ، وبيان الأنواع ، وبيان العدد التى تدرس فى درس المفعول المطلق . ومثل نيابة المصدر عن ظرفى الزمان والمكان ، أو وقوعه صفة أو حالاً موقع المشتق ، أو تمييزاً مفسراً بعد بعض المبهمات ، أو حلوله محل فعله فى الأمر أو النهى ، فهذه كله معان نحوية تركيبية يتم تناولها فى مباحث شتى فى علم النحو ، وليست ضمن المباحث الصرفية .

ويكون المصدر مؤكداً إذا كان مفعولاً مطلقاً ، وهو ما أسماه الزمخشري بالمبهم ، وفسره ابن يعيش بأن المعنى به أن المصدر يذكر لتأكيد الفعل ، نحو :
قامت قياماً ، وجلست جلوساً ، فليس فى ذكر هذه المصادر زيادة على ما دل عليه الفعل أكثر من أنك أكدت فعلك ، ألا ترى أنك إذا قلت ضربت دل على جنس الضرب مبهماً ، من غير دلالة على كميته أو كيفيته ، فإذا قلت : ضربت ضرباً كان كذلك .

ويربط ابن يعيش بين التوكيد بالمصدر والتوكيد المعنوى ، فى قوله : صار - أى المصدر (ضرباً) - بمنزلة : جاءنى القوم كلهم ، من حيث لم يكن فى كلهم زيادة على ما فى القوم . فالمصدر ضرباً هو المفعول الحقيقى ، لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود ، وصيغة الفعل تدل عليه ، والأفعال كلها متعدية إليه ، سواء كان يتعدى الفاعل أو لم يتعده^(١) .

فإذا اكتفى الفعل بمصدره كان للتوكيد ، ويقصد بالتأكيد ما تضمنه الفعل بلا زيادة عليه ولم يتضمن الفعل إلا الماهية من حيث هى هى ، . والقصد إلى الماهية من حيث هى هى يكون مع قطع النظر عن قتلها وكثرتها . وقد سماوا المصدر تأكيداً للفعل توسعاً ، فقولك ضربت بمعنى أحدثت ضرباً ، فلما ذكرت بعده ضرباً ، صار بمنزلة قولك : أحدثت ضرباً ضرباً ، فظهر أنه تأكيد للمصدر المضمون وحده ، لا للإخبار والزمان اللذين تضمنهما الفعل^(٢) .

فالمصدر إذا ساوى معنى عامله من غير زيادة وصِفَ بأنهم مبهم ، كقمت قياماً ، وجلست جلوساً ، وهو لمجرد التأكيد ، ومن ثم لا يشئ ولا يجمع ، لأنه بمنزلة تكرير الفعل ، فعومل معاملة فى عدم التثنية والجمع ، ولذا قال ابن جنى أنه من قبيل التوكيد اللفظى^(٣) .

وربط البعض بين المصدر والتوكيد المعنوى ، فـ « قيل : إنه من التوكيد المعنوى ، لإزالة الشك عن الحدث ، ورفع توهم المجاز ، وعليه الأمدى وغيره^(٤) .

وقد يكون المصدر مؤكداً لنفسه أو مؤكداً لغيره ، « فالمصدر المؤكد لنفسه

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ١/ ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الرضى - الكافية ١/ ١١٥ .

(٣) السيوطى - معجم الهوامع ٢/ ٩٦ ، وانظر ابن جنى - الخصائص ١/ ٢٨٨ .

(٤) السيوطى - معجم الهوامع ٣/ ٩٦ .

هو الذى يؤكد جملة تدل على ذلك المصدر نصاً ، ومنه صبغة الله ، وصنع الله ، وكتاب الله ونحوها ، لأن ما تقدمها من الكلام نص على معانى هذه المصادر ، وجئ بالمصادر مضافة إلى الفاعل ، لأنه حصل اليأس من إظهار فعلها . . . والمصدر المؤكد لغيره فى الحقيقة مؤكد لنفسه ، وإلا فليس بمؤكد ، لأن معنى التأكيد تقوية الثابت بأن تكرره ^(١) .

ويأتى المصدر لبيان نوع عامله ، أو توضيح كميته ، أو عدده ، وفى جميع هذه الحالات يتضمن معنى التوكيد ، سواء أكان لتأكيد معنى فعله أو عامله تأكيداً لفظياً ، أو مبيئاً للنوع ، فالمبين يتضمن تأكيداً بالإضافة إلى بيان نوعه أو عدده أو بيانها معاً ، ففائدة المصدر المعنوية قد تقتصر على التوكيد وحده ، ولكنها لا تقتصر على بيان النوع وحده ، أو بيان العدد وحده ، أو بيانها معاً ، إذ لا بد من إفادة التوكيد فى كل حالة من هذه الحالات ^(٢) .

فإذا حذف عامل المصدر فهل يظل مؤكداً ؟ يرى ابن عقيل أن المصدر المؤكد لا يجوز حذف عامله ؛ لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته ، والحذف مناف لذلك . وأما غير المؤكد فيحذف عامله للدلالة عليه : جوازاً ، ووجوباً ^(٣) .

وللتأكيد بالمصدر أهميته لدى مستخدمه ، لارتباطه وتعلقه بالحدث دون الدلالة على الزمان ، وأهمية الحدث تأتى من ناحية أنه قائم بغيره ، سواء أكان صادراً عن فاعله ، مثل : الضرب والقراءة والسير ، أو غير صادر عن فاعله ، مثل : الطول والقصر ونحو ذلك ، وربما يكون التركيز على الحدث ووقوعه سبباً فى شيوعه واستخدامه بكثرة .

(١) الرضى - الكافية ١/ ١٢٢ .

(٢) عباس حسن - النحو الوافى ٢/ ١٧٠ .

(٣) شرح ابن عقيل ١/ ٥١١ .

٦- التوكيد بالقسم

صنف النحاة القسم ضمن ما يسمى بالمشترك^(١) ، إذ فيه يشترك الاسم والفعل ، وتركيبه يتنوع بين الجملة الاسمية والفعلية .

ويؤتى بالقسم فى كثير من الاحيان للأغراض الآتية :

أ - تأكيد معنى الجملة التى تسبق أو تلى القسم نفيًا أو إثباتًا .

ب- إزالة الشك وتحقيق اليقين والتثبيت من هذا المعنى .

ج- إشارة ما يعترى الإنسان من شعور ، مثل : التعجب ، والدهشة ، والاستعطاف ، والترحم ، والشفقة ، والألم ، والصدق ، والكذب ، ونحو ذلك من المعانى التى تلم بالإنسان أيا كان .

ويقسم بكل اسم من أسماء الله تعالى وصفاته ونحو ذلك ، كما يقسم بكل ما يعظم عند من يقسم ، وقد ورد القسم فى الكتاب الكريم بمخلوقات الله كثيرًا تفخيماً وتعظيماً لأمر الخالق ، ففى تعظيم الصنعة تعظيم الصانع ، مثل : العصر ، والشمس ، والضحى ، والذاريات ، والعاديات ، ومواقع النجوم . . . الخ كما يقسم بأسماء الأنبياء والرسل والأماكن المقدسة والكتب المقدسة . وقد نهى النبى ﷺ عن القسم أو الحلف بغير الله .

ويتكون تركيب القسم من جملة مؤكدة وجملة مؤكدة ، واسم مقسم به ، فالجملة الأولى وتسمى بجملة القسم هى أقسم وأحلف ونحوهما من أشهد وأعلم ، وهى الجملة المؤكدة ، وكذلك لمعرك الله ، وإيمان الله . والجملة المؤكدة هى الثانية المقسم عليها ، فإن كانت فعلاً وقع القسم عليه ، مثل : أحلف بالله لتنبطن ، وإن كان الذى تلقاه حرفاً بعده اسم وخبر فالذى يقع

(١) راجع : ابن عيش - شرح المفصل ٩/ ٩٠ - ١٠٧ .

عليه القسم فى المعنى الخبر ، مثل : والله إن الحق لمتصر ، فالقسم يؤكد الانتصار ، أى يؤكد الحدث .

وتنزل كل من جملة القسم وجملة الجواب ، أو الجملة المؤكدة والمؤكدة منزلة جملة واحدة جملتى الشرط والجزاء ، ذلك لأنه لما أكدت إحداهما بالآخرى صارت كالجملة الواحدة المركبة من جزئين كالمبتدأ أو الخبر ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، فذكر المبتدأ وحده لا يفيد ، أو الخبر وحده لا يفيد كذلك ، فإذا ذكرت إحدى الجملتين دون الأخرى فلا تفيد ، وقد تحذف الجملة الثانية للدلالة عليها .

ولما كان كل واحد من القسم والمقسم عليه جملة ، وكانت إحداهما لها تعلق بالآخرى لم يكن بد من روابط تربط إحداهما بالآخرى ، كربط حرف الشرط الشرط بالجزاء ، فجعل للإيجاب حرفين ، وهما : اللام وإن ، وجعل للنفى حرفين ، وهما : ما ولا . وقد وجب لهذه الحروف أن تقع جواباً للقسم ، لأنها يستأنف بها الكلام ، ولذلك لم تقع الفاء جواباً للقسم ، لأنه لا يستأنف الكلام بها .

وتدخل اللام على الاسم والفعل ، فإذا دخلت على الاسم فما بعدها مبتدأ وخبر ، وإذا دخلت على الفعل المضارع لحق آخره النون الخفيفة والثقيلة . وتلزمه النون لأنها تخلصه للاستقبال ، لأنه يصلح لزمنين ، فلو لم تخلصه للاستقبال لوقع القسم على شئ غير معلوم ، ولأن القسم توكيد فلا يجوز أن تؤكد أمراً مجهولاً . وقد اقترن إلحاق النون بالفعل مع اللام فى جواب القسم لأن اللام وحدها تدخل على الفعل المستقبل فى خبر إن ، وليس دخول اللام على الفعل فى خبر إن للقسم ، فالزموها النون للفصل بين اللام الداخلة فى جواب القسم والداخلة لغير القسم ، لكون اللام التى معها النون لا تكون

إلا للمستقبل ، والتي ليس معها النون تكون للحال ، وقد يجوز أن يراد بها المستقبل^(١) .

وثمة أفعال فى إطار الجملة الفعلية فى القسم ، فيها معنى اليمين فتجرى مجرى أحلف ، ويقع الفعل بعدها كما يقع بعد « والله » ، وذلك نحو : أشهد وأعلم وآليت ، وهذه الأفعال لا تتعدى بأنفسها ، بل يؤتى بحرف الجر الباء لإيصال معنى الحلف إلى المحلوف به .

وحرف الباء أحد حروف خمسة ، وهى : الباء والواو والتاء ومنْ ، والباء أصل حروف القسم لكونها حرف جر ، ومعناها الإلصاق ، فأضفت معنى القسم إلى المقسم به والصقته ، وغيرها من الحروف محمول عليها ، « لأنها حرف جر فى القسم وغيره ، ويجوز إظهار فعل القسم معها وحذفه ، ولا يجوز ذلك فى غيرها من حروفه ، فدل على أصالتها وفرعية غيرها فى هذا الباب^(٢) » .

وأما « منْ » المضمومة الميم فهى حرف جر تخفض المقسم به كالباء والواو ، إلا أنه اختص بالدخول على الربُّ ، كما اختصت التاء بالدخول على الله ويجوز فى نونها الإظهار والإدغام مع راء « رب » . . . وتستعمل مضمومة الميم ومكسورتها ، واستعمالها مكسورة أكثر شيوعاً ، ويرى الكوفيون أن المضمومة مقصورة من : أَيْمُنْ ، والمكسورة الميم من : يمين^(٣) .

وقد يحذف حرف القسم بدون أن يحل محله حرف آخر يقوم بعمله ، وقد يحل محله الواو دون غيرها كل من : هاء التنبيه

(١) راجع : ابن يمشى - شرح المفصل ٩٦/٩ مع تصرف يسير ج٢ .

(٢) الماللى - رصف البائى ٤٢٠ ، وانظر معنى الليب ١٠٥/١ ، ١٠٦ .

(٣) الماللى - رصف البائى ٣٢٦ ، الرضى - الكافية ٣٣٣/٢ ، وانظر سيبويه - الكتاب ١٦٧/٢ .

بإثبات الألف ، أو همزة الاستفهام ، أو قطع همزة الوصل فى مواضع خاصة^(١) .

٧- التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل

لعل المقصود بالأحرف المشبهة بالفعل مجموعة الأدوات أو العوامل الحرفية الناسخة الداخلة على المبتدأ والخير ، فتصب ما كان مبتدأ وترفع ما كان خبراً ، وعددها ستة أحرف ، وهى : إنَّ ، أنَّ ، كَنَّ ، ليت ، لعل .

وهذه الأحرف كما أسلفنا لا تعمل إلا فى الجملة الاسمية ، مع تنوع غرضها ، ولها صدر الكلام ، سوى « أنَّ » فهى بعكسها . . . وسميت الحروف المذكورة المشبهة بالفعل بخلاف (ما) لأنها تشبه ليس الذى هو فعل ناقص غير متصرف ، وهذه تشبه الأفعال المتعدية معنى ولفظاً^(٢) . ويعد السحاة الأوجه الستى من أجلها أشبهت الفعل واصطلاح القدماء عليها بهذا المصطلح أو ما فى معناه .

وتختلف هذه الأحرف فى الدلالة أو المعنى الذى تاتى له ، وإن توحدت فى نصب ما كان مبتدأ ورفع ما كان خبراً ، فهى ليست كلها بدلالة واحدة ، فـ «إنَّ» تؤكد معنى الجملة ، والتوكيد تقوية الشابت لا تغيير المعنى ، وكذلك أنَّ المفتوحة الهمزة ، فهى لأنها مع جزئها فى تأويل المفرد لكونها مصدرية ، وجب وقوعها مواقع المفردات مثل : الفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف إليه .

والمؤكد من هذه الأحرف إنما يأتى لتأكيد مضمون الجملة ، فإذا لحقت (ما) إنَّ رادتها تأكيداً على تأكيدها ، إذ صار فيها معنى الحصر ، وهو إثبات الحكم للشئ المذكور دون غيره ، والتوكيد بالحصر من أقوى أنواع التوكيد^(٣) .

(١) راجع : الكتاب ١٦٧/٢ ، وشرح الفصل ١٠٦/٩ ، الكافية ٣٣٥/٢ ، ٣٣٦ .

(٢) الرضى - الكافية ٣٤٥/٢ وشرح الفصل ١٠١/١ - ١٠٧ ، ٥٤/٨ - ٨٨ .

(٣) ابن بيش - شرح الفصل ١٠٢/١ ، ٥٦/٨ .

٨- التوكيد باللام

جاءت اللام فى كلام العرب لمعان كثيرة ومتشعبة^(١) ، وتفاوتت أعدادها ومسمياتها ، ومواضع استخدامها ، والدلالات التى تأتى لها ، وحسبنا فى هذا المقام أن نركز على ما تأتى للتوكيد أى لتمكن المعنى فى النفس ، وتتمثل فى : لام الابتداء ، واللام الفارقة ، واللام الموطئة ، ولام الجواب ، وبيان كل لام كمايلى :

١- لام الابتداء

حرف من حروف الصدارة ، غير عامل ، إذ لا يترتب على وجوده أى أثر إعرابى ، وحقها أن تقع أولاً من حيث كانت لام الابتداء . وإذا وجدت إنَّ فى صدر الجملة فلا يجتمعان معاً ، وإنما كرهوا الجمع بينهما لأنهما بمعنى واحد ، وهو التأكيد ، وهم يكرهون الجمع بين حرفين بمعنى واحد ، لأن هذه الحروف أتت بها نائبة عن الأفعال اختصاراً ، والجمع بين حرفين بمعنى واحد يناقض هذا الغرض ، ولذا أبقوا على « إنَّ » فى صدر الكلام ، وأخروا اللام إلى الخبر لكون « إنَّ » عاملة واللام مهملة غير عاملة ، والعامل أولى من المهمل^(٢) . وبسبب تأخر اللام إلى الخبر سميت المرحقة .

ولام الابتداء لا تعمل لكونها غير مختصة ، لدخولها على الاسم والفعل والحرف ، وهى جائز الدخول لا واجبة ، لما يراد من المبالغة فى التوكيد إذ هو حاصل^(٣) . ولا تدخل اللام على غير خبر إنَّ المؤكدة ، إذ لا ترد فى خبر إنَّ

(١) ألف بعض البغداديين هو أبو القاسم الزجاجى ، كتاباً سماه « كتاب اللامات » عدد فيها احدى وثلاثين لآماً .

(٢) انظر : ابن يعيش - شرح المفصل / ٨ ، ٦٤ ، ٢٥/٩ ، ٢٦ .

(٣) المالكى - وصف البانى ٢٣٣ .

وكانَ وليست ولعل ولكن ، إذ دخولها على أخبار هذه الحروف - باستثناء
 إن - قد يغير معنى الابتداء ، وتخرج بهذه الأحرف عن المعانى التى جاءت لها .

ب- اللام الفارقة أو لام الفصل

هى لام مفتوحة ، تقع فى خبر « إن » المخففة من « إن » الثقيلة ،
 اجتلبت لإبراز الفرق بين « إن » المخففة و « إن » النافية العاملة عمل ليس ،
 وإذا كانت اللام التى تأتى مع « إن » المشددة أو المسقطة جائزة لا واجبة ، فإنها
 حين تأتى مع « إن » المخففة تصير لازمة أو واجبة إيداناً بالفرق بين « إن »
 المخففة من الثقيلة و « إن » النافية .

وهى تفيد التأكيد إضافة إلى ما جاءت له ، وقد اختلف النحويون فى أمر
 تسميتها ، فمنهم من ذهب إلى أنها اللام التى تدخل فى خبر إن المشددة ، أى
 لام الابتداء ، ومنهم من ذهب إلى أنها تختلف عنها ، ومن ثم فليست هى
 المقصودة ، بل تعرف بأنها الفارقة^(١) .

ج- اللام الموطئة

هذه اللام يسميها البعض لام الشرط لدخولها على حرف الشرط ،
 وبعضهم يسميها اللام المؤذنة ، للإيدان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم
 قبلها ، وبعضهم يسميها الموطئة ، لأنها وطأت الجواب للقسم ، أى مهدت له ،
 وليست جواباً له^(٢) .

وتكون توطئة لجواب القسم وتوكيداً نيابة عنه فى ذلك إذا تقدم حرف
 الشرط الذى هو « إن » الخفيفة المكسورة ، مثل : لئن خرجت لأخرجنَّ

(١) راجع فى ذلك : شرح المفصل ٢٦/٩ ، ٢٧ ، ابن هشام - معنى الليب ٢٣١/١ ، ٢٣٢ ، السيوطى

- معجم الهوامع ١٨١/٢ ، ١٨٢ ، شرح ابن عقيل ٣٧٨/١ ، ٣٧٩ ..

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٢٢/٩ ، وابن هشام - معنى الليب ٢٣٥/١ .

معك ولا تلزم هذه اللام بل يجوز إثباتها وحذفها^(١) .

د- لام الجواب

ذكر ابن هشام أن هذه اللام ثلاثة أقسام : لام جواب لو ، ولام جواب لولا ، ولام جواب القسم . فأما لام جواب « لو » و « لولا » فتأتي لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى ، ويجوز حذفها ، كما يجوز حذف الجواب أصلاً ، كقولك : لو كان لى مال ، وسكتُ ، أى لاتفقت . وينظر البعض من النحاة إليها على أنها قسم قائم بذاته ، والمحققون على أنها اللام التى تقع فى جواب القسم ، فإذا قلت : لو جئتني لأكرمك ، فتقديره ، والله لو جئتني لأكرمك ، وكذلك اللام فى جواب لولا^(٢) .

والرأى الذى أميل إليه أن اللام الواقعة فى جواب « لو » و « لولا » قسم قائم بذاته ، ولا تحمل على القسم ، إذ كل من « لو » و « لولا » أداة شرط تتعلق بفعل الشرط وجوابه ، « فالشرط لا يكون إلا بالأفعال ، لأنك تعلق وجودها على وجود غيرها ، والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود شئ على وجودها ، والقسم يكون فى الجملة الفعلية والجملة الاسمية^(٣) .
ولذلك فاللام فى جواب « لو » و « لولا » تكون لتأكيد معنى الشرط معهما .

وأما لام جواب القسم فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية ، ولا بد أن تكون موجبة ، وإنما دخلت اللام فى جواب القسم مبالغة فى التوكيد ، إذ القسم توكيد المقسم عليه ، ودخولها على المستقبل يوجب وجود النون الثقيلة أو الخفيفة ، وكل من اللام والنون يفيد التوكيد^(٤) .

(١) المالتى - وصف البانى ٢٤٢ ، ٢٤٣ مع تصرف بير .

(٢) ابن هشام - مفتى اللبيب ١/ ٢٣٤ ، وابن يمين - شرح المفصل ٩/ ٢٢ .

(٣) شرح المفصل ٩/ ٢١ .

(٤) وصف البانى ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وشرح المفصل ٩/ ٢١ .

٩- التوكيد بالنون

هذه النون المفردة تأتي على ضربين ، ثقيلة وخفيفة ، وهى للتأكيد وتدخل على الأفعال المستقبلية التى فيها معنى الطلب وذلك ما كان أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو عرضاً أو تمنياً أو قسمًا . وتعلقها بالمستقبل دون غيره ، لكون المستقبل غير موجودة ، فإذا أريد حصوله أكد بالنون إيداعاً بقوة العناية بوجوده .

وتؤثر النون فى الفعل المضارع الداخلة عليه تأثيراً لفظياً ومعنوياً فى الفعل ، إذ تخرج الفعل إلى البناء بعد أن كان معرباً ، وتجعله خالصاً للاستقبال بعد أن كان للمضارع والمستقبل ، والنون المشددة أبلغ فى التأكيد من المخففة ، لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد . وكل موضع تدخل فيه الشديدة فإن الخفيفة تدخل فيه إلا مع فعل الاثنين وفعل جماعة النساء . ولا يؤكد من الأفعال الماضى والدال على الحال ولا ما ليس فيه معنى الطلب . وطرح النون سائغ فى كل موضع إلا فى القسم فإنه ضعيف^(١) .

١٠- التوكيد بحروف المعانى

شكلت دراسة حروف المعانى جانباً بارزاً من جوانب النحو العربى ، إذ أقبل عليها النحاة العرب إقبالاً يشهد لهم بمدى الاهتمام والعناية التى حظيت بها الحروف أو الأدوات النحوية . لقد شهدت مناقشات غير قليلة تكشف عن مسائل خلاف واسعة النطاق ، وهو أمر يوضح أن الحروف لها دور أساسى بمعانيها فى تركيب الكلام .

ولهذه الحروف دلالاتها المتعددة ومعانيها المختلفة وفق السياق الذى يرد فيه الحرف ، ولسنا بصدد ذكر هذه المعانى والإتيان عليها كاملة ، بل ههنا فى هذه

(١) ابن عيش - شرح الفصل ٣٧/٩ - ٤٥ ، وانظر : الرضى - الكافية ٤٠٢/٢ - ٤٠٨ .

السطور هو تتبع معنى التوكيد الذى يأتى له كل حرف من هذه الحروف على النحو التالى :

١ - التوكيد به (إذ)

أشار ابن هشام إلى أن لـ « إذ » معنى آخر - غير المعنى الذى نأتى لها - هو التوكيد ، وذلك إذا حملت على الزيادة ، وقد نقل هذا الراى عن أبى عبيدة الذى تبعه ابن قتيبة فى القول به ، وحملنا عليه آيات منها : ﴿ وإذا قال ريك للملائكة ﴾^(١) .

٢ - التوكيد به (إذن)

قد تستعمل « إذن » بعد « لو » و « إن » توكيداً لهما ، لأن إذن مع تنوينه الذى هو عوض من الفعل بمعنى حرفى الشرط المذكورين مع فعلى الشرط ، نحو : لوررتنى إذن لأكرمك ، وإن جئتني إذن أذكرك ، فكانك كررت كلمتى الشرط مع الشرطين للتوكيد^(٢) .

٣ - التوكيد به (إلى)

نأتى « إلى » لمعان متعددة ، من بينها أن تكون للتوكيد ، وهى الزائدة ، أثبت ذلك الفراء ، مستنداً بقراءة بعضهم ﴿ أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ بفتح الواو ، وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل^(٣) .

(١) ابن هشام - معنى اللبيب ٨٣/١ والآية رقم ٣٠ من سورة البقرة .

(٢) الرضى - الكافية ٢/٢٣٦ .

(٣) ابن هشام - معنى اللبيب ٧٦/١ وانظر : السبوى - همع الهوامع ٢/٢٠ والآية رقم ٢٧ من سورة ابراهيم .

٤ - التوكيد بـ (ما)

بالفتح والتشديد ، وهى عند معظم النحاة ومنهم سيبويه حرف شرط وتفصيل ، وتفيد التوكيد ، لأن أصلها « أن » ضُمَّت إليها « ما » ، قال سيبويه وهى « ما » التوكيد ، وذكر فى موضع آخر « أمّا » معناها الجزء ، مثل مهما^(١) . وقلّ من ذكر التوكيد ، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري فإنه قال : فائدة أما فى الكلام أن تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة ، قلت : أمّا زيد فذاهب ، ولذلك قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شئ فزيد ذاهب ، وهذا التفسير مدلّ بفائدتين : بيان كونه توكيداً ، وأنه فى معنى الشرط^(٢) .

٥ - التوكيد بـ (بل)

تكون « بل » للتوكيد ، على أن تزداد قبلها « لا » لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب ، مثل : أنت صديق ، لا ، بل أخ فى وقت الشدائد ، ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي^(٣) ، مثل : ما غضبت منك ، لا ، بل زادنى حباً شيمتك وحسن سلوكك .

٦ - التوكيد بـ (رب)

أورد السيوطى أن « رب » تزداد للتوكيد^(١) ، وهى حرف حافض مبنية على الفتح ، وتفيد تقليل الشئ وتكثيره ، ومن أحكامها : أن لها أبداً صدر

(١) سيبويه - الكتاب ١/١٤٨ ، ٢/٣١٢ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ١/٥٧ .

(٣) المصدر السابق ١/١١٣ .

(٤) السيوطى - همع الهوامع ٢/٢٧ .

الكلام بمنزلة ما النافية وإنَّ المؤكدة ، والهمزة وهل للاستفهام ونحو ذلك ، ومنها أيضًا أنها إذا دخلت على ظاهر فلا يكون بعدها إلا نكرة أبدًا ، إذ التقليل والتكثير لا يكونان إلا فى النكرات ، ومنها : أنه يجوز حذفها لدلالة معمولها اللازم للخفض والتكثير عليها ، كما أن تاء التانيث تدخل عليها مفتوحة كـ «لات» ، والفعل الذى يعد معمولها إذا كان مضارعًا فهو فى معنى الماضى ، نحو : رب رجل يقوم ، بمعنى قام ، وتدخل عليها « ما »^(١) .

٧ - التوكيد بـ (الكاف الزائدة)

أوضح المبرد والمالقي وابن هشام^(٢) أن الكاف تكون زائدة للتوكيد ، وهى التى دخولها كخروجها ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ ، فمعناها معنى « مثل » وهى لا تتعلق بشئ . والتقدير « ليس شئ مثله » ؛ إذ لو لم نقدر زائدة صار المعنى ليس شئ مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيًا^(٣) .

٨ - التوكيد بـ (كى)

ثانى كى فيما تأتى إما تعليلية مؤكدة للام ، مثل : جئت لكيما نكرمى ، فكى هنا جارة مؤكدة للام ، أو مصدرية مؤكدة بأن ، مثل : أردت لكيما أن تحقق رغبتى ، ولا تظهر أن بعد كى إلا فى الضرورة^(٤) . يقول السيوطى :

(١) المالقي - وصف المباني ١٨٨ - ١٩٤ ، ابن هشام - معنى اللبيب ١٣٤/١ - ١٣٨ .

(٢) المنتقب ٤/٤٨ ، وصف المباني ٢٠١ - ٢٠٨ ، معنى اللبيب ١٧٦/١ - ١٨٢ .

(٣) رضعف المباني ٢٠١ ، معنى اللبيب ١٧٩/١ والآية الواردة رقم ١١ من سورة الشورى .

(٤) ابن هشام - معنى اللبيب ١٨٣/١ ، والمالقي - وصف المباني ٢١٥ - ٢١٧ .

«يترجح كونها جارة مؤكدة للام على كونها ناصبة مؤكدة بأن ، لأن « أن » هي التي وليت الفعل ، وهي أم الباب^(١) .

٩- التوكيد به (اللام المفردة)

تكون اللام المفردة توكيداً للنفى ، وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقة بـ « ما كان » أو بـ « لم يكن » ناقصتين مستدتين لما أسند إليه الفعل المقرون باللام ، نحو : وما كان الله ليطلعكم على الغيب » و « لم يكن الله ليغفر لهم » ، ويسمى أكثرهم لام الجحود للارتماء للجحد أى النفى ، قال النحاس : والصواب تسميتها لام النفى ، لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه ، لا مطلق الإنكار ، والأصل : ما كان يفعل ، ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفى^(٢) .

وتكون هذه اللام أيضاً توكيدية حين تكون رائدة^(٣) .

١٠- التوكيد به (لا)

أشار كثير من النحاة إلى أن « لا » تزداد في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده ، فبين ابن السراج أنها تشبه « ما » في التوكيد ، وأوضح ابن هشام أن « لا » الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده ، وذهب السيوطي إلى أن « لا » تفيد توكيد النفى^(٤) .

(١) السيوطي - معجم الهوامع ٥/٢ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ٢١١/١ ، ٢١٥ .

(٣) ابن هشام - معنى اللبيب ٢١١/١ ، ٢١٥ .

(٤) ابن السراج - الأصول ٢٢/٢ ، ابن هشام - معنى اللبيب ٢٤٨/١ ، السيوطي - معجم الهوامع

١٤٤/١ .

١١ - التوكيد به (يا)

ذكر ابن يعيش أن الحروف « يا وأيا وهيا » حروف تستعمل لنداء البعيد ؛ ذلك لأن أواخرهن الفات ، والألف ملزمة للمد ، فاستعملت فى دعاء البعيد والغافل والمتراخى والنائم المستقل والساهى ، لإمكان امتداد الصوت ورفعها بها . وقد يستعملون الحروف الموضوعة للمد موضع أى والهمزة ، أى تستخدم لنداء القريب ولمن كان مقبلاً عليك توكيداً^(١) . وإلى هذا المعنى أشار ابن هشام بقوله : « يا : حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً ، وقد ينادى بها القريب توكيداً »^(٢) .

١٢ - التوكيد به (من الزائدة)

تأتى من المكسورة الميم لتوكيد العموم ، وهى الزائدة ، مثل : ما جاءنى من أحد ، وشرط زيادتها أن تكون مسبوقة بنفى أو نهى أو استفهام ، وأن يكون مجرورها نكرة ، وأن يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . ومن النحويين من خصص زيادتها للتوكيد ، فذهب الاخفش من البصريين والكسائى وهشام من الكوفيين إلى أن الزيادة تكون فى النفى والإيجاب والنكرة والمعرفة^(٣) .

١٣ - التوكيد به (التاء)

تدخل التاء لتوكيد الصفة التى على وزن فعّال أو فاعل أو مفعال أو فمّول ، كنسابة ورواية ومطاربة وفروقة للكثير الفرق وهو الخوف ، فهذه تفيد المبالغة فى الوصف^(٤) .

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ١١٨/٨ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ٣٧٣/٢ .

(٣) راجع : ابن هشام - معنى اللبيب ٢٢٣/١ ، والسيوطى - معجم الهوامع ٣٥/٢ .

(٤) الرضى - الكافية ١٦٣/٢ .

وأشار ابن يعيش إلى أنها تأتي لتأكيد التانيث ، وهو قليل ، نحو : ناقة
ونعجة ، وذلك أن الناقة مؤنثة من جهة المعنى لأنها فى مقابلة جمل ، وكذلك
نعجة فى مقابلة كبش . . . فلم يكن محتاجاً إلى علم التانيث ، وصار دخول
العلم على سبيل التأكيد ، لأنه كان حاصلًا قبل دخوله . كما تأتي لتأكيد تانيث
الجمع ، لأن التكسير يحدث فى الاسم تانيثًا ، ولذلك تلحق فعله تاء التانيث ،
نحو : قالت الأعراب ، وقد دخلت لتأكيد الوحدة ، كظلمة وغرفة^(١) . وأشار
السيوطى إلى أنها تأتي لتأكيد الوحدة ، كظلمة وغرفة^(٢) .

١٤ - التوكيد بـ (الباء الزائدة)

تزداد الباء للتوكيد فى ستة مواضع^(٣) ، ومعنى قولنا تزداد أى أنها تدخل
لمجرد التأكيد من غير إحداث معنى ، كما كانت « ما » و « إن » ونحوهما .
والباء من أكثر الحروف زيادة ، وتكون زيادتها لتأكيد النفي والإثبات^(٤) .

١٥ - التوكيد بـ (ما الزائدة)

تستخدم (ما) فى الكلام رائدة على ضريين كافة وغير كافة ، وغير الكافة
تستعمل رائدة مؤكدة ، على ضربين : أحدهما : أن تكون عوضًا من
محذوف ، والآخر : أن تزداد لمجرد التأكيد غير لازمة للكلمة ، وهو كثير فى
التزييل والشعر وسائر الكلام ، وهى تزداد بعد حروف الجر ، وبعد إن ، وبعد
أداة الشرط جازمة وغير جازمة^(٥) .

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٩٨/٨ .

(٢) السيوطى - مع الهوامع ١٧٠/٢ .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ١٠٦/١ - ١١١ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ١٣٨/٨ بتصرف يسير .

(٥) شرح المفصل ١٣١/٨ - ١٣٣ ، ومغنى اللبيب ٣٠٦/١ - ٣١٤ .

١٦ - التوكيد بـ (لن)

ذكر الزمخشري أن لن لتأكيد ما تعطيه « لا » من نفى المستقبل ، تقول : لا أبرح اليوم مكانى ، فإذا وكّدت وشددت قلت لن أبرح اليوم مكانى . واختلف فى أصلها فذهب الخليل إلى أنها مكونة من : لا + أن فخففت بالحذف ، وذهب الفراء إلى أن نونها مبدلة من ألف لا ، وعند سيويه حرف براسه وهو الصحيح^(١) .

ويرى ابن هشام أن « لن » لا تفيد توكيد النفسى ولا تأييده خلافاً للزمخشري ، وكلاهما دعوى بلا دليل ، قيل : ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم فى ﴿ لن أكلم اليوم أنسيا ﴾ وكان ذكر الأبد فى ﴿ ولن يتموه أبداً ﴾ تكراراً والأصل عدمه^(٢) .

وذهب الاستراباذى إلى أن معناها نفى المستقبل نفياً مؤكداً وليس للدوام والتأييد^(٣) ، فهى أبلغ فى النفى من لا .

١٧ - التوكيد بـ (قد ولقد)

قد حرف من الحروف المختصة بالأفعال ولا يحسن إيلاء الاسم إياه ، وهو من الحروف التى اتسع العرب فيها ، ويفيد التحقيق والتوكيد والقسم ، فإذا دخلت على الماضى أفادت التوكيد والتحقيق ، ودخول اللام عليها يؤكد المعنى أكثر ويزيده إثباتاً وتحقيقاً . وتستعمل كذلك لإفادة التقليل والتكثير مع المضارع والتقريب مع الماضى للمسافة

(١) ابن يمش - شرح المقصد ٨ / ١١١ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ١ / ٢٨٤ ، والآيتان على الترتيب : الآية ٢٦ من سورة مريم ، والآية ٩٥ من سورة البقرة .

(٣) الرضى - ٢ / ١٦٥ .

الزمانية والمكانية ، ولا تدخل على ليس وعسى ونعم ويش لأنهن للحال^(١) .

وأخيراً يتبين لنا من خلال استخدام حروف المعاني أنها لا تضيف معنى جديداً إلى الجملة ، ولكن يؤتى بها لزيادة المعنى الأصلي قوة وتأكيداً ، أو لجعل الكلام أسهل فى التلفظ به وأكثر قبولاً فى الاستماع إليه ، فالحرف الزائد يتجرد من معناه الأصلي ليكتسب معنى جديداً ينسجم مع المعنى العام للجملة ، أو مع المعنى الأساسى للكلمة التى يتركب معها . فقد يكون لتأكيد النفى أو الإثبات ، أو لتأكيد تقرير أمر من الأمور وهكذا . وعموماً فالحرف الزائد لا يقع فى أول الكلام إلا إذا كان حرف جر ، ولا فرق بين أن يكون الحرف الزائد فى أول الجملة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها ، ففى جميع هذه الحالات يدل الحرف على التوكيد .

وفى ختام هذا الجزء من الدراسة نقول هذا ما كان من أمر التوكيد فى التراث النحوى ، وهو كما يبدو مورعاً على أبواب متفرقة ، بمسميات مختلفة ، وتراكيب متنوعة ، ولا يربط هذا المتفرق سوى توحّد الغرض والهدف من الاستخدام ، وهو إسباغ معنى التوكيد على هذا التركيب أو ذاك . نقول هذا ما كان من أمر التوكيد فى استخدام النحاة ، فماذا عنه فى الاستخدام اللغوى فى النصوص اللغوية المعاصرة بعد أن جمعنا شتاته ، ووقفنا على متناثرة ؟ إن هذا ما تسعى إليه السطور القادمة من خلال متابعتة عند طه حسين فى كتابى الأيام ومستقبل الثقافة .

(١) ابن هشام - معنى اللبيب ١/ ٢٨٢ .

سابعاً : أنماط التوكيد ووسائله عند طه حسين

يعد طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) أحد مفكرى النهضة العربية الحديثة فى مراحلها المبكرة . لقد كانت مشاركته فى الحياة الفكرية والثقافية والتعليمية فعالة ومؤثرة . كان شخصية واحدة تحوى شخصيات متعددة ومتنوعة فى فكرها وثقافتها ، إذ كان أستاذ أدب ، وناقداً ، وأكاديمياً محققاً ، ومبدعاً ، وكاتباً موسوعياً ، ومفكراً تربوياً واجتماعياً وسياسياً .

شخصية جمعت فى نفسها كل هذه التخصصات واستوعبت كل هذه المعارف ، لا عجب أن ترك وراءها تراثاً فكرياً يشهد بتاريخ حافل بالمعطاء الفكرى ، والثراء الثقافى ، وهو تاريخ يحكى سيرة رجل ورحلته مع القلم .

لقد تنوعت مؤلفاته ، وتعددت كتاباته تعدداً ملحوظاً يدركه كل مثقف ، فالأعمال الكاملة (عنوان واحد) تضم (١٥) مجلداً ، ومؤلفاته الفردية تبلغ (٥٥) عنواناً ، ويبلغ التأليف المشترك (٢١) عنواناً ، والترجمات (١٢) عنواناً ، والإشراف والمراجعة والتحقيق (١٥) عنواناً ، والمقدمات (٤٥) عنواناً ^(١) .

وكما تنوعت مؤلفاته وتعددت ، فقد تعددت مؤلفات من كتبوا عنه إذ تربوا على (٤٧) عنواناً ^(٢) . لقد انقسم الناس حيال شخصية طه حسين إلى فريقين : فريق مؤيد له ، يعجبه ما كتب ، ويروقه ما قال ، ينظر إليه على أنه علم من أعلام التجديد والتقدم العصرى والبحث العلمى . وفريق كساره له ، ساخط عليه ، يتأفف مما كتب ، وينظر إليه على أنه خلاف ذلك ^(٣) .

(١) راجع فى العدد (١٤) من سلسلة « كتاب الفكر » وهو كتاب خاص بعنوان طه حسين : مائة عام من النهوض الفكرى (فى الذكرى الثوية لمولده) البيليوجرافيا التى أعدتها قسم المكتبات بآداب القاهرة ٣١٣ - ٣٨٣ .

(٢) المراجع السابق ٣٦٤ ، ٣٧٩ - ٣٨٣ .

(٣) راجع فى ذلك : المرجع السابق ، عبد العليم القباني - طه حسين فى الضحى من شبابه ، ثروت أباطة ذكريات ، أنور الجفندى - طه حسين حياته وفكره فى ميزان الإسلام ، محمود مهدى - طه حسين فى ميزان العلماء والأدباء ، أحمد على - طه حسين رجل فكر وعصر ، طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، عبد المجيد عبد السلام المحتسب - طه حسين مفكراً .

لقد أتى المادحون والناقدون على كل شئ في ذلك الرجل ، والبحث اللغوى حيال ذلك كله موضوعى ، فالصدق والكذب ، والقيح والجمال ، والمدح والذم ، والحب والكره ، أمور لا يهتم بها الباحث اللغوى ، لكونه يتعامل مع النص اللغوى من خلال البنية الصرفية والتركيب النحوى تعاملًا لا يقع فى إطار الأمور السابقة ، فالبنية لا تختلف إن فى حالة الصدق ، وإن فى حالة الكذب ، والوظائف النحوية لا تتغير من حالة إلى حالة ، فالفعل ، والفاعل ، والمفعول ، والمبتدأ والخبر ، ونحو ذلك وظائف أو معان نحوية ثابتة فى الصدق والكذب ، والمدح والذم ، وغيرها من الدلالات .

ولما كان هذا البحث معنيًا بدراسة التوكيد من حيث النمط والوسيلة ، فإن هذه الدراسة لن تؤتى ثمارها إلا من خلال ما يقره الواقع اللغوى فى الاستخدام من خلال النصوص اللغوية شعرية ونثرية ، فالدرس اللغوى لا يوقن بدراسة الظاهرة أيا كانت خارج النصوص ، أو بعيدًا عن الاستخدام فى السياق ، ومن ثم رأيت دراسة التوكيد فى كتابات المعاصرين ، فاخترت لذلك طه حسين باعتباره واحدًا من أعلام النهضة العربية المعاصرة .

وتأتى أهمية دراسة التوكيد عند طه حسين من ناحية أنها تمثل جانبًا من جوانب الاستخدام اللغوى ، ومعرفة خواص التركيب والجمل فى اللغة معرفة تقرب ما بين التركيب فى صورته لدى القدماء واستخدامه فى السياق اللغوى لدى المعاصرين ، والأغراض التى يستخدم لها . لقد تعددت جوانب الفكر اللغوى عند طه حسين ، فاهتمامه باللغة لم يصدر عن تصور نظرى منطقي لبنية اللغة بل صدر عن نظرة وظيفية اجتماعية أضاف إليها آراء واضحة فى التاريخ اللغوى ، وفى التنمية اللغوية ، وفى تعليم اللغة العربية ، وفى النهوض بالدراسات اللغوية ^(١) .

(١) د. محمود حجازى - فكره اللغوى ٥٦ (بحث منشور بكتاب الفكر رقم ١٤) .

كما أن التوكيد بكل صوره وأحواله يشكل موضوعاً بارزاً فى كتابات
طه حسين ، إذ كان يتخذ التوكيد وسيلة تعبيريه عن الأحداث التى وقعت فى
حياته ، شكاً أو يقيناً ، سلباً أو إيجاباً ، نفسياً أو إثباتاً ، وتزداد أهمية تلك
الوسيلة إذا علمنا أنه كان يعيش صراعاً متعددًا ومتنوعاً فى مراحل حياته
المختلفة على كافة الأصعدة، النفسية ، والجسمية ، والاجتماعية ، والفكرية ،
والسياسية ، ونحو ذلك .

وقد رأينا الاكتفاء بكتايب الأيام ومستقبل الثقافة ليكونا نموذجين يدرس من
خلالهما التوكيد^(١) ، وذلك لكون الأيام « تزخر بمواقف تثير الوجدان ، وترسم
بأمانة وبإبداع فنى حياة القرية ، كما ترسم حياة مؤلفها ، لأنه اندمج فيما
حوله ، رغم عاهته اندماجاً كلياً ، وعاش يعيشه بكل حواسه رغم فقدانه
البصر^(٢) » . كما أن سيرة طه حسين مبثوثة فى كثير من مؤلفاته غير الأيام
بشكل واضح ، مثلما نراها فى « أديب » وبشكل غير بارز كما نراها فى كتبه
التي يدون فيها تجاربه ورحلاته « فى الصيف » و « رحلة الربيع »^(٣) .

وأما الكتاب الثانى فهو يمثل نمطاً من التأليف يخالف فن السيرة الذاتية ،
وهو كتاب يؤصل فيه مؤلفه لنظرية ثقافية ذات جذور متعمقة فى علوم التربية
الحديثة ، كما أن هذا الكتاب مع كتاب « الأيام » بأجزائه الثلاثة قد ظهرا فى
فترات متعاقبة من الزمن ، إذ ظهر الجزء الأول من الأيام ١٩٢٦ ، وظهر

(١) لم نكتب بكتايب الأيام ومستقبل الثقافة إلا بعد متابعة الظاهرة فى كتب ، مثل : حديث الأربعاء - دار
الكتاب اللبنانى ط ١٩٧٤ / ٢ ، على هامش السيرة - دار المعارف بمصر ١٩٨٠ ، أديب - شركة
التوزيع المصرية بالقاهرة (د.ت) إذ بعد المتابعة لظاهرة التوكيد فى هذه المؤلفات وجد أنها لا تختلف
من كتاب إلى آخر ، وخوفاً من الحشو والتكرار رأينا الاكتفاء بـ (الأيام ٣ أجزاء) لأنه بالإضافة إلى
السبب الآنف الذكر يعد أكثر المؤلفات تمهيداً للدراسة ، كما أن مستقبل الثقافة يمثل مرحلة هامة فى
تاريخ حياته .

(٢) د. سهير القلماوى - السيرة الذاتية (الأيام) ٣٠٣ بحث منشور بكتاب الفكر رقم (١٤) .

(٣) المرجع السابق ٣٠٣ .

«مستقبل الثقافة» ١٩٣٧ ، وظهر الجزء الثانى من الايام ١٩٣٩ ، والجزء الثالث ١٩٧٢ . وهذا الظهور يتيح لنا متابعة دراسة ما نحن بصدده فى فترات متفاوتة من مراحل حياة صاحب الايام ، مما يساعد على الخروج ب نتائج - لعلها - تكون مثله تمثيلاً دقيقاً لما ندرسه ونهتم به .

إن التوكيد عند طه حسين لم يتخذ شكلاً واحداً ، ولا نمطاً ثابتاً ، ولم يقتصر على ما اورده النحاة فى باب التواضع ، بل تعدى الشكل الواحد إلى اشكال متعددة ، فكان هناك التوكيد النحوى ، وما أسميناه بالسغوى . لقد استفاد من كل الوسائل اللغوية التى يسرتها اللغة ، وسوف يبدو لنا هذا بوضوح من خلال السطور التالية .

- التوكيد اللفظى

التوكيد اللفظى أعم ضروب التوكيد وأشملها ، فهو جار فى كل شئ ، فى الاسم والفعل والحرف ، والجملة والمظهر والمضمير ، فليس عليه باب يحصره ، لدخوله فى كل كلام تريد توكيده . ولا يؤكد المظهر إلا بمثله ، ولا يؤكد المضمير إلا بمثله ، فلا يؤكد المظهر بمضمير ، « لأن التأكيد تكملة ، والأول هو المقصود ، ولا يليق أن تكون التكملة أقوى من المقصود ، فلذلك لا يؤكد المظهر بمضمير^(١) » .

ومتابعة التوكيد اللفظى فى « الايام » وجد أن هذا الضرب من التوكيد لا يشيع فى الاستخدام اللغوى لديه ، إذا استعمله على نحو محدود ، فلم تؤكد الأسماء الظاهرة ولا الأفعال ولا الحروف ، كما لم تؤكد الجملة بنوعها ، ولا شبه الجملة كذلك .

لقد ظهر التوكيد اللفظى عند صاحب الايام فى توكيد الضمير بنوعيه ،

(١) ابن الحاجب - الإيضاح فى شرح الفصل ٤٣٩/١ .

منفصلاً ومتصلاً ، فأما تأكيد الضمير المنفصل فقد انحصر فى تأكيد المفرد الغائب المذكور والمؤنث ، قال طه حسين : « فأماً الخطبة فهى ما كان تعود أن يسمع فى المدينة ، وأما الحديث فهو هو ، وأما النعت فهو هو ، وأما الصلاة فهى هى ، ليست أطول من صلاة المدينة ولا أقصر »^(١) .

وأما تأكيد الضمير المتصل فيتمثل فى تأكيد المفردة الغائبة المؤنثة ، والمفرد للمخاطب المذكور ، وضمير جمع المتكلمين ، فى قوله : « ومضت السفينة فى طريقها هادئة مستأنية ، كان رشدها قد ثاب إليها ، وكأنها هى قد ثابت إليه » وقوله : « تعلم أنى كنت رئيس الجامعة حين كنت أنت طالباً فيها » وقوله : « نصحبك نحن إلى الجامعة »^(٢) .

وثمة ألفاظ تتكرر بين الحين والآخر ، وهى ألفاظ دالة على الترتيب العددى أو التدريجى ، فأما ما يدل على الترتيب العددى فهى مثل قوله : « يغمز من حوله من إخوته وأخواته حتى يوقظهم واحداً واحداً » وأما ما يدل على الترتيب التدريجى فهى قوله : « ثم أخذ لونك يتغير قليلاً قليلاً ، وأخذت جبهتك السمحة تبرد شيئاً فشيئاً » ، وقوله : « كان الأهرى يستيقظ شيئاً فشيئاً »^(٣) . وهذا التركيب الأخير تكرر فى أكثر من موضع . « وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولاً مجملاً ، مشتملاً - ضمناً - على جزأيه المكررين ، ثم يأتى بعده تفصيله مشتملاً - صراحة - على بيان الجزأين المكررين . ومن أمثله : يمشى الجنود ثلاثة ثلاثة ومن مجموع الكلمتين المكررتين تنشأ الحالة المؤولة ، الدالة على الترتيب ، ولا يحدث الترتيب من واحدة فقط . لكن الأمر عند الإعراب يختلف ، إذ يجب إعراب الكلمة

(١) الأيام ١/ ١٣٧ .

(٢) الأيام ٣/ ٥٢٦ ، ٣/ ٦٦٩ ، ٤٤١ .

(٣) الأيام ١/ ١٣ ، ١٤٣ ، ١٧٥/٢ .

الأولى وحدها هى الحال ... والكلمة الثانية المكررة فيجوز إعرابها تأكيداً لفظياً للأولى ، كما يجوز - وهذا أحسن - أن تكون معطوفة على الأولى بحرف العطف المحذوف « الفاء » أو « ثم » دون غيرها من حروف العطف ، لكونهما يدلان على الترتيب ، دون باقى الحروف العطف ^(١) .

فالأصل فيما رواه صاحب الأيام « حتى يوقظهم واحداً فواحداً ، أو واحداً ثم واحداً وهكذا .

وهناك تركيب قائم على العطف ، ويمكن حمله على التوكيد اللفظى للتكرار الواقع فى كل تركيب ، مثل قوله : « وفتحها مرة ومرة ومرات » وقوله : « لقد احتمل من أهل القرية ما كانت يحتمل قديماً يوماً ويوماً وأياماً » وقوله : « استحال نقد الصبى لآبيه فى قراءته للدلائل والأوراد موضوعاً للهو الأسرة وعيها أعواماً وأعواماً » ^(٢) . فهذا التركيب وما يشبهه ، فيه من التوكيد اللفظى التكرار وعدم زيادته على ثلاث مرات ، « فجميع صور التوكيد اللفظى وحالاته لا يصح تكرار اللفظ السابق (وهو : المؤكّد) أكثر من ثلاث مرات ^(٣) » .

وآخر ما يمكن أن ندخله فى إطار التوكيد اللفظى ، توكيد اللفظ المضاف إلى « إذ » فى قوله : « ويومئذ ويومئذ فحسب يتحقق ما يريده هيكلاً باشاً ، وما نريده نحن معه من إيمان المعلمين والمشرفين على التعليم بمهمتهم الخطيرة ويومئذ ويومئذ فحسب ، يقبل رجال التعليم على التعليم عن

(١) عباس حسن - النحو الوائى ٢/ ٣٧١ .

(٢) الأيام ٢/ ٣٠٨ .

(٣) النحو الوائى ٣/ ٥٢٦ . إذا كان التوكيد اللفظى جملة مكررة جار أن تكون مسبوبة بحرف العطف «ثم» أو «الفاء» وعندئذ لا يكونان حرفى عطف ، والأكثر أن يكونا عطفًا صوريًا ، وأن يكون العاطف المهمل هو الحرف « ثم » غالبًا ، فهو لا يعطف ، لكونه صوريًا ، أى : فى صورة العاطف وشكله الظاهر ، دون حقيقة (راجع النحو الوائى ٣/ ٥٢٦ ، ٥٣٦) .

يقين وثقة^(١) . ومثل هذا ورد أكثر من مرة ، وهو مؤكد تأكيداً لفظياً ، ثم بالاسم «حَسْبُ» ، وهو لا يفيد معنى التوكيد إلا إذا دخلت عليها الفاء ، وسوف نعرض لها مفصلاً فيما بعد . وهذا الظرف المضاف إلى «إذ» منون تنوين عوض عن جملة محذوفة ، والتنوين فيه دلالة على التوكيد .

- التوكيد المعنوي

من خلال تتبعنا لهذه الظاهرة عند صاحب الأيام نجد أن التوكيد المعنوي قد شاع في الاستخدام اللغوي . وقد انحصر في الفاظ ثلاثة ، هي نفس ، وعين ، وكل ، والأولان يأتیان للمفرد والمثنى والجمع ، ويكون مع المثنى والجمع على وزن «أفعل» مع اشتمالهما على الضمير المناسب في النوع والعدد الذي يعود على المؤكد ، وأما الثالث فيأتي للدلالة على الجمع لما كان قابلاً للتقسيم والتجزئة .

فأما «نفس» فقد وردت مفردة في قوله : «ثم يعيد الكلمة نفسها على هذا النحو نفسه»^(٢) وجاءت توكيداً للجمع في قوله : «والذين يمشلون سلطان الدولة أنفسهم يشترط فيهم أن يكونوا قد مارسوا التعليم العالي مراساً فعلياً»^(٣) . وهذا اللفظ أشيع من اللفظ الآخر «عين» في الاستعمال ، إذ ورد في أكثر من موضع .

وأما عين فيقل في استخدامه عن سابقه ، وقد أورده متصلاً بحرف الجر في كل استخداماته ، ودخول حرف الجر الزائد على «نفس» و«عين» جائز ، وهو أمر ينفرد فيه اللفظان دون بقية الفاظ التوكيد المعنوي ، وإعرابهما يكون

(١) مستقبل الثقافة ٢٣٨ .

(٢) الأيام ٣٢٧/٢ .

(٣) مستقبل الثقافة ٤٢٥ .

توكيداً مجبروراً بحرف الجر الزائد فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة المتبوع^(١) . وما ورد عند طه حين جاء متصلاً بحرف الجر الزائد ، فى مثل قوله : « فلم يكن يلتزم جملة بعينها ، أو لفظاً بعينه ، أو صوتاً بعينه »^(٢) .

وأما « كل » فأكثر شيوعاً من اللفظ الأول والثانى ، وقد وردت متبوعة فى أكثر المواضع لتأكيد المفرد الغائب المذكر والمؤنث ، وجاء على قلة لتأكيد جمع الذكور الغائبين ، فى قوله : « وقد أرق ليلته كلها » وقوله : « ثم لا يلبث أن تستأثر الجامعة بعقله كله ، وجهده كله »^(٣) .

ويشترط فى توكيد « كل » أن تضاف إلى ضمير المؤكد ، فإذا أضيف إلى اسم ظاهر خرج من إطار التوكيد إلى النعت ، ويكون تركيبه كما يلى :

اسم معرفة + كل + اسم معرفة هو نفسه ما قبل « كل »

ومثل هذا التركيب ورد كثيراً عند صاحب الأيام ، من ذلك قوله : « حقاً إن العلم بحر لا ساحل له ، والخير كل الخير للرجل الذكى أن يفرق فيه »^(٤) . وقد تردد ثمة هذا التركيب فى أكثر من موضع ، فكلمة « كل ليست توكيداً ، بل نعت للكلمة التى قبلها يبين كمال المنعوت »^(٥) .

وتتميز لفظ « كل » أنها فى خروجها عن التوكيد ، قد تأتى بدلاً ، مثل « إنا كلاً فيها » فكلاً هنا بدل من الضمير المتصل (نا) ، وقد تأتى : نائب مفعول مطلق ، أ نائب ظرف ، نحو : أخلصت لك كل الإخلاص ، مشبته كل

(١) عباس حسن - النحو الوافى ٥٠٧/٣ .

(٢) الأيام ٣٢٠/٢ .

(٣) الأيام ٢٨٥/٢ ، ٤٤٦/٣ .

(٤) الأيام ١٧٢/٢ .

(٥) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٦١٠/٢ .

النهار ، وقد تأتى نعمتا إذ دلت على بلوغ الغاية فى الكمال أو النقص ، مثل :
أنت الأمين كل الأمين ، وهو الخائن كل الخائن^(١) .

وأخيراً إذا كان التوكيد المعنوى هو المعتد به فى التوابع^(٢) ، فإن دراسته
عند طه حسين أثار عدداً من الملاحظات التى نوجزها فيما يلى :

١- اكتفى صاحب الأيام بالفاظ التوكيد الأساسية ، واقتصر فى أكثر
الأحوال على توكيد المفرد ، وقُلَّ توكيد الجمع ، ولم يأت مؤكداً إلا
المعرفة .

٢- لم يقع لنا خلال استقصاء هذا الجانب أى لفظ ، مثل : أكتع وأبصع ،
وما ثماثلهما من الألفاظ التى أهملت ، ولم يعد لها استخدام فى كتابات
المعاصرين .

٣- لا يشكل ما يسمى بالتوكيد النحوى الاصطلاحي ظاهرة ذات شيوخ ملحوظ
أو لافِت للنظر مثلما يوجد فى وسائل التوكيد الأخرى .

- التوكيد اللغوى عند طه حسين

إذا تتبعنا ما أسميناه بالتوكيد اللغوى لدى صاحب الأيام ، وجدناه قد اتخذ
وسائل متعددة لترسيخ دلالة معينة ، كتوكيد القسم ، أو تأكيد نسبة الخبر إلى
المبتدأ ، أو تأكيد الفعل ونحو ذلك - إن دلالة هذا النوع من التوكيد تأتى
لثبيت مفهوم آخر فى التركيب اللغوى المستخدم ، ومن ثم فلا يمثل هذا
الضرب من التوكيد نمط واحد ، بل أنماط متعددة ، نحاول إيضاحها على النحو
الآتى :

(١) ابن هشام - أوضح المسالك ٣/ ٣٢٨ ، معنى اليب ١/ ١٠٥ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٣/ ٢٨٩ .

١- التوكيد ببعض الاسماء (حسب - غير)

شاع استخدام اللفظ « حسب » فى الاستخدام عند طه حسين ، إذ ورد (٥٤) مرة ، وقد تنوع استعماله بين الاقتران بالفاء وعدم اقترانه بها ، وذلك كمايلي :

| اللفظ المرجع | حَسَبَ | فَحَسَبَ |
|-----------------|--------|----------|
| الأيام | ٨ مرات | ٦ مرات |
| مستقبل الثقافة | ٥ مرات | ٣٥ مرة |

تسبغ « حسب » التأكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزين اللفظ . ومن الجدول السابق يظهر أن استخدام اللفظ جاء فى أكثر أحواله مفيداً للتوكيد ، وزاد من أمر توكيده اتصاله بالفاء ، ثم تقدم النفى على اللفظ ، إذ لوحظ أن اللفظ « فحسب » تقدمه نفى فى (٤١) موضعاً . وقد تنوع هذا النفى بين النفى الفعلى ، والنفى الحرفى . فالنفى الفعلى يتمثل فى الفعل الناسخ « ليس » ، والحرفى يتنوع بين « لم » التى تدل على النفى وقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضى ، « ولا » التى تدل على النفى للحاضر أو الحال ، سواء أكان النفى فعلياً أم حرفياً ، فإن دلالة التوكيد فى التركيب هى المرجوة فى نهاية الأمر .

كما لوحظ أنَّ النفى بـ «لا» يزيد كثيراً عمن النفى بغيرها ، إذ بلغ النفى بـ «لا» (٢٧) مرة ، وبـ «ليس» (٩) مرات ، وبـ «لم» (٥) مرات . كما تبين أن التعقيب بعد « فحسب » يتنوع بين « لكن » أو « بل » أو « إنما » ، ويتنوع بعد النفى بـ « لم » بين « لكن » و « بل » فى مثل قوله : « ولم يكن الشيخ

أستاذًا فحسب ، لكنه كان أديبًا أيضًا^(١) ومثل : « الجامعة يجب أن تكون مستقر الثقافة العميقة العامة لا بالقياس إلى نفسها فحسب ، بل بالقياس إلى غيرها من البيئات أيضًا »^(٢) . وقد لوحظ أنه بعد النفى بـ « ليس » تنوع التعقيب بين إنما و « بل » و « لكن » فى مثل قوله : « وليس سبيل ذلك أن يكون المنهاج جيدًا ، والبرنامج متقنًا فحسب ، وإنما سبيل ذلك أن ينفذ المنهاج جيدًا والبرنامج المتقن تنفيذًا صالحًا »^(٣) . وقوله « وليست الدولة مسؤولة عن تكوين عقل الصبى وقلبه فحسب ، بل هى مسؤولة أيضًا ، ومسؤولة فى مصر بنوع خاص عن حماية جسمه من الآفات والعلل »^(٤) . ويلاحظ أن استخدام « لكن » قليل فى مثل قوله : « معاهد التعليم ليست مدارس فحسب ، ولكنها قبل كل شئ وبعد كل شئ بيئات للثقافة بأوسع معانيها »^(٥) . وهكذا نجد أن « حسب » المقترنة بالفاء جاءت منفية فى كل هذه الاستخدامات وغيرها مما لم يذكر ، ولا يعنى هذا أنها لاتأتى إلا مسبقة بنفى ، لقد جاءت غير مسبقة بنفى ، مثل قوله : « فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم اللغة العربية وفعلها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون »^(٦) . إن « فحسب » هنا بمعنى « ليس غير » ، وقد وقعت بعد تعليل توضحه الجملة المنسوخة بـ « إن » ، ومن ثم فإفادتها للتوكيد قائمة وحيدة .

أما « حَسْبُ » غير المقترنة بالفاء فاستخدامها يقل عن الأخرى ، وهى تعرب مبتدأ وخبرًا ، واسمًا للناسخ ، ومجرورًا بالباء الزائدة ، وصفة للنكرة ، وحالًا من المعرفة ، أى تشغل موقعًا وظيفيًا فى الجملة ، فهى مبتدأ فى مثل

(١) الأيام ٣٥٥/٢ .

(٢) مستقبل الثقافة ٤١٣ .

(٣) مستقبل الثقافة ١٠٩ .

(٤) مستقبل الثقافة ١٠٨ .

(٥) المرجع السابق ٤٤١ .

(٦) المرجع السابق ٢٩٠ .

قوله : « وحسبك أن سعدنا لا يحفظ منها حرفاً ، وحسبك أن العريف لا يحسن أن يقرأ الآيات الأولى منها »^(١) . وتحمل على الإضافة لفظاً ومعنى .

وأما « غير » فقد جاءت بصورتين ، إحداهما نكرة متبوعة بنكرة أخرى ، وهى هنا تفيد الوصف لا الاستثناء ، وقد لوحظ أن ما أتى بعدها توزع بين الدلالة على ظرف الزمان ، مثل : غير ليلة ، غير يوم ، والدلالة على الوصف ، إما بالمصدر ، مثل : غير انقطاع ، أو الدلالة على الصفة المشبهة ، مثل : غير بعيد ، غير قليل ، غير قصير ، أو مشتق ، مثل : غير حاسب ، وهكذا .

وكان استخدامه « لغير » خالية من النفي الفعلى أو الحرفى يفوق استخدامه لها مسبوقة بالنفى ، إذ بلغ مجموع استخدام الحالة الأولى (٢٦) مرة ، وكان ورودها فى الأيام يفوق ورودها فى مستقبل الشقافة ، فقد وردت فى الأيام (١٨) مرة ، وفى الثانى (٨) مرات ، أما استخدامه لها مسبوقة بالنفى فقد انحصر فى النفى الفعلى (٦) مرات ، مورعة بالتساوى بين الأيام والمستقبل ، ولم نجد الكلمة مسبوقة بالنفى الحرفى ، وقد عدَّ ابن هشام أن قولهم : لا غير لحن^(٢) .

والتأكيد باستخدام « غير » حادث للدلالة على إفادة الوصف للموصوف فى الدلالة على الكثرة ، أو القلة ، أو النفى ، أو الإيجاب ، أو الدوام ، أو الانقطاع ، ونحو ذلك ، ولا شك أن التوكيد يكون أكثر حدوثاً وثباتاً حين يتقدمها نفى ، خصوصاً إذا كان الدال على النفى فعلاً ، مثل ليس ، لا حرفاً مثل « لا » التى قد تكون عاملة عمل ليس أو عاملة عمل إن ، قال طه حسين : « وظل الصبى فى مكانه حتى يعود أخوه فيجذبه فى غير كلام ، وفى غير رفق »

(١) الأيام ٧١/١ .

(٢) ابن هشام - معنى اللبيب ١٥٧/١ .

وقال : « فجلس مع أصحابه غير بعيد من الدار »^(١) وقال : « وقد طالب المعهد بذلك غير مرة » وقال : « إنما النحو فلسفة ، والكثير منه ترف للمثقفين ليس غير »^(٢) . وحكم غير في الإعراب بعد ليس له أكثر من وجه ، يرجع إليها من يبنى معرفتها في مظانها النحوية .

- قط

لا تضيف قَطُّ معنى التوكيد على الجملة إلا إذا كانت ظرفًا . وقد أكثر صاحب الأيام من استخدام هذه الكلمة لإقادة التيقن والتثبت من القول أو الفعل ، وكان وردوها في الأيام يريد كثيرًا عن وردوها في مستقبل الثقافة ، إذ وردت في الكتاب الأول (٦٢) مرة ، وفي الثاني (٤ مرات) . ويلاحظ أن استخدامها جاء في إطار الدلالة على الماضي ، إما في اللفظ والمعنى ، وإما في المعنى دون اللفظ . وكانت دلالتها على الماضي في اللفظ والمعنى أقل من دلالتها على الماضي في المعنى ، إذ وردت في (٣) مواضع للدلالة على المعنى الأول ، على حين وردت في (٥٩) موضعًا للدلالة على المعنى الثاني .

ويلاحظ أن « قط » في الحالتين جاءت مسبوقة بنفى حرفي ، وكانت « ما » حرف النفي الوارد في الدلالة على المعنى الأول ، و « ما » في كلام العرب لفظ مشترك يقع تارة اسمًا ، وتارة حرفًا . والحرفية قد تدخل على الاسم ، وقد تدخل على الفعل ، ودخولها على الاسم هو دخول على المبتدأ والخبر شبيهه بالفعل الناسخ ليس .

وأما دخولها على السفل فقد يكون الفعل ماضيًا أو مضارعًا ، « فإذا دخلت على الماضي تركته على معناه من المضي ، وإذا دخلت على المضارع

(١) الأيام ٢ / ١٨٨ .

(٢) مستقبل الثقافة ٣٣٩ ، ٣١٢ .

خُلِّصْتَهُ للحال «^(١)». وقد جاءت « ما » نافية تتقدم قط المسبوقه بالفعل الماضى على النحو التالى :

ما + فعل ماضى + فاعل بارو أو مستتر + قط

قال طاه حسين : « فما راع الصبى إلا شئى فى يده غريب ، ما أحس مثله قط ، عريض يترجرج ، ملؤه تغور فيه الأصابع » وقال : قال سيدنا « امرأتى طالق ثلاثا ، ما كذبتك قط »^(٢) .

كما جاءت « ما » على النحو التالى :

ما + فعل مضارع + فعل ماضى + قط

وذلك فى قوله : قال الفتى : وماذا يريد من رئيس الديون السلطانى ، وأنا لم أعرفه ، وما أظنه رأى قط ؟^(٣) والاستخدام على هذه الصورة فيه إيحاء بعدم النفى المطلق ، فربما يكون قد رآه ولم يعلم بذلك .

هذان هما الموضعان اللذان وردا فى « الأيام » وما عدهما فقد جاءت يتقدمها نفى متبوع بالفعل المضارع ، على النحو التالى :

لم + فعل مضارع + فاعل بارو أو مستتر + قط

هذا التركيب تتحقق فيه دلالة الماضى معنى من خلال وجود لم متبوعة بفعل مضارع ، فـ « لم » حرف يجزم الأفعال المضارعة على اختلاف أنواع الجزم وينفيها ، إلا أنها تخلص معنى الفعل المضارع إلى الماضى ، لأنها جواب من قال : فَعَلَ ، إذ هى نظيرها ، فكانك قلت مجاوباً ، فلم يفعل ما فعل ، فهى من القرائن الصارفة الأفعال المضارعة إلى معنى الماضى ، وإن كان لفظها يصلح

(١) الملقى - وصف الملقى ٣١٣ .

(٢) الأيام ٤٦/١ ، ٦١ .

(٣) الأيام ٦٦٥/٣ .

للحال والاستقبال، فالأظهر مع «لم» المتبوعة بالمضارع نقل المعنى إلى الماضي ، لأن الغالب فى الحروف تغيير المعانى لا الالفاظ نفسها ، ولا يقلب معنى المضارع المسبوق بلم إلى الاستقبال إلا إذا سبقت لم بأن الشرطية فنقله قلباً ثانياً ، لأنها ترد المضارع إلى أصل وضعه من صلاحيته الاستقبال .

والنفى بـ « لم » يفارق غيرها من الحروف النافية ، إذ النفى بها أكد من غيرها ، لكون « ما » إذا نفت الماضي كان المراد ما قرب من الحال ، ولكون النفى بـ « لما » يفيد الدلالة فى أقرب الأزمنة الماضية إلى زمن الوجود ، ولذلك صلح أن يكون « حالاً » ، فهى تأتى للحال ولما فيه تطاول وامتداد ، وأما « لم » فتفيد النفى للماضى مطلقاً^(١) .

والتأمل فى استخدام صاحب الأيام للظرف « قط » المسبوق بالمضارع المنفى بـ « لم » يجد أنه حرص على تأكيد النفى لدلالة الحدث فى الماضي ؛ فإستخدام « لم » زيادة فى تأكيد الحدث ونفيه نفيًا مطلقًا ، ولعل هذا يفسر علة شيوع الفعل المضارع المنفى بـ « لم » دون غيرها من الأدوات لاسيما أن ما يريد نفيه وتأكيدَه يرتبط بأمور تتعلق بشخصه وذاته ، إثباتًا ونفيًا ، سلبًا وإيجابًا ، حزنًا وفرحًا ، سعادة وشقاء ، قال طه حسين : « لم يُصدَّق - يقصد والده - قط أن التوسل بالأولياء والأنبياء حرام ، ولم يطعن قط إلى عجز الأولياء عن إحداث الكرامات ، ولم يساير قط ابنه فيما كان يقول من تلك المقالات » وقال : « ولم ينس صاحبنا قط أنه اجلس فى مكانه فى القطار حين بلغ روما ، وقد انتصف الليل »^(٢) . وما أكثر استخدام الكاتب للفعل « ينسى » قبل الظرف قط !! لكونه يحكى سيرة حياته وما فيها من قضايا وأمور قد تكون عامة ، وقد تكون خاصة ، فما يتعلق بشخصه تعلقًا مباشرًا يستخدم له الفعل

(١) راجع فيما سبق : الملقى - وصف الجاني ٢٨٠ ، وابن عمر - شرح الفصل ٨/ ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) الأيام ٢/ ٣١٠ ، ٣/ ٥٦٨ .

ينسى ، وقد ورد (١٤) مرة ، وقريب منه الفعل « يذكر » مسبوقة بأداة النفي « لم » أيضاً (٨) مرات .

- أبداً

وقريب من « قط » فى الظرفية « أبداً » ، فهى ظرف زمان للمستقبل ، يستعمل مع الإثبات والنفي ، ويدل على الاستمرار^(١) . ويرد هذا الظرف للتوكيد فيما يستقبل من الزمان ، يقال : لا أفعل هذا أبداً ، وأفعله أبداً ، ولا يجوز أن يقال : ما فعلت هذا أبداً ، بل يقال : ما فعلته قط ، لكون « أبداً » تدل على المستقبل ، وقط تدل على الماضى .

وقد ورد استخدام هذا الظرف قليلاً ، فلم يرد إلا مرة واحدة ، قال طه حسين : « وتها لاستقبال شخص طالما نارعتة نفسه إلى لقاءه منذ شهور ، وطالما أشفق من ألا يلقاه أبداً »^(٢) . وهذا لتأكيد النفي فى المستقبل .

- لاسيما

يمثل تركيب « لاسيما » استخداماً قليلاً فى كتابى الأيام ومستقبل الثقافة ، إذ بلغ مجموع ما ورد فى الكتابين (١١) مرة ، منها (٧) مرات فى الأيام ، و (٤) مرات فى الكتاب الثانى . وقد لوحظ أنها جاءت فى (٩) مواضع مسبوقة بالواو ، موزعة بين (٥) مواضع فى الأيام ، و (٤) فى الثانى ، وفى (٢) موضعين متبوعة بالواو فى الأيام .

ومن حيث ما ورد بعدها فقد تنوع بين الجملة الاسمية والفعلية ، والشرطية ، وشبه الجملة . وقد جاءت الجملة الاسمية فى (٢) موضعين ، منها

(١) الوسيط ٢/١ .

(٢) الأيام ٥٧٢/٣ .

قوله : « وثناء الاساتذة غائبهم وحاضرهم على كل ذلك ، يقوم مقام الشهادة الثانية ، ويزيد عليها من غير شك ولا ريب ، ولاسيما وأنا شارع فى تعلم الفرنسية »^(١) . وجاءت الجملة الفعلية فى موضع واحد ، فى قوله : « ما كان أسعد ذينك الزوجين بهذا الكتاب ، وبما حمل إليهما من معونة كانا فى أشد الحاجة إليها ، ولاسيما وقد قرب مقدّم الطفل المنتظر »^(٢) . وجاءت الشرطية فى موضع واحد ، فى قوله : « وكان أيسر شئ وأهونه أن يذهب الطلاب مذهب شيخهم ، ولاسيما إذا أحبوه وأكبروه »^(٣) .

ويلاحظ اذ استخدام كل من الاسمية والفعلية والشرطية قليل غير شائع ، وفيما يخص جواب الشرط فيستدل عليه بالفعل المقدّر الذى يحدده سياق الاستخدام فى الجملة ، كما يلاحظ أيضاً أن لاسيما هنا بمعنى : خصوصاً .

كما يقع بعد « لاسيما » أيضاً ظرف زمان أو مكان أو مجرور بحرف الجر ، وقد وردت متبوعة بظرف زمان صريح فى موضعين ، ومتبوعة بظرف زمان يؤول بحسب ما يليه من الكلام . فأما الصريح فهو « حين » ، وأما الآخر فهو « بعد » . وقد جاء الأول مورعاً بين موضع فى الأيام وموضع فى مستقبل الشقافة ، فى قوله : « لم يستجب فيما قال أو فعل إلا لما كان يدعو إليه ضميره من الإقدام فى غير تهيب ولا دجل ، ولاسيما حين يبلغ الشر أقصاه »^(٤) . وقوله : « ومن الحق أن مشكلة البطالة عظيمة الخطر ، وأنها أعظم خطراً مما نظن إلى الآن ، ولاسيما حين يضطر إليها الشباب »^(٥) . وجاء الثانى فى موضعين منها قوله : « يتصلون بالتعليم العالى على اختلاف فروعه

(١) الأيام ٤٧٥/٣ وانظر ٣٥٤/٢ .

(٢) الأيام ٦٣٥/٣ .

(٣) الأيام ٣٥٥/٢ .

(٤) الأيام ٦٨٩/٣ ومستقبل الثقافة ١٤٩ وانظر الأيام أيضاً ٣٥٣/٢ .

والوانه ولاسيما بعد أن انتشر التعليم^(١) ولم ترد متبوعة بظرف مكان فيما استقصيناه من مولفات . وأما المجرور بالحرف فقد ورد فى موضعين موزعين بين موضع فى الأيام وموضع فى الكتاب الآخر ، من ذلك قوله : « وكان يُعرضُهم لليلة أحياناً وللزكام فى كثير من الوقت ، ولاسيما فى الشتاء »^(٢) .

وفى كل هذه الأحوال تكون « ما » اسماً موصولاً ، والظرف أو الجار والمجرور فعل بمعنى حصل أوقع . كما أنه فى كل هذه الأحوال يلاحظ أن «لاسيما» تفيد التوكيد والتخصيص والتفضيل لما وقع بعدها ، وليس بصحيح أنها تفيد الاستثناء كما ذهب البعض . فالاستثناء إخراج شئ لاحق من حكم شئ سابق ، فلا يصير خاضعاً له ، بينما الواقع بعد لاسيما لا يخرج من حكم ما قبلها ، ولكن يزيد تفضيلاً وتحديداً وتأكيداً ، سلباً أو إيجاباً ، نفيًا أو إثباتاً ، حباً أو كراهية وهكذا .

التوكيد بالمصدر

يشكل التوكيد بالمصدر عنصراً فاعلاً فى التركيب لدى صاحب الأيام ، إذ يعد وحدة أساسية من الوحدات المكونة للجملة فى كثير من استخداماته ، لاتساقه مع العامل اللفظى فى إطار هذا التركيب أو ذاك .

لقد كان استخدامه للمصدر وسيلة توكيدية أمراً لافتاً لانتباه من يتبعه ، إذ استعمله فى (٢٧٧) موضعاً من كتاب الأيام ، و (٢٢٠) موضعاً من كتاب مستقبل الثقافة . ولم يكن استخدامه لهذا العدد ذا غمط واحد ، فقد تنوع فى دلالاته وغرضه وبنيتة الصرفية ، كما تنوع فى العامل الذى يعمل فى المصدر ، ولسوف نوضح ذلك على النحو التالى :

جاء استخدام طه حسين للمصدر من حيث العامل مورعاً بين عاملين

(١) مستقبل الثقافة ٢٧١ وانظر ٣٤٢ من المرجع نفسه .

(٢) الأيام ٢/ ٢٦٨ .

بارزين ، هما : الفعل ، والوصف أو الصفة التى تجرى مجرى الفعل ، مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ، وكان شيوخ الفعل كعامل لفظى مؤثر فى المصدر يفوق استخدام الوصف ، إذ ورد الأول فى (٤٢٠) موضعاً من الكتابين ، إذ ورد (٢٣٩) موضعاً فى الأيام ، و (١٨١) موضعاً فى مستقبل الثقافة ، وورد الثانى فى (٧٧) موضعاً ، إذ ورد (٣٨) موضعاً فى الكتاب الأول ، و (٣٩) موضعاً فى الثانى .

وكان المصدر الذى جاء عامله الفعل موزعاً بين المصدر المؤكد والمصدر المبين للنوع . ولم يقع خلال متابعتى المصدر المبين للعدد ، وربما يكون ذلك راجعاً إلى أن تأكيد الحدث فى وقوعه ، وبيان نوعه يمثل محوراً أساسياً لدى مستخدمه ، ولا عبرة بتكراره أو عدد مرات حدوثه ، فالقليل من الحدث يدل على الكثير منه نوعاً وكيفاً . كما تتنوع بنية المصدر الصرفية بين الثلاثية الأصل ، وغير الثلاثية ، وما سبق قوله ينطبق على المصدر الذى كان عامله وصفاً يعمل عمل الفعل ، والجدول الآتى يوضح ذلك :

| المرجع | | العامل الفعلى | | | | | | العامل الوصفى | | |
|----------------|----|---------------|-----------|-------|---------------------|-------|-----------|---------------|-----------|-----------|
| | | المصدر المؤكد | | | المصدر المبين للنوع | | | اسم فاعل | | اسم مفعول |
| | | ثلاثى | غير ثلاثى | ثلاثى | غير ثلاثى | ثلاثى | غير ثلاثى | ثلاثى | غير ثلاثى | صفة مشبه |
| الأيام | ٣٤ | ٣٦ | ١١٩ | ٥٠ | ٥ | ٤ | ٣ | ٣ | ٢ | — |
| مستقبل الثقافة | ٢٣ | ١٤ | ٤٣ | ١٠٢ | ٨ | ١٩ | — | ٣ | ٨ | — |

تمثل الأعداد السالفة الذكر مجموع المصادر التى يعمل فيها الفعل وغير الفعل ، وهى تبدو متفاوتة حيناً ، ومتقاربة حيناً آخر ، فهى تتقارب فى النوع الأول وتفاوت فى النوع الثانى ، وإن كان مجموع المصادر المبينة للنوع تفوق النوع الأول ولعل ذلك راجع إلى أنها مع إبقائها للتوكيد تبين هيئة وكيفية

حدوث الحدث لصاحبه لكونه موصوفاً بصفة تابعة للمصدر في تعريفه وتنكيره ، وإعرابه ، وعدده وجنسه ، وفي هذا كله فوائد لا تتوافر في النوع الأول ، وإن كان النوعان معا يفيدان التوكيد .

لقد كان حرصه شديداً على أن يثبت أركان الحدث في نفس قارئه ومستمعه بكل ما أوتي من الوسائل اللغوية ، فتارة يكتفى بالمصدر فقط ، مثل قوله : « يرسل الطلاق والإيمان إرسالاً » وقوله : « فرغ منها وأتقنها إتقاناً »^(١) وقوله : « وأنا من أجل هذا مؤمن بأن مصر الجديدة لن تبتكر ابتكاراً ، ولن تختصر اختراعاً »^(٢) ، وتارة يسوق عدداً من المشتقات الدالة على الوصف والمبالغة ، والاستقرار للحدث في النفس ، مثل قوله : « وصبينا متزوي في ناحية من هذه الحجرة ، واجم كشييب ، دَهِش يمزق الحزن قلبه تمزيقاً »^(٣) . وأحياناً يستخدم المصدر متبوعاً بلفظ من الفاظ التوكيد المعنوي ، في مثل قوله : « إنما كان يخاف الخوف كله » وقوله : « لكن ثق بأنهم يرفضون الرفض كله »^(٤) . وأحياناً كان يعدل عن استخدام المصدر إلى اسم المصدر ، ومن العامل السفعلى إلى الوصف الذى يجرى مجرى الفعل ، مثل : « لكنه كان صوتاً منكراً أشد النكر »^(٥) .

أما المصدر المبين للنوع ، فإنه يستخدمه بصورتين ، إحداهما : تتكون من المصدر + الصفة ، وهذه الصفة قد تكون مفردة ، مثل قوله : « كان أبوه وطائفة من أصحابه يحب القصص حباً جمّاً » وقوله : « تعلم تعليماً صالحاً »^(٦) وقد تكون جملة في مثل قوله : « وهو على قلة حظه من إحسان اللغة الفرنسية لم يكن يجد كثيراً من المشقة ، ولا يبذل كثيراً من الجهد ليفهم

(١) الأيام ٦٥/١ ، ٦٨ .

(٢) مستقبل الثقافة ١٦ .

(٣) الأيام ١٣٠/١ .

(٤) الأيام ١٢/١ ، ومستقبل الثقافة ٧٧ .

(٥) الأيام ٢٩٤/٢ .

(٦) الأيام ٢٧/١ ، ومستقبل الثقافة ١٦٢ .

ما كان الاساتذة يلقون من الدرس فهماً يرضيه ، وقوله : « يعرضون عنه إعرافاً لا تكلف فيه »^(١) .

والصورة الثانية للمصدر المبين للنوع هي الصفة التي تنوب عن المفعول المطلق ، حين تضاف إلى مصدر الفعل نفسه ، أو إلى مصدر مقارب له في اللفظ والمعنى ، أو إذا حذف المصدر ، وحلّت الصفة التي تنعته محله ، ويمثل لذلك عنده قوله : « وكان يخاف أشد الخوف أشخاصاً لم يكن يتبينها إلا بمشقة وجهه » وقوله : « وينكرها أشد الإنكار ، بل يخفضها أشد البغض »^(٢) . فهذا التركيب يتكون من : فعل + صفة + مصدر الفعل ، وقد تكرر في مواضع متعددة شأنه شأن سابقة إذ ورد في (١١٠) مواضع من الكتابين ، ولوحظ من خلال متابعتنا لذلك أن الصفة جاءت بصيغة (أفعل) الدالة على التفضيل في (٩٢) موضعاً من الكتابين ، ولوحظ كذلك أن كلمة « أشد » أكثر الكلمات الدالة على الوصف وروداً ، إذ وردت في (٧٠) موضعاً ، ثم كلمة أعظم (١٠) مرات ، ثم أحسن (٦) مرات ، وأشنع (٧) مرات ، ثم أبلغ وأعظم كل منهما (٣) مرات ، وكلمة حق (٤) مرات . وفي كل هذه المواضع أضيفت هذه الصفات إلى مصدر الفعل نفسه .

وعما جاء مضافاً إلى مصدر الفعل الوارد في الجملة التي يؤكد بها ، لفظه « كل » و « بعض » على هذه الصورة .

الفعل + كل أو بعض + مصدر الفعل

وقد ترددت « كل » في أكثر من موضع مع الفعل ، إذ وردت في (٨) مواضع منها قوله : « أعرض عن الشعر كل الإعراض » و « رضى الأستاذ كل الرضى » و « استبعد كل الاستبعاد »^(٣) .

(٢) الأيام ١/١٣ ، ٦٨٩/٣ .

(١) الأيام ٣/٢٣٥ ، ٦٠١ .

(٣) الأيام ٣/٤٢٧ ، ٤٦١ .

وأما « بعض » فلم تتردد كثيراً مثل « كل » إذ وردت مرة واحدة في قوله : « وارتاح إليه بعض الارتياح ^(١) » ومثل « كل » و « بعض » لفظة « أى » في قوله : « وإذا هو يجد عسراً أى عسر » ونشير هنا إلى أن كلاً من الصفة المضافة ولفظة « كل » و « بعض » مما ينوب عن المفعول المطلق ، وكلها حالات تفيد التوكيد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن العامل فيما مضى من المصادر كان الفعل ؛ ويعد العامل الفعلى أكثر العوامل اللفظية شيوعاً ، فهو يفوق العامل الوصفى . وكان حال العامل الوصفى (المشتق) فى المصدر كحال الفعل فى تنوع أحوال المصدر معه ، وذلك كقوله : « هو مكره على احتمالها إكراها » وقوله : « وكان الفتى محباً لاستاذة ، وبه معجباً إعجاباً يوشك أن يبلغ الفتون ^(٢) » . كما كان شأنه شأن الفعل حين تضاف الصفة إلى المصدر مثل : « وسعى إلى مكان الامتحان فى راوية العميان خائفاً أشد الخوف ، مضطرب النفس أشد الاضطراب » ومثل : « ثم يندفع فى طريق ضيقة أشد الضيق ، ملتوية أشد الالتواء ، قذرة أشد القذارة » ومثل « وهى خاضعة للرقابة البرلمانية خضوع غيرها من مصالح الحكومة ^(٣) » .

كما كان شأن المشتق كان شأن الفعل حين يأتى مع « كل » مضافة إلى المصدر، مثل قوله : « ولكنه عاجز كل العجز أن يتذكر كيف استحالت الحال » ، وقوله : « قد استقر فيها هواء فاسد كل الفساد » وقوله : « ولكنى مخلص كل الإخلاص ، صادق كل الصدق ^(٤) » .

ومما كان يؤكد به أيضاً استخدامه للمصدر على النحو التالى :

(٢) الأيام ٥٧٧/٣ ، ٦٦١ .

(١) مستقبل الثالثة ٣٤٣ ، الأيام ٥٣٥/٣ .

(٣) الأيام ٢٧٧/٢ ، ١٦٣ ، ومستقبل الثالثة ٣٣٩ .

(٤) الأيام ١٩/١ ، ١٦٣/٢ ، مستقبل الثالثة ٣٥١ .

فعل + حرف عطف + فعل يدل على الوصف + مصدر الفعل الاول

وقد ورد هذا النمط فى (٥) مواضع من الايام ، منها قوله : « يخطون فيسرفون فى الغطيط » وقوله : « يسخر فيسرف فى السخرية ، ويعبث بهم فيغلو فى العبث » وقوله : « رضى المجددون وأغرقوا فى الرضى ، وسخط المحافظون وأسرفوا فى السخط »^(١) . فالفعل الثانى يدل على المبالغة والزيادة فى حدث الفعل الاول المتمثل فى المصدر .

وهكذا نجد أن المصدر فى جميع الحالات التى استعرضناها يتضمن معنى التأكيد ، سواء أكان المصدر مؤكّداً أم مبيّناً للنوع ، إذ المبين للنوع يشمل على توكيد عامله ، ويوضح نوعه أو عدده أو هما معاً . فجدوى المصدر المعنوية ربما تتوقف على التوكيد وحده ، ولكنها لا تتوقف على بيان النوع بمفرده ، أو بيان العدد بمفرده ، أو بيان العدد بمفرده ، أو يانها معاً ، إذ لا مفر من إفادة التوكيد فى كل حال من حالاته المختلفة .

- التوكيد بالقسم

كان القسم إحدى الوسائل التى استخدمها صاحب الايام لدفع الشك ودرء التوهم من نفس قائله أو مستمعه ، وإدخال اليقين إلى عقله ، وإثبات الحدث المراد التحقق منه .

ولم يكن القسم شائعاً شيوع المصدر ، إذا ورد فى (١٥) موضعاً من الايام ، و (٢) موضعين من مستقبل الثقافة ، بأنماط متنوعة لإفادة دلالة القسم والتأكيد والتوثيق للمعنى المقصود فى تركيب الجملة . لقد جاء القسم بصريحاً مصدراً بالفعل المضارع الاصلى « أقسم » فى (٨) مواضع من الايام ، وموضع واحد من مستقبل الثقافة ، ولم يكن متبوعاً فى كل حالة بالمقسم به ، ولا باداة

(١) الايام ١/١١ ، ٢/٣٥٠ ، ٣/٤٠٢ .

القسم ، فمن المواضع التى صرح فيها بالفعل الدال على القسم صراحة ، قوله : « وأقسمت لك أنه لم يش » وإنما خجل ، فكذبنى وعبت بلحيتى هذه ، وقد جئت اليوم لمتحن ابنك أمامى ، وأنا أقسم لئن ظهر أنه لا يحفظ القرآن لأحلقن لحيتى هذه ، ولا أصبحن مَعْرَةً الفقهاء فى هذا البلد » ، وقوله على لسان والده : « وإنى أقسم لئن فعلت لامسكنك فى القرية ، ولاقطعتك عن الأهر ، ولاجعلنك فقيهاً تقرأ القرآن فى المآتم والبيوت »^(١) . من خلال هذه النصوص يتضح أن التوكيد قد وقع بما يأتى :

أ - استخدام الفعل الصريح الدال على القسم .

ب- استخدام الحرف الدال على التوكيد « أن » مع ضمير المتكلم تارة ، وبدونها تارة أخرى .

ج- استخدام اللفظ « لئن » المركب من اللام التى تكون موطئة لجواب القسم وتوكيداً نيابة عنه فى ذلك ، حين تتقدم حرف الشرط الذى هو « إن » الخفيفة المكسورة ، وهذه اللام لا تلزم بل يجوز إثباتها وحذفها .

د - استخدام اللام فى جواب القسم سواء كان جملة اسمية أو فعلية تكون موجبة ، وإنما دخلت اللام فى جواب القسم ليتلقى بها مبالغة فى التوكيد ، إذ القسم توكيد المقسم عليه^(٢) .

هـ- استخدام الفعل الواقع فى جواب القسم فى المضارع مقروناً باللام فى أوله والنون المشددة فى آخره ، وهذا المضارع إذا كان باللام والنون لزم أن يكون جواباً للقسم ، لأن النون مخصصة لذلك ، وهى لأزمة لجواب القسم ، وتدخل اللام فى أول الفعل لتحقيق المحلوف عليه ، ولزمت

(١) الأيام ٤٣/١ ، ٣٠٦/٢ .

(٢) المائى - صف المائى ٢٣٩ .

النون فى آخر الفعل ليفصل بها بين فعل الحال والاستقبال ، فهى دليل
الاستقبال «^(١)» .

كما استخدم الفعل الدال على القسم صراحة + أداة القسم الباء + المقسم
به وهو لفظ الجلالة فى موضعين ، كقوله : « أقسم بالله ثلاثاً ما نسيه ولا
أقرانه ، وإنما استمعت له القرآن ، فتلا على كالماء الجارى ، لم يقف ولم
يتردد »^(٢) وقوله : « أقسم بالله العظيم ثلاثاً ما أهملته يوماً »^(٣) . من خلال
هذا الاستخدام يلاحظ ما يأتى :

أ - استخدام حرف القسم الاصلى الباء ، ومعها أى الباء يجوز حذف فعل
القسم ، ويجوز اثباته ، كما يجوز أن يكون المحلوف به اسماً ظاهراً ، أو
ضميراً بارزاً ، وما ورد كان اسماً ظاهراً .

ب - استخدام الوصف للمقسم به من جانب ، ولفظ « ثلاثاً » النائب عن
المفعول المطلق .

ج - استخدام الروابط الدالة على النفى التى تربط جملة الجواب بجملة
القسم ، وقيمة جملة الجواب كونها تتضمن المعنى الأساسى الذى لولاه ما
كان القسم .

ومما استخدمه أيضاً للدلالة على القسم مع حذف الفعل الدال عليه وأداته
والمقسم به ، واللام + أداة الشرط ، وهذه اللام هى الموطئة ، وقد سبقت
الإشارة إليها ، وجاءت فى موضع واحد فى قوله : « لئن خَلَيْتَ بيته وبين
النير والصلاة لانصرفن »^(٤) . وهذه اللام توحى بأن الجواب بمدى مبنى على
قسم قبلها لا على الشرط .

(٢) الايام ١/ ٤٤ ، ٦٦ .

(١) الزجاجى - اللامات ١١٤ .

(٣) الايام ١/ ٨١ .

وشبيه بهذا استخدامه للفعل المضارع المبدوء باللام المفتوحة والمختوم بنون التوكيد ، وهذا التركيب واحد من الدلائل المرشدة إلى جملة قسمية ، ولم ترد إلا مرة واحدة في قوله : « قال سيدنا : فَتَقَسَّم لتَلَوْنَ على العريف ستة أجزاء من القرآن »^(١) . فنون التوكيد إذا اقترنت بالجواب قد تغنى عن القسم .

ومثله كذلك حذف الفعل الدال على القسم واستخدام أداة القسم والمُقَسَّم به في موضعين ، منهما قوله : « وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسيني بالشيخ أن حسبك ، فقد نفذ القول ، فأجابهم الشيخ فى غنائه الظريف : لا والله لا نقوم حتى يقتنع هذا المجنون »^(٢) والرباط هنا أداة النفي « لا » .

وثمة ألفاظ أخرى تسمى ألفاظ القسم غير الصريح لا يعرف السامع أن الناطق ، بها حالف بدون قرينة^(٣) ، وهذه الألفاظ منها ما هو فى مجال الفعل ، ومنها ما هو فى مجال الاسم ، فمن ألفاظ القسم غير الصريح فى مجال الفعل ما استخدمه طه حسين الفعل « شهد » فى موضعين بصيغة الفعل الماضى ، فى قوله : « وشهد الله ما عرض له النسيان قط »^(٤) وقوله : « وشهد الله لقد عرض هذا الوصف فملك قلوب الذين استمعوا له ، وملأ نفوسهم رضا عنه ، وإعجاباً به »^(٥) .

وهذه الأفعال تعرب إعراب سائر الأفعال ، فلا تشذ عنها ، قال سيبويه : « مثل ذلك : يعلم الله لأفعلن ، فإعرابه بمتزلة ، يرحمك الله ، وفيه معنى الدعاء ، وبمتزلة : اتقى الله امرؤ وعمل خيراً ، إعرابه إعراب : فَعَلَ ومعناه معنى : لِيَفْعَلَ وَلِيَعْمَلَ »^(٥) .

(٢) الأيام ٢/٣٣٨ .

(١) الأيام ١/٤٦ .

(٤) الأيام ٣/٥٥١ ، ٦٦٤ .

(٣) راجع : عباس حسن - النحو الوائى ٢/٣٨٢ .

(٥) سيبويه - الكتاب ٢/ ١٧ .

ومن ألفاظ القسم غير الصريح فى مجال الاسم ما استخدمه طه حسين ، فى قوله : « ولعمرى إني لا أتخيل داعياً يدعوننا . . . »^(١) وقوله : « ولعمرى لئن فَعَلْتُ ذلك - يقصد الجامعة - فليس بضائر لها »^(٢) . وهذا اللفظ يعرب مبتدأ إذا اقترن بلام الابتداء ، وخبره محذوف وجوباً ، تقديره : قسمى أو ما أقسم به ، وتنصب إذا جردت منها باعتبارها مفعولاً مطلقاً ، ومفعولاً به لفعل محذوف ، أو بنزع الخافض انسجاماً مع رأى الذى يقضى بانتصاب المقسم به ، بنزع الخافض إذا حذف أداة القسم . « وقد لُزِمَت اللام فى « العمر الله » دلالة على القسم ولُزِمَ الابتداء فيه ، إذ لا يخرج عنها ، فإن أزيل عنها حذفَت اللام وفتحت عينه ، وضمت ، ولشدة اتصالها بها ، جعلها بعضهم كجزء منها . . . فكما تدل فى الجواب على القسم كذلك تدل فى القسم على الجواب ، وإذا تأملت هذه اللام فهى لام الابتداء حيناً ، ولام التوطئة حيناً آخر »^(٣) .

وهكذا لعب القسم بجميع صوره دوراً فى تركيب الجملة لدى صاحب الأيام ، وقد لوحظ أنه أجرى معظمه على لسان شيوخه وأساتذته فى مراحل حياته المختلفة ، ولا يعنى هذا أنه أعفى نفسه من إجراء القسم على لسانه ، فقد أورده فى موضعين مصدراً بكلمة « لعمرى » . وهو قسم غير صريح فى مجال الاسم ، كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل .

- التوكيد بحروف المعانى

لاشك أن حروف المعانى تؤدى وظائف هامة فى إطار البناء اللغوى ، فلا يستطيع المرء استخدام اللغة أو إقامة تركيب لغوى - باستثناء بعض الحالات فى الجملة الاسمية أو السفعلية - دون الاستعانة بحرف من حروف المعانى - التى

(١) مخيل الثقافة ٤٧ ، الأيام ٣/ ٥١ وانظر ٦٦٤ من الجزء نفسه .

(٢) الملقى - وصف البانى ٢٤٠ .

تعدد دلالتها بتغيير موقعها فى السياق . وليست هذه الحروف نوعاً واحداً ، فمنها ما يختص بالاسم ، ومنها ما يختص بالفعل ، ومنها ما يدخل على الاسم والفعل والحرف ، أى غير مختص بنوع معين .

لقد أكثر صاحب الأيام من استخدام حروف المعانى بشكل ملحوظ ، لإضفاء دلالة التوكيد على معنى الجملة ، فالجملة عنده مؤكدة فى دلالتها بأكثر من وسيلة لغوية ، وأبرز هذه الوسائل حروف المعانى ، فربما يجتمع فى الجملة الواحدة أداتان أو ثلاث أو أكثر على نحو ما سنرى .

فمن الحروف المختصة بالاسم ، ما عرفت عند النحاة بالأحرف المشبهة بالفعل ، وهى التى تعرف بـ « إن » وأخواتها . وهذه الأحرف تختلف فى دلالتها والمعانى التى تأتى ، وإن كانت موحدة فى الوظيفة النحوية التى تؤديها ، فـ « إن » تؤكد معنى الجملة ، والتوكيد تقوية الثابت لا تغيير المعنى ، وكذلك أن المفتوحة ، ولكونها مع جزئيتها فى تأويل المفرد لكونها مصدرية وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف إليه .

لقد كثر استخدام « إن » و « أن » فيما تتبعناه من مؤلفات صاحب الأيام كثرة لا نستطيع معها تتبع أو رصد كل جملة ورد فيها ، هذان الحرفان أو غيرهما من الحروف التى تشيع شيوعاً ملحوظاً يكاد أن يكون فى كل جملة . ومما تجدر الإشارة إليه أن استخدام هذين الحرفين للتوكيد لم يكن كافياً ، بل كان يدخل مع « إن » حرفاً آخر للمزيد من التوكيد ، وهو « لام الابتداء » التى تدخل على خبر « إن » ، ولا تجتمع معها على المبتدأ ، لتكون « إن » للتوكيد ، واللام تفيد التوكيد ، وقد كره أن يجتمع مؤكداً على مؤكّد واحد ، فأخرت اللام للخير ، وقد وردت لام الابتداء مقترنة بخير إن (٥٥) مرة ، جاءت (٣٠) مرة فى الأيام ، (٢٥) مرة فى مستقبل الثقافة ، ولو حظ أنها اقترنت بالخبر المفرد ، مثل قوله : « إن ابنك لشديد الحاجة إلى

تجويد القرآن»^(١) . واقتترنت بالخبر الجملة التى فعلها مضارع ، مثل : « وإنه ليمد سمعه مدا يكاد يخترق به الحائط »^(٢) ومثل : « وإنى لأعرف هذا الرجل الصالح الكريم ، وإنى لأعرف قومًا كرامًا صالحين »^(٣) . ويلاحظ أن اقتتران الفعل المضارع بلام الابتداء مع خبر إن أكثر الأحوال ورودًا (٢٩) مرة (١٧) فى الأيام ، (١٢) فى مستقبل الثقافة . وربما يرجع ذلك إلى دلالة الفعل على الحال التى يصفها ، فهى لا تدخل على الماضى إلا إذا اقترن بـ « قد » التى تقرب دلالة الماضى من الحال . ومما اقتترنت به اللام أيضًا خبر إن شبه الجملة المكون من الجار والمجرور مثل قوله : « وإنه لمن المحرج أن نضطر إلى تقرير الأوليات »^(٤) وقوله : « وإنه لفى ذلك ، وإذا بابه يُطرق ، وقد كان الليل يبلغ ثلثيه »^(٥) . كما اقتترنت اللام أيضًا باسم « إن » الذى تقدم عليه الخبر شبه الجملة ، مثل قوله : « وإن فى نفسه لحسرات »^(٦) ، وهذه الحالة قليلة الشيع فى الاستخدام .

- لام التوطئة

ومن أنواع اللام التى استخدمها صاحب الأيام « اللام الموطئة » وقد سبقت الإشارة إليها خلال الحديث عن القسم .

- لام الجواب

أما لام الجواب فقد وردت فى مواضع متعددة ، مثل التى جاءت فى جواب القسم غير الصريح ، إذ لم يستخدم اللام فى جواب قسم صريح ، وإنما استخدم « ما » أو « لا » النافيتين . وما ورد فى جواب القسم غير الصريح قوله : « لئن خلّيت بينه وبين المنبر والصلاة لأنصرفنَّ »^(٧) .

(١) الأيام ١٠ / ١ .

(١) الأيام ١١١ / ١ .

(٤) مستقبل الثقافة ٢٨٠ ، الأيام ٥٣٩ / ٣ .

(٣) مستقبل الثقافة ٦٨ .

(٦) الأيام ٨١ / ١ وانظر ٣٠٦ / ٢ ، ٤٧٧ / ٣ من المرجع نفسه .

(٤) الأيام ١٠ / ١ .

ومن لام الجواب أيضاً ما ورد فى جواب «لو» الشرطية ، وقد ورد فى (١٧) موضعاً ، جاءت فى (٩) مواضع من الأيام و(٨) مواضع من مستقبل الثقافة ، من ذلك قوله : « ولو قد أرسل نفسه مع طبيعتها لبكى ولابكى من حوله ، أباه وأخويه »^(١) وقوله « لو قال قائل هذا الكلام للقيه المصريون جميعاً بالضحك والسخرية والاستهزاء ، ولكان المحافظون وأنصار القديم أشد الناس التواء »^(٢) .

ومنها أيضاً ما جاءت فى جواب « لولا » التى وردت فى (٣) مواضع من مستقبل الثقافة ، و (٤) مواضع من الأيام ، من ذلك قوله : « ولولا أنى خرجت اليوم من الكتاب قبل انصراف الصبيان لما رجعت حافياً » وقوله « ولولا أن رفيقه كان ماهراً لبقياً لتعرض لشر كثير »^(٣) . وجاءت اللام فى جواب «لولا» مقروئاً بـ « قد » المتبوعة بالفعل الماضى للدلالة على التثبت والتيقن من حدوث الشئ ، فى قوله : « ولولا أنى أكره تأثيم المسلمين ، ولا استحلى لنفسى ما يستحله قوم لأنفسهم من الحكم على المسلم بالكفر والفسوق ، لقد كنت أستطيع أن أخذهم بحجتهم وأورطهم فيما يورطون الناس فيه »^(٤) فالجمله كما نرى مؤكدة بأكثر من حرف من حروف المعانى .

- قد -

ومن حروف المعانى التى أكد بها طه حسين « قد » ، إذ استخدمها مقرونة بالفعل الماضى فى (٧٧) موضعاً من الأيام ، و (٣٧) موضعاً من مستقبل الثقافة . ولوحظ فى كتاب الأيام أن الفعل الناسخ « كان » أكثر الأفعال الماضية اقتراناً بهذا الحرف ، على حين تنوعت الأفعال الأخرى التى تقترب به فيمابقى

(٢) الأيام ١/٦١ .

(١) الأيام ١/١٣٩ ومستقبل الثقافة ٥٦ .

(٣) مستقبل الثقافة ٣٠٢ .

من أفعال فى الأيام والكتاب الثانى ، من ذلك قوله : « فقد كانت حاجته اليه شديدة »^(١) وقوله : « كان قد ألفها »^(٢) وقوله : « قد صحت عزيمته عليه ، وقد تهيأت له أسبابه »^(٣) وقوله : « قد عرضنا للأرهر أثناء هذا الحديث غير مرة »^(٤) ، وقوله : « وقد وقع هذا الحديث من المؤتمرين موقعاً حسناً »^(٥) .

- نون التوكيد

لهذه النون صورتان ، ثقيلة أو مشددة وخفيفة ، وهما من حروف المعانى ، يؤتى بهما لتأكيد الفعل المضارع ، والثقيلة أقوى دلالة على التوكيد من الخفيفة . وهذه النون بحالتها تخلص الفعل للمستقبل وتجعله مبنياً بعد أن كان معرباً ، وقد سبقت الإشارة إليها فى موضع سابق من البحث .

وقد جاءت نون التوكيد عند طه حسين فى (١٢) موضعاً من الأيام ، ولم نجد لها صورة فى الكتاب الثانى . والنون التى جاءت فى الأيام ثقيلة متصلة بالفعل المضارع الذى دخلت عليه اللام التى تنوعت بين لام القسم واللام الدالة على الطلب ، أى تنوع الفعل المضارع بين وجوب التوكيد مع القسم ، وجوار التوكيد مع الطلب ، وتمثل للأولى بقوله : « قال سيدنا : فتقسم لتلوتنَّ على العريف ستة أجزاء من القرآن فى كل يوم من أيام العمل ، ولتكوننَّ هذه التلاوة أول ما تأتى به حين تصل إلى الكتاب . وقوله « ودعا سيدنا العريف فآخذ عليه عهداً مثله ، لَيَسْمَعَنَّ للصبى فى كل يوم ستة أجزاء من القرآن »^(٦) . ويدخل هذا فى إطار القسم غير الصريح .

وتمثل للثانية بقوله : « قدَّر الصبى فى نفسه أن اخاه مدين لله بالصوم والصلاة ثلاثة أعوام كاملة ، وفرض الصبى على نفسه لَيُصَلِّينَ الخمس فى كل يوم مرتين : مرة لنفسه ومرة لأخيه ، وَلَيَصُومَنَّ مِنَ السنة شهرين : شهراً

(١) الأيام ١٦/١ ، ٢٥ ، ٤٧٣/٣ ومستقبل ٤٣٦ ، ٤٨٨ .

(٢) الأيام ٤٦/١ .

لنفسه وشهراً لآخيه ، وَلَيَكُنَّ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِهِ ، وَلَيَجْعَلَنَّ ذَلِكَ عَهْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ خَاصَّةً ، وَلَيُطْعَمَنَّ فَقِيرًا أَوْ يَتِيمًا مِمَّا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُهُ مِنْ طَعَامٍ أَوْ فَاكِهِةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ : نَحْظُهُ مِنْهُ ^(١) . ويلاحظ من خلال ما أوردناه وما لم نورد من المواضع أن تأكيد الأفعال المضارعة بالنون يتعلق بالحدث فيها بذاته هو تعلقاً مباشراً ، مما يوحى بحرصه الشديد على تثبيت دلالة الفعل الصادر منه أو الواقع عليه .

- التوكيد بالأحرف الخفيفة

يقصد بالأحرف الخفيفة مجموعة الأحرف المكونة من : إِنْ ، أَنْ ، كَانَ ، لَكِنْ ، وهى مخففة من : إِنْ ، أَنْ ، كَانَ ، لَكِنْ ، وقد انحصر التخفيف فى النون ، إذ صارت ساكنة بعد أن كانت مشددة ، وقد ترتبت على هذا التخفيف أمور نوجزها فيما يلى :

- أ - من حيث اللفظ فقد صارت النون ساكنة بعد أن كانت مشددة .
- ب - من حيث الدلالة فقد ظل كل حرف على دلالته التى كان لها قبل التخفيف .
- ج - من حيث العمل النحوى فكل هذه الأحرف إلا « أَنْ » فقدت الوظيفة النحوية التى كانت تؤديها ، فلم تعد تنصب ما كان اسماً لها أو ترفع ما كان خبراً . وقد ظلت « أَنْ » على حالها من نصب ما كان مبتدأ ، ورفع ما كان خبراً .

د - من حيث التركيب فقد طرأ تغيير على الجملة الواقعة بعد هذه الأحرف ، فكلها باستثناء « أَنْ » صار الواقع بعدها مبتدأ وخبراً ، كما كان قبل دخول الأحرف التى لم تخفف . أما « أَنْ » فقد صار اسمها ضميراً ، يسمى بضمير الشأن وهو دائماً محذوف ، وخبرها لا يكون إلا جملة اسمية أو فعلية ، والفعلية قد يكون فعلها جامداً غير متصرف ، وقد يكون متصرفاً ،

(١) الأيام ١/ ١٣٢ .

وحين يكون جملة اسمية أو فعلية فعلها جامد غير متصرف لا تحتاج إلى فاصل . مثل : السين ، سوف ، قد ، لو ، لن ، لا ، وهو ما تحتاجه أن إذا أعقبها جملة فعلية فعلها متصرف على نحو ما سنرى .

جاءت الأحرف المخففة في (٢٨) موضعاً ، ممثلة في «إن» ، وأن ، كأن ولم تكن هذه الأحرف بدرجة واحدة من حيث ورودها واستخدامها ، فأكثرها وروداً في الاستخدام الحرف «أن» ، إذ ورد في (٢٨) موضعاً ، جاء في (٢٦) موضعاً من الأيام ، وفي (٢) موضعين من مستقبل الشقافة ، وجاء كل من «إن» و «كأن» مخففاً في موضعين من الأيام .

جاءت «أن» المخففة من أن في المواضع التي سبق ذكرها متبوعة بخبر جملة فعلية ، فلم ترد متبوعة بخبر جملة اسمية . وقد تنوعت الأفعال بين التصرف والجمود ، وكانت الأفعال المتصرفة أكثر من الجامدة ، إذ بلغ مجموعها (١٩) موضعاً ، وكان مجموع الجامدة (٨) مواضع ، ولم تخرج عن الفعل ليس في كل المواضع التي وردت فيها . واسم «أن» في كل ما وردت - مع الجامد والمتصرف من الأفعال - ضمير الشأن محذوف . ولم يفصل بين «أن» و «ليس» فاصل لكونه جامداً ، قال طه حسين : «وكان يظن أن ليس فوق علم الأستاذ علم»^(١) وقال : «وحدثته نفسه بأن ليس من الزواج بُد»^(٢) ، وقال : «واستيقنا أن ليس بيتنا وبين الأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في المزاج»^(٣) .

وقد تنوع الفاصل الواقع بعد «أن» لكون الخبر جملة فعلية فعلها متصرف ، تنوع بين : قد ، السين ، لو ، وكان أكثر الفواصل وروداً هو «قد» ، إذ جاء في (١٠) مواضع ، منها (٨) مواضع في الأيام ، و (٢) موضعان في

(١) الأيام ٣/٤٥٧ ، ٤٩١ ومستقبل الثقافة ٧٢ .

مستقبل الثقافة ، من ذلك قوله : « عرف أن قد بزغ الفجر ، وأن قد هبطت العفاريث إلى مستقر من الأرض السفلى »^(١) ، وقوله : « وإذا هو ينبتهما بأن قد آن لهما أن يسافرا »^(٢) ، وقوله : « أرعم أن قد آن الوقت الذى يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية كثيرها من العلوم »^(٣) .

وتلى « قد » من الفواصل « السين » ، إذ وردت فى (٤) مواضع من الأيام ، من ذلك قوله : « فلم لا يبتهج الصبى حين يرى أن سيقرا من العلم ما قرأ أخوه ، وأن سيمتاز من رفاقه وأترابه »^(١) وقوله : « ولم يكن يُقدَّر أن سيشارك فى السياسة من قرب أو بعد »^(٢) .

وآخر هذه الفواصل « لـ » ، وقد جاءت فى موضع واحد من الأيام فى قوله : « ويقدر أن لو كان معه فى الغرفة بعض المبصرين لأضئ المصباح ليطرد هذه الظلمة المتكاثفة »^(٣) ولم نجد فواصل مثل « لا » و « لن » و « سوف » .

ومن الحروف المخففة « إن » المخففة من « إن » ، وهذه لا يليها - إذا خففت - من الأفعال إلا الأفعال الناسخة للابتداء ، مثل كان وأخواتها ، وظن وأخواتها ، ولزمتها لام تفرق بينها وبين « إن » العاملة عمل ليس ، وقد جاءت فى موضعين من الأيام فى قوله : « إن كان فى ذلك الوقت لصبى جدد وعمل »^(١) وقوله : « وويل للأزهريين من خبز الأهر ، إن كانوا ليجدون فيه ضروبا من القش والوائا من الحصى وفنونا من الحشرات »^(٢) . فما أعقبها سوى الناسخ « كان » واقترن خبر الناسخ باللام الفارقة تمييزا لـ « إن » المخففة من « إن » النافية العاملة عمل ليس التى لا يقرن خبرها بشئ .

(١) الأيام ١/ ١٠ ، ٣/ ٣٥٥ ومستقبل الثقافة ٣٦٢ .

(٢) الأيام ١/ ٧١ ، ٣/ ٦٧٩ .

(٣) الأيام ١/ ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٣) الأيام ٢/ ١٩٧ .

وأخر الحروف المخففة « كَانُ » المخففة من « كَانٌ » ، وهذه إذا خففت نوى اسمها ، وأخير عنها بجملة اسمية ، أو فعلية مصدرية بـ « لم » أو مصدرية بـ « قد » . وجاءت « كَانُ » المخففة فى موضعين من الأيام ، فى قوله : « إن ذاكرة الإنسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة ، فهى تتمثل بعض هذه الحوادث واضحاً جلياً كأن لم يمض بينها وبينه من الوقت شئ » ثم يحى منها بعضها الآخر كأن لم يكن بينها وبينه عهد ^(١) فهى تتأمل أن فى إضمار اسمها ، وكون خبرها جملة اسمية أو فعلية ، والفواصل الذى يفصل بينها وبين الجملة الفعلية . ومن المعروف أن « كَانُ » قبل تخفيفها قد تفيد القرب ، وقد تفيد التشبيه ، وقد تفيد الشك والظن ، والتوكيد يتعلق بالحرفين إن وأن فى خففتها وثقلهما .

ومما تجدر الإشارة إليها فى ختام هذه الدراسة وجود عدد من الأحرف التى تضيف دلالة التوكيد إلى ما ترد فيه من تراكيب ، وهذه المجموعة من الأحرف تعرف بالأحرف الزائدة التى يعد ورودها رائدة أمراً عارضاً لا أصلياً ، وسميت رائدة لكونها لا تضيف معنى جديداً إلى المعنى العام للتركيب الذى ترد فيه ، ولكنها تعمل على تأكيد المعنى وتقويته .

وأحرف الزيادة هى : الباء ، من ، إن وأن ، ما ، ولا عن ، على ، فى ، الكاف ، اللام ، وهذه الأحرف لها وظائفها النحوية بجانب المعانى الدلالية التى ترد فيها والحديث عنها مفصل فى كتب الحروف . ولكونها لا تزداد دائماً بل فى أحوال خاصة واستخدامات تكاد تكون معينة ، فلم نعزل عليها كثيراً فى هذه الدراسة .

الخاتمة

من خلال متابعة دلالة التوكيد فى مؤلفين من مؤلفات طه حسين يمكن أن نسجل النتائج الآتية :

- التوكيد معنى من المعانى الكامنة فى النفس ، إذ يقع فى الإثبات والنفى ، والحقيقة والمجاز ، وهو يمثل ظاهرة شائعة لدى البشر ، فالكل حريص على تثبيت القول أو الفعل وتوكيده .
- علاقة التوكيد بأفعال الشخص وسلوكه قائمة ودائمة ، واستخدام وسيلة أو أكثر استجابة لمعان نفسية واجتماعية ، وهذه المعانى قد تدفع إلى تغليب وسيلة على أخرى ، أو إعادتها إعادة تلفت النظر ، وتثير الانتباه . فوسائل التوكيد رسائل ثقة وتطمين ييئها صاحبها فى ثنايا حديثه إلى الآخرين ليكونوا على يقين مما يقع من أقوال وأفعال .
- إذا كانت وسائل التوكيد تختلف باختلاف مستخدمها ، فلإنها تنوع حسب المتلقى ، فالتوكيد أولاً وأخيراً يعتمد على وحدات لغوية ، وليس مجرد أثره تافه لإضاعة الوقت ، بل هو نوع من اتخاذ المواقف الرسمية إزاء المشكلات التى لا تنتهى .
- التركيد يعكس السمات والخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب والعلاقة بينهما . وهو يمثل وجهاً من وجوه الاحتياط والتمكين للمعنى . ووقوعه فى اللغة العربية دليل قوى على شياع المجاز فيها ، ودليل قوى على اهتمام العرب به ، لكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، مما جعلهم يفردون له باباً خاصاً لعنايتهم به .
- ثمة عدد من العناصر الصوتية تؤدى عدداً من المعانى من بينها التوكيد ، من هذه العناصر الطول فى الصوت الذى يستعمل كوسيلة

من وسائل التعبير التوكيدية أو الانفعالية لتأكيد مقطع من المقاطع ،
ويعبء الطول فى الصوت عنصراً فعالاً ، له دور وظيفى فى العربية ،
وقد أشار ابن جنى إلى أن إطالة الصوت لتمكين الحرف ، وتطاولاً
إلى إطالته ، وأن مظل الصوت ، ومده وتراخيه والإبعاد فيه لمعنى
الحادث .

- من العناصر الصوتية التى يستدل بها على التوكيد أيضاً النبر الذى يعرف
بالنبر التوكيدى ، وهو يعتمد على تنوعات شدة الصوت ، أو بمعنى آخر
أدق علو الصوت ، فالقضية قضية إدراك وحس .

- ومنها أيضاً التنغيم ، وهو وثيق الصلة بالنبر ، فلا يحدث تنغيم دون نبر
للمقطع ، والتنغيم ظاهرة فسيولوجية لا يمكن كتبها فى كلام طيسى ،
يتسرب إلى نظام التسمية ، حيث أصبح مطية وضعيات مختلفة منها :
التأكيد والاستفهام والسنداء ، وأخذ يحل محل حروف المعانى الأصلية
المقيدة لها . فصرنا نقول : فلان ! بدل أن نقول يا فلان ، وفهمت ؟
بدل أفهمت ؟

- لا يشكل المؤكّد عنصراً وظيفياً نحوياً أساسياً فى الجملة العربية ؛ لكونه من
الثوانسى ، أى تابعاً لغيره ، وألفاظه ليست مستقلة مستغنية عما تقدم
عليها ، فهو لا ينزل منزلة مبتدأ والخبر فى التركيب الاسمى ، ولا ينزل
منزلة الفعل والفاعل فى التركيب الفعلى .

- تبين أن دلالة التوكيد لا تقف عند حدود ما أورده النحاة فى باب التوابع ،
أو ما يعرف بالتوكيد النحوى أو الاصطلاحي ، بل تتعدى هذا الباب إلى
أبواب متعددة وموضوعات مختلفة ، لها دلالتها المتنوعة ، وإنما يقع
التوكيد فيها لتثبيت المعنى الذى جاء له .

- كما لا تتوقف دلالة التوكيد عند حد التركيب أو الجملة كاملة ، بل إن هناك من الألفاظ وحروف المعاني ما يؤدي دلالة التوكيد أيضاً .
- تأتي أهمية دراسة التوكيد عند طه حسين من ناحية أنها تمثل جانباً من جوانب الاستخدام اللغوي لديه .
- التوكيد بكل صوره وأحواله يشكل موضوعاً بارزاً في كتابات طه حسين ، إذ يعد عنصراً فاعلاً شائعاً في استخداماته اللغوية ، فالجملة عنده مؤكدة - في أكثر أحوالها - بأكثر من وسيلة تأكيدية . ويلاحظ أن وسائل التوكيد لديه لم تتخذ شكلاً واحداً ، ولا نمطاً ثابتاً ، ولم تقتصر على ما أورده النحاة في باب التوابع ، بل تعدى الشكل الواحد إلى أشكال متعددة ، فهناك ما أسميناه بالتوكيد النحوي ، وما أسميناه بالتوكيد اللغوي ، فقد استفاد من كل الوسائل التي يسرتها اللغة .
- لا يشيع التوكيد اللفظي عند طه حسين في الاستخدام اللغوي ، إذا استعمله على نحو محدود ، فلم تؤكد الأسماء الظاهرة ولا الأفعال ولا الحروف ، كما لم تؤكد الجملة بنوعها ، ولا شبه الجملة بنوعها ، ولا الحروف ، وما وجدنا مؤكداً انحصر في ضمير الغائب المفرد المنفصل المذكر والمؤنث ، والضمير المتصل الدال على المخاطب . وما ورد من ألفاظ مكررة دالة على الترتيب العددي أو التدريجي كان قليلاً في شيوخه .
- أما التوكيد المعنوي فقد شاع في استخدامه ، وانحصر في ثلاثة ألفاظ ، وهي : نفس ، عين ، كل . ولنلاحظ أنه اكتفى بالألفاظ التوكيد المعنوي الأساسية التي أشرنا إليها ، وكثر توكيد المفرد ، وقل توكيد الجمع ، ولم يأت مؤكداً إلا المعرفة ، ولم يقع لنا خلال استقصاء هذا الجانب أى

لفظ ، مثل : أكتع وأبصع وما يماثلهما من الألفاظ التى أعملت ، ولم يعد لها استخدام فى كتابات المعاصرين . وعموما لا يشكل ما يسمى بالتوكيد النحوى الاصطلاحي ظاهرة ذات شيوع ملحوظ أو لافت للنظر ، مثلما يوجد فى غيره .

- من رسائل التوكيد التى شاعت فى الاستخدام « حسب » إذ ورد هذا الاسم (٥٤) مرة ، وقد تنوع استعماله بين الاقتران بالفاء وعدم الاقتران بها ، وكان اقترانه بها أكثر (٤١) مرة ، من عدم الاقتران (١٣) مرة ، وتسبغ « حسب » التأكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزيين اللفظ .

- أما « غير » فقد جاءت بصورتين ، إحداهما : نكرة متبوعة بنكرة أخرى ، وهى هنا تفيد الوصف لا الاستثناء ، وما وقع بعدها تورع بين الطرفين والوصف كالمصدر والمشتق . وكان استخدامه لغير خالٍ من النفى الفعلى أو الحرفى ، يفوق استخدامه لها مسبوقه بالنفى ، إذ بلغ مجموع الأولى (٢٦) مرة ، والثانية (٦) مرات ، وكان النفى بالفعل الناسخ « ليس » .

- وأما « قط » فقد بلغ مجموع استخدامها (٦٦) مرة ، وقد جاء استخدامها للدلالة على الماضى فى اللفظ والمعنى (٣) مرات ، وللدلالة على الماضى فى المعنى دون اللفظ (٥٩) مرة وفى الحالتين جاءت مسبوقه بنفى حرفى ، وكانت (ما) نافية فى الماضى لفظاً ومعنى ، (ولم) نافية للمعنى فقط .

- وكان اللفظ « أبداً » أقل الألفاظ المستخدمة غنًه ، إذ لم ترد إلا مرة واحدة ، وهى لتأكيد النفى فى المستقبل .

- يمثل تركيب لاسيما استخداماً قليلاً ، إذ ورد (١١) مرة ، وكانت فى كل

أحوالها للتوكيد والتخصيص والتفضيل لما وقع بعدها ، وليس بصحيح أنها تفيد الاستثناء كما ذهب البعض .

- ويمثل التوكيد بالمصدر أكثر الوسائل شيوعاً (٤٩٧) مرة ، وربما يعود ذلك إلى دلالة على الحدث ، وحياة المراء كلها أحداث . وقد جاء من حيث العامل مورعاً بين الفعل والوصف أو الصفة التي تجري مجرى الفعل ، ورد الأول في (٤٢٠) موضعاً من الكتابين ، وورد الثانى في (٧٧) موضعاً ، وفي جميع الأحوال يتضمن معنى التوكيد .

- كان القسم وسيلة للتأكيد كذلك ، ولم يكن شائعاً شيوع المصدر (١٧) مرة فى الكتابين ، وكان وروده مورعاً بين استخدام الفعل الصريح الدال على القسم ، والحرف الدال على التوكيد (إن) ، واللفظ « لئن » واللام فى جواب القسم ، واستخدام الفعل الواقع فى جواب القسم فى المضارع مقروناً باللام فى أوله والنون المشددة فى آخره . كما كان أحياناً يحذف الفعل الدال على القسم ويستخدم أداة القسم والمقسم به . كما تنوعت الفاظ القسم بين الالفاظ المباشرة وغير المباشرة . وقد أجرى القسم فى أغلب مواضعه على لسان شيوخه وأساتذته ، ولا يعنى هذا أنه أعفى نفسه من إجراء القسم على لسانه ، إذ أوزده فى موضعين مصدراً بكلمة « العمرى » وهو قسم غير صريح فى مجال الاسم .

- وأخيراً تنوع التوكيد بحروف المعانى بين استخدام « إن » و « أن » ، وهما أكثر الحروف استخداماً ، واللام الموطئة ، ولام الجواب بأحوالها الثلاثة لام جواب القسم الصريح ، لام جواب « لو » الشرطية ، وجواب (لولا) كما استخدم « قد » باللام وغيرها ، ونون التوكيد الثقيلة ، كما استخدم الأحرف الخفيفة ، مثل : « إن » المخففة من « إن » و « أن » المخففة من « أن » ، وكان ، ولكن .

المصادر والمراجع

أولاً: من مؤلفات الدكتور طه حسين

- الأيام - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ / ١٩٧٣ .
- مستقبل الثقافة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ١ / ١٩٧٣

ثانياً: المصادر والمراجع العامة^(١)

- أندري رومان
- فى تطور اللغة العربية - بحث منشور بمجلة اللسانيات الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية بمناسبة الملتقى الدولي الثالث فى اللسانيات - عدد رقم ٦ / ١٩٨٦ - من ص ١٠٧ - ١٢٣
- ابن الأنبارى (كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد)
- الإنصاف فى مسائل الخلاف - بعناية محمد محى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية بيروت - لبنان - ١٩٨٧
- د. تمام حسان
- مناهج البحث فى اللغة - الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٥)
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ٣٩٢ هـ)
- الخصائص - تحقيق محمد على النجار - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط ٣ / ١٩٨٣ .

(١) أثبتنا هنا ما اعتمد عليه البحث بصفة أساسية فى نقل النصوص ، وتركنا الباقي اكفاء بما أوردها فى الهوامش كل فى موضعه من صفحات البحث .

- اللع في العربية - تحقيق حامد المؤمن - عالم الكتب - بيروت
- لبنان - ط ٢ / ١٩٨٥ .
- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان عمر ٥٧٠ - ٦٤٦ هـ)
- الإيضاح على شرح المفصل - تحقيق : موسى بنأى العليلى -
مطبعة العانى - بغداد ١٩٨٢ .
- الحيدرة (على بن سليمان الحيدرة اليمنى ت ٥٩٩ هـ)
- كشف المشكل - تحقيق د. هادى عطية مطر ط ١ / ١٩٨٤ - الكتاب
٥٧ - مطبوعات وزارة الأوقاف - بغداد .
- أبو حيان (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى
٦٥٤ - ٧٤٥ هـ)
- ارتشاف الضرب - الخافجى بمصر - تحقيق : مصطفى أحمد النماس
ج١ / ١٨٤ / ط ١ ، ج٢ / ١٨٧ / ط ١ ، ج٣ / ١٨٩ / ط ١ .
- الرضى (رضى الدين محمد بن الحسن الاسترأبأى نت ٦٨٦ هـ)
- شرح الكافية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٨٥ .
- الزبيدى (محمد مرتضى الزبيدى - ١٢٠٥ هـ)
- تاج العروس - دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازى (د.ت)
- الزجأجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ٣٣٧ هـ)
- اللامات - تحقيق د. مارن المبارك - مطبوعات مجمع اللغة العربية
بدمشق - ١٩٦٩ .
- الزمخشرى (جأر الله محمود بن عمر الزمخشرى ٥٣٨ هـ)
- المفصل - دار الجيل - بيروت - لبنان - ط ٢ (د. ت)

- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ٣١٦هـ)
- الأصول فى النحو - تحقيق د. عبد الحسين الفتلى - مؤسسة الرسالة
- بيروت - لبنان - ط٢/ ١٩٨٧ .
- الموجز فى النحو - تحقيق: مصطفى الشومى وآخر - بيروت - ١٩٦٥
- د. سهير القلمارى
- السيرة الذاتية (الأيام) - بحث منشور بكتاب الفكر عدد رقم (١٤)
- من ٢٩٩ - ٣٠٣ - مارس ١٩٨٩ .
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ)
- الكتاب - تحقيق أ. عبد السلام هارون - الهيئة المصرية - القاهرة -
- ١٩٧٩ .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ)
- الأشباه والنظائر - تحقيق غازى طليمات وآخرين - مجمع اللغة
- العربية بدمشق - ١٩٨٥ - ١٩٨٧ .
- المزهر - شرح وتعليق محمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ، على
- محمد البجارى - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٨٦
- همع الهوامع - تحقيق أ. عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم
- مكرم - ج١ - ط٧ - دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٧٥-١٩٨٠ .
- عباس حسن
- النحو الوافى - ١- ٤ - دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة (د.ت)

- د. عبد القادر الفاسي الفهرى
- اللسانيات واللغة العربية - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب - ط ١/١٩٨٥ .
- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)
- دلائل الإعجاز - قراء وعلق عليه محمود محمد شاكر - الخانجي بمصر - ط ٢/١٩٨٩
- د. عبد الكريم مجاهد
- الدلالة اللغوية عند العرب - دار الضياء - عمان - الاردن - ١٩٨٥
- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ٦٩٨ - ٧٦٩هـ)
- شرح ابن عقيل - بعناية محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٩٣ .
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا ٣٠٦ - ٣٩٥هـ)
- الصحاحى فى فقه اللغة - تحقيق : السيد أحمد صقر - عيسى البابى الحلبي بمصر ١٩٧٧ .
- المالقي (أحمد بن عبد النور ت ٧٠٢هـ)
- رصف المبانى - تحقيق أحمد محمد الخراط - مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .
- ابن مالك (جمال الدين محمد بن مالك ٦٧٢ هـ)
- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد وآخر - دار هجر - القاهرة - ط ١/١٩٩٠ .

- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ)
- المقتضب - ١-٤ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٣٨٦ هـ .
- محمد عبد الخالق عضيمة
- دراسات فى أسلوب القرآن - مطبعة السعادة بمصر ١٩٧٢ .
- د. محمد فتحى عبد الهادى وآخرون من قسم المكتبات بأداب القاهرة
- طه حسين وتاريخه مع القلم قائمة ببليوجرافية بما كتبه وكتب عنه من كتب ، وهى منشورة بكتاب الفكر للدراسات والأبحاث عدد رقم (١٤) بمناسبة مرور مائة عام على مولده من ص ٣٦١ إلى ص ٣٩٥ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بمدينة نصر - القاهرة - مارس ١٩٨٩ .
- د. محمد على الخولى
- الأصوات اللغوية - دار الفلاح - صويلح - عمان - الأردن ١٩٩٠
- د. محمود حجازى
- فكره اللغوى - بحث منشور بكتاب الفكر رقم ١٤ الصادر بمناسبة مرور مائة عام على مولده - من ص ٥٥ إلى ص ٧٦ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بمدينة نصر - القاهرة - مارس ١٩٨٩ .
- د. محمود السعران
- علم اللغة - دار الفكر العربى - مصر (د . ت)
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن على ٧١١ هـ)
- لسان العرب - دار المعارف بمصر (د . ت)

- د. مهدي المخزومي
- في النحو العربي - قواعد وتطبيق - مكتبة مصطفى البابي الحلبي
بمصر - ط ١/ ١٩٦٦
- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن
عبد الله ٧٦١هـ)
- أوضح المسالك - بعناية محمد محيي الدين - المكتبة العصرية -
صيدا - بيروت (د . ت)
- شرح شذور الذهب - بعناية محمد محيي الدين - المكتبة العصرية
- صيدا - بيروت (د . ت) .
- ابن يعيش (موفق الدين ٦٤٣ هـ)
- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت (د . ت)

ثالثاً: المترجم

- هدسون
- علم اللغة الاجتماعي - ترجمة د. محمود عياد - عالم الكتب
بمصر - ١٩٩٠
- هنري فليش
- العربية الفصحى - ترجمة د. عبد الصبور شاهين - المطبعة
الكاثوليكية - بيروت - لبنان - ١٩٦٦ .
- مالمبرج (برتيل)
- الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمي هليل - عين للدراسات
والبحوث بالهرم - مصر - ١٩٩٤

واو الربط وظائفها ودلالاتها

دراسة نصية فى الفصحى المعاصرة من خلال

رواية « ضوضاء الذاكرة الخرساء » لحمدى البطران

بقلم الدكتور
محمد عبد الرحمن محمد الريحاني

أولاً: الإطار العام :

١- موضوع البحث :

يعالج هذا البحث موضوع الواو الرابطة ؛ وظائفها ودلالاتها دراسة نصية فى الفصحى المعاصرة من خلال رواية «ضوضاء الذاكرة الخرساء» للأديب حمدى البطران^(١).

(١) الأديب حمدى محمد عبد الله البطران ؛ ولد فى ١٠/٢/١٩٥١ بمركز ديروط « أبو جيل قبلى » محافظة أسيوط ، وأتم دراسته حتى الثانوية بمركز ديروط ، ثم التحق بكلية الهندسة قسم ميكانيكا وحصل على البكالوريوس سنة ١٩٧٣ ثم التحق بكلية الشرطة فحصل منها على دبلوم علوم الشرطة سنة ١٩٧٦ ، ثم التحق بكلية الحقوق بأسيوط وحصل منها على الليسانس سنة ١٩٩٣ . قرأ لكثير من الكتاب ، حيث قرأ كل مؤلفات توفيق الحكيم ، وتأثر به فى السرد الروائى وقرأ للمستغلوطى وعباس محمود طه حسين ، وصنع الله إبراهيم وعبد الرحمن ضيف ، وقرأ لبعض الكتاب السوريين مثل يوسف الصائغ وحنا مينا ، كما قرأ للكاتب الروسى ديستوفسكى والبريطانى لورنس داريل والفرنسى مارسيل بروتست ، وقرأ معظم النتاج الأدبى للكتاب المعاصرين مثل نجيب محفوظ ، يوسف إدريس ، جمال النيطاى ... إلخ . ألف حمدى البطران عدداً من الروايات والعصص المنشور وغير المنشور ، من ذلك : المصفقون ، (مجموعة قصصية) سنة ١٩٨٨ ، احتضار ذاكرة (رواية) سنة ١٩٨٨ ، الرقص على حافة الجرح (رواية) سنة ١٩٨٩ ، اغتيال مدينة صامتة (رواية) سنة -

أقصد بواو الربط ذلك المورفيم الصرفي Morphem . المنفصل الذي يأتي سابقاً Prefix لقصد ربط الجمل ومعانيها فى السياق ببعضها ، أو إدخال المفردات المتعاطفة فى أحكام بعضها ، أو إبراز أحكام جديدة للمفردات التالية له ، كالقطع فى المدح والذم والمعية والمصاحبة فى الأسماء والصرف فى الأفعال ، والقسم فى الأسماء أو الجر على التقليل عوضاً عن حرف مقدر فى الأسماء مثلما يؤول بالتعويض عن «رب» إلخ .

قد تأتى الواو لجعل الجملة التالية لها على علاقة معنى بشكل ما مع بعض عناصر الجملة السابقة لها ؛ فيما يطلق عليه الجملة الحاضنة والجميلة المحضونة كعلاقة جميلة الحال - التى يعتبرها النحاة جملة تامة الأركان ولها محل إعرابى فى موقع المفردة - بصاحب الحال فى الجملة السابقة سواء أكان فاعلاً أم مفعولاً .

قد تأتى الواو لاستئناف الفقر والجمل الجديدة فى إطار الموضوع العام ، حتى تتضافر العناصر الجزئية فى إبراز الفكرة الكلية التى يراد رسم أبعادها من خلال اللغة .

أقصد بالوظيفة والدلالة ؛ تلك الأنماط المختلفة التى تتشكل فيها الواو الرابطة بين الجمل والمفردات أو فى بدايات الفقر والجمل ، لتدل على معنى خاص ، قد يتعلق ببعضه بالأحكام أو يقصد من خلف الوظيفة دلالة محددة يقتضيها النمط ، ويقصدها المعبر فتكتسب الواو معناها من خلال النمط

-
- ١٩٩١ ، فوضاء الذاكرة لخرساء سنة ١٩٩٢ ، يوميات ضابط فى الأرياف (رواية) . سنة ١٩٩٤ .
حصل على جائزة اتحاد الكتاب سنة ١٩٨٩ وحصل على جائزة إحسان عبد القدوس لأكثر من مرة سنة ١٩٩١ ، ١٩٩٢ وما بعدها ، وهو يشغل الآن منصب رئيس نادى الأدب بأسيرط ،
وعضو أمانة مؤتمرات أدباء أقاليم مصر ، وعضو اتحاد الكتاب ، وشارك فى جميع مؤتمرات أدباء أقاليم مصر ، وله حضور واضح على الساحة الأدبية ، وقد نالت روايته فوضاء الذاكرة لخرساء جائزة إحسان عبد القدوس سنة ١٩٩٢ .

ويتفاعل المعنى مع المبنى الخاص لإكساب الفكرة الوضوح المقصود من خلف بناء التركيب أو التنسيق اللغوى بشكله السطحي المقصود.

٢- هدف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

أ - رصد الوظائف المتعددة التى تلعبها الواو الرابطة فى الفصحى المعاصرة من خلال النص المختار عينة لهذا الرصد .

ب- بيان العلاقة بين الواو الرابطة والدلالة التى تكتسبها من خلال التركيب أو الدلالة التى تكتسبها للتركيب .

ج- رصد الأنماط الشائعة للواو الرابطة فى الفصحى المعاصرة من خلال الدرس النصى لدى الكاتب ، الأمر الذى يتيح الدرس التاريخى للظاهرة ، أو الإفادة فى الدرس التطبيقى .

٣- المادة عينة الدراسة ومنهج التحليل :

لما كانت الدراسة - فى إطار المنهج الوصفى - تقتضى تحديد نص لغوى واضح المستوى والزمان والمكان والكم والكيف ؛ فقد وقع اختيارى على مستوى الفصحى المعاصرة فى مجال النثر الأدبى ؛ نظراً لأنه المستوى الواسع الانتشار بين الكتاب فى هذا المجال ؛ الأمر الذى يترتب عليه سعة انتشاره بين القراء ومن ثم تجد أساليب ذلك المستوى صدى عند القراء أو لنقل إنها تساهم فى تكوين المعجم الفردى الذى يشترك به الفرد مع الجماعة اللغوية فيشيع نمط من التركيب ؛ قد يكون متوارثاً فى ثوب جديد أو يكون مبتكراً ، أو تخفى بعض الأنماط لتركيب ما ويبقى بعضها الآخر ، الأمر الذى يفيد فى الدرس التاريخى لمن أراد تتبع التغير الدلالى أو التركيبى إلخ . ما يمكن أن يُعالج فى إطار المنهج التاريخى^(١) .

ثم حددت الرواية من بين الأنواع الأدبية المختلفة المتدرجة تحت جنس الشر لما تختص به من سمات فنية ككثرة الشخوص وتعدد الأبطال وامتداد الزمان . . . إلخ السمات الفنية الخاصة بها ، الأمر الذى يتيح للكاتب مساحة لغوية واسعة لعرض الفكرة ، وبالتالي تكثر الأمثلة التى تتيح للدرس اللغوى الفرصة لاستنتاج القوانين من خلال شواهد كثيرة للظاهرة المقصودة بالدرس .

ولهذا الأمر قصدت أن تكون العينة من خلال تيار الوعى فى الرواية لما يثار به كُتَّاب هذا التيار من واقعية وإعنية بمعنى رسم صورة الواقع من خلال رؤية الكاتب الخاصة بالتالى فإن استحضار المواقف والشخصيات موظفة لفكرة مقصودة أمر يتيح اختبار العلاقة بين النمط اللغوى والوظيفة الدلالية المقصودة من خلفه ، وكذلك محاولة الوقوف أمام الأنماط المختارة لخدمة الفكرة ، وما إذا كانت الأفكار تسيب فى خلق أنماط جديدة ، أو لباس معانٍ دلالية للأنماط المتوارثة .

وإذا كان الاختيار قد وقع على الشر وعلى الرواية من بين أنوع الشر ، فإنه يجب أن يحدد الزمان والكاتب ثم العينة المختارة للدرس من أعمال الكاتب .

ومن ثم استهدفت أن يكون الزمان متعلقاً بالمعاصر من أجل رصد شيوع الظاهرة فى مستوى الفصحى المعاصرة من خلال عينة واقعية ، للوقوف على الأنماط الشائعة وغير الشائعة للربط بالواو فى هذا الوقت ، وأعنى بالمعاصرة تلك الفترة التى نعيشها فى العقد الأخير من هذا القرن ، إذ هى لا تمثل فترة قائمة بذاتها بل هى امتداد للماضى ومن ثم تعبر اللغة فيها عن تراكيب مخصوصة بهذه الفترة قد تكون امتداداً فى الشكل للتقديم الموروث أو تغييراً عنه وكذلك الأمر بالنسبة للدلالة، الأمر الذى يتيح بعد ذلك إمكانية النظر إلى هذه التراكيب فى ضوء الدرس التاريخى أو الاستفادة من الدرس الوصفى فى مجال

علم اللغة التطبيقى بالنظر إلى معرفة التراكيب الأكثر شيوعاً ، للظاهرة محل الدراسة .

وإذا كان أسلوب الكاتب يمثل معجمه الخاص الذى تمثله من اللغة المخزونة لديه وقرائاته المتعددة ، فإنه - فى ضوء ذلك المعيار - قد اخترت الأديب حمدى البطران ليمثل التطبيق ؛ بالنسبة للدراسة أو النص الذى ستقوم عليه الدراسة ، ذلك أن حمدى البطران يتميز بنمط الفصحى المعاصرة فى إبداعه - وإن وردت بعض العبارات المثلثة للهجة عند الكاتب لكنها لا تمثل نسبة شيع عند الكاتب يمكن الاعتداد بها - وهى المستوى المقصود تتبع خصائص الواو الرابطة فيه بالإضافة إلى أن حمدى البطران يمثل أحد الأدباء المعاصرين الذين جاءت كتاباتهم محل للجدل الرواد من المبدعين .

رد على ذلك فإن الكاتب تتنوع كتاباته الشرية بين القصة القصيرة والرواية الطويلة ولم يكتب فى مجال الشعر قط ، الأمر الذى جعل لغته خالية من الحرص على السجع أو مراعاة الفاصلة ، الأمر الذى قد يؤدى بالكاتب فى النهاية إلى الوقوع فى ضرورة يقتضيها النظم الخاص بالورن .

وتلك الأعمال الأدبية فى جنس الشر المختار تتيح لنا تتبع الظاهرة فى جنس أدبى لا يتقيد بالضرورة الملزمة التى تحول التركيب من شكل إلى آخر .

وإذا كانت الدراسة قد اختارت حمدى البطران ، فإنها بالتالى كان عليها أن تبحث عن معطى لغوى محدد عنده يمثل عينة الدراسة المختارة للتحليل ، فكانت الرواية نظراً لتمتعها بالأسلوب السردى أكثر من القصة ، وهو الأمر الذى يتيح لنا تعقب الأنماط المختلفة أو الوظائف للرباط فى فقر تطول فتحتاج إلى الربط ، وبذلك تظهر قيمة الربط وأنماط التركيب الذى يأتى فيه .

من هنا اخترتُ عملاً يمثل أعمال الكاتب الروائية وهو « ضوضاء الذاكرة الخرساء » ذلك لأن الكاتب فيها يعيد ذكرياته عن مواقف محددة وموظفة ليعبر عن لحظة الحال بالتطابق مع لحظة الماضي أو لنقل ليفسر الحالى خلال الماضي أو العكس ، الأمر الذى جعله يستنطق شخصيات مثقفة ، لأنها فى النهاية تعبير عن موقفه الخاص وذلك يجعله فى تقمص شخصيات العمل يرصف عبارته بالفصحى المعاصرة عند المثقفين على قدر تصوره لذلك ، وفى ضوء تمثله لمستوى الفصحى المعاصرة من خلال قراءاته للمبدعين السابقين - كما ذكرنا - فى هذا المجال ، فيكون المعطى النهائى لغة الكاتب المصورة له لقربه من مستوى الشخصية التى يتقمصها ، ولنسقه بالفصحى من خلال حديث المتحدث المثقف فى المجال الأدبى .

وإذا كان الدرس اللغوى يقوم فى مجال البحث النصى على الوصف والحصر والتنميط ثم التحليل ، فإن ذلك استدعى تحديد العينة المختارة من المادة المقصودة بحيث تتناسب مع حجم الإبداع ، فاخترت المنشود من الروايات تاركاً القصة، والروايات غير المنشورة. وعليه كانت رواية «ضوضاء الذاكرة الخرساء» تمثل نسبة ٥٠ ٪ من المنشور قسماً لمثلثاتها رواية « اغتيال مدينة صامته » ثم أقترح أن يكون الاختيار من الرواية موضع الدراسة اللغوية عشوائياً، لكن بنسبة محددة تمثل ١٠ ٪ من حجم الرواية التى تبلغ (١٣٥) مائة وخمسة وثلاثين ورقة، بواقع صفحة كل عشر صفحات؛ يتم خلالها رصد استخدام الواو فى كل الجمل الواردة بالصفحة .

بعد ذلك تنمط الجمل على أساس وظيفة الواو الرابطة فيها ، فتحصّر

الأنماط الرئيسية والأشكال الفرعية التي يشملها كل نمط ، ومن ثم تقدم الأمثلة للأنماط وأشكالها مع تحليل الوظيفة التي شغلتها الوار في الجملة ، والدلالة التي ترتبت على هذه الوظيفة ، ثم يبان ما إذا كان الشكل هو المؤثر في الدلالة ، أم أن الدلالة هي المؤثرة .

وفي حالة كثرة الأمثلة للنمط يكفي بعرض وتحليل أمثلة لا تزيد عن ثلاثة من خلال الجمل الكثيرة المحصورة للنمط ، وتوضح رموز التحليل بالهوامش في البحث في مواضع ذكرها .

٤- الدراسات السابقة

٤-١- في التراث النحوى

لقد عنت دراسات كثيرة في القديم والحديث بالشكل التركيبى فى السياق اللغوى وتحليل أركانه وتصنيفها حسب الأقسام طبقا لمعيار الدراسة والهدف .

فحين عالج القدماء ما يتعلق بدلالة حروف المعانى^(٢) ذهبوا إلى أنها لا تدل على معنى^(٣) فى ذاتها ، وإنما تتعدد معانيها بالنظر إلى سياقها اللغوى ومقامها الخالى فى إطار تفسير المعنى المحمل من السياق أو المقام ، وقد حدها سيبويه على أساس من التفريق بين الأقسام الصرفية ودلالاتها ، إذ هى ليست من الأسماء ، ولا من الأفعال ، إنما هى قسم قائم بذاته وإن كان قد جاء لمعنى^(٤) ، وهذا المعنى المفسر فى ضوء قرائن متضافرة هو الذى يعطى حرف المعنى وظيفته الدلالية فى معانى النحو ، وليس وظيفته النحوية فيما يتعلق بالنظام .

وهذا الأمر ينسحب على كل حروف المعانى التى قسمت فى إطار وظائفها الدلالية إلى أقسام متعددة كالباء مثلاً ، التى تلعب وظيفة التعليق النحوى أو الجار بمعنى المصطلح لا بمعنى الخفض فى أثر العامل ، هذه الباء يصل بعض

النحاة بأقسامها الدلالية فى ضوء سياقات مختلفة إلى خمسة عشر معنى ، وإن كان من بعض المعانى الواردة لها ما يقع خلطاً بين الوظيفة النحوية والوظيفة الدلالية كالإلصاق والتعمية إذ هما من وظائف التضام فى النحو ، إذ يقصد بالإلصاق تعليق الفعل بالمجرور ويقصد بالتعمية توصيل أو تقوية العامل - فى ضوء معيار النحاة - لكى يصل إلى مفعول وإن كان حكماً - ونزع الخافض على اعتبار وجوده قد يؤدى إلى خفض ما ليس مذكوراً فى البنية السطحية ، أو قد يؤدى إلى نصب الكلمة التى لا يمكن للعامل الوصول إليها بنفسه ، ولكن يصل على الشكل الاعتبارى كقول الشاعر :

تمرون الديار ولم تموجوا كلامكم على إذا حرام^(١)

حيث نصبت كلمة « الديار » على اعتبار حرف المعنى « الباء » الذى كان يجب أن يكون من مقتضى التضام فى التركيب ، غير أن سقوطه فى البنية السطحية للتعليق أدى ذلك إلى وصول الفعل اللام لنصب الكلمة ، وهو ضرب - على مقياس النحاة - من وظيفة النحو ، أما باقى المعانى الواردة لها الباء فإنها تقع فى إطار المعانى الدلالية وليست الوظيفية ، كالباء التى قالوا عنها للاستعانة وحمل عليها المعنى فى البسمة « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ويعمل الجرجانى عزوها لهذه الوظيفة بأن « الفعل لا يتأتى أى لا يحصل على الوجه الاكمل إلا بها »^(٢) .

والواو تقع فى إطار تلك المجموعة - أعنى حروف المعانى - لذلك وقعت تحت المعيار ذاته الذى تتناوعه الوظيفة الدلالية والوظيفة النحوية ؛ فعين تعالجها كتب حروف المعانى مجدها تركز على أقسامها المختلفة مرة من حيث الوظيفة النحوية فى التركيب ومرة من حيث الدلالة وتعد كل ذلك من باب الأقسام ، غير أن الواضح فى الواو بالتحديد من جملة حروف المعانى أن معيار الوظيفة التركيبية أوضح فى التقسيم من معيار الدلالة الذى يأتى تالياً للقسم .

وفى كتب النحو العامة سواء منها العلمى أو التعليمى عولجت الواو فى تراكيب خاصة وليست فى باب أو قسم مستقل - كما هو الحال فى كتب الحروف - لكن علاجها جاء من خلال التراكيب النحوية ، إذ هى فى الغالب تدخل قسم الحروف التى لا تعمل^(٧) وإن كان هناك خلاف فى بعضها كالواو السابقة للمفعول معه^(٨) لكن توزيع أنماط الجملة التى تأتى فيها الواو - فى كتب النحو - خضع لإطار معيار المعالجة فى إطار العامل عند النحاة إذ نجد الحديث لا يختص بالواو فى العمل غالباً ولكنه ينصرف إلى ما بعدها كالحديث عن التابع المعطوف وحكمه الإعرابى أو الجملة الواقعة بعدها فيما عدا بعض الأنماط مثل واو القسم أو واو رب ؛ أو الواو الناصبة للمضارع أو المفعول معه ، لذلك تأتى أنماط الوظيفة متفرقة حيث يأتى الكلام عن نمط التركيب الذى تقع فيه فى بابه فتارة لجمدها عند الحديث عن المعطف^(٩) أو فى الجمل التى لا محل لها من الإعراب^(١٠) ، وتارة فى باب نواصب المضارع^(١١) أو جوارمه ، وتارة مع حروف الجر^(١٢) وتارة مع معالجة فضلات الجملة فى جملة الحال كما لجمدها فى المعطف على المنادى وكذلك فى قطع التابع عن المتبوع ... إلخ^(١٣) .

إذا كانت كتب النحو قد ركزت على العمل فنجاء ذكر النمط حيث اقتضى الأمر الحديث عن أثر عامل محدد فى تفاعلات عناصر الجملة ببعضها ؛ إذا كان الأمر كذلك فإن كتب حروف المعانى أو الكتب التى ركزت على بيان الأشباه والمتناظرات قد جمعت أنماط الحروف أو ما يساويها فى العمل أو الدلالة .

فذلك ابن فارس ت ٣٩٥ هـ - مثلاً - يعقد فصلاً للواو فيفصل بأقسامها إلى سى أحد عشر قسمًا ، إذ يوضح الواو وهى زائدة داخله فى مبنى المفرد والواو التى تأتى للنسق والواو التى تأتى علامة رفع ثم الواو التى تأتى

سابقة للمضارع ناصبة على إضمار « أن » بتأويل المصدر ، وتلك التى تكون بمعنى باء القسم ، والتى تكون مضمرة مقدرة فى الكلام ، والتى تكون بمعنى « رب » والتى تكون بمعنى « مع » ، والتى تكون صلة رائدة ، والتى تكون بمعنى « إذ » والنسب للعطف بالبناء على التوهم ، والتى للإقحام^(١٤) .

بل إننا نستطيع عرض حصر للأنماط التى استقرأها اللغويون من خلال الكتب التى عنيت بحروف المعانى ، فاستهدفت إحصاء الأشكال التى يرد عليها حرف المعنى فى تراكيب مختلفة مع بيان المعنى المشكل بالوظيفة تارة ، والمعنى المشكل بأثر الإعراب والوظيفة تارة أخرى .

فذلك أبو الحسين المزنى^(١٥) حينما يتعرض للسواوات يقسمها إلى إحدى وثلاثين - وإن لم يورد منها إلا ثلاثين^(١٦) - يعنينا منها تلك الأنماط التى تأتى فيها الواو حرف معنى لربط التركيب ، وذلك فى تسعة عشر نمطا نعرضها كالآتى فى شئ من الاختصار .

(١) الواو التى تنصدر للنسق (العطف) .

وتلك الواو تلعب دوراً فى المبنى والمعنى وفى الحكم الإعرابى ، وإن كانت ليست مؤثرة بذاتها فى حكم الإعراب فتشكل منها الأنماط الآتية :

أ - اسم + و + اسم هـ - ظرف + و + اسم + اسم

ب - فعل + و + فعل و - استفهام + و + اسم + اسم

جـ - جملة اسمية + و + جملة اسمية .

د - جملة فعلية + و + جملة فعلية

وتكون الواود فى هذه الاشكال رابطة لغوية من الناحية الشكلية ،
فى الوقت ذاته تفيد رد الثانى الى الاول فى المعنى - وإن كان ذلك
ينصرف إلى غلط الجمع بين الاسم والاسم فى الحكم المتحد فى المقام الاول
مثل .

«دخل على ومحمد»

إذ يمكن القول فى هذا النمط إن الواو أغنت واختصرت تركيباً عميقاً
Deep Strucure لجملة أصلها «دخل على - دخل محمد» فلما اتحد الحكم
الجارى على الاسمين على قدر^(١٧) واحد اختصر التركيب بواو النسق فرد
الثانى إلى حكم الاول بالواو ، وأكثر النحاة يقررون فى فهم هذا التركيب
أن الواو لا تفيد ترتيباً ولا زمناً^(١٨) بين الاثنين ، من ناحية أخرى فإن
الحكم الإعرابى الذى ينسحب على الاول من الاسمين بالإسناد كعامل رفع -
أو ربما يكون الاول منصوباً أو مجروراً - ينسحب على الثانى من الاسمين بأثر
الشكل التركيبى الجامع للحكم فى المعنى واتحاد الإعراب وليس بأثر الواو
كعامل منفرد على مذهب النحاة ، وبذلك القرينة المعنوية - أعنى رد الثانى
وإشراكه فى حكم الاول - التى ترتبت عليها خاصة إعرابية - فى دخول
الثانى فى إعراب الاول - بتلك القرينة تخصص واو النسق عن باقى الواوات
فى التراكيب ، ولقد نوه «المزنى» إلى بعض الاشكال الصحيحة لهذه الواو كما
ذكر بعض الاشكال الخاطئة التى لا ترد فيها واو النسق^(١٩) اعتماداً على
قرينة المعنى .

(٢) الواو التى تصدر للقسم^(٢٠) .

وهذه الواو لا تسأى إلا على شكل تركيبى واحد وله نمطان
أحدهما بالإيجاب - أى بذكرها فى التركيب - والثانى بالسلب مع إبقاء قرينة

الإعراب للدلالة على البنية العميقة للتركيب . وهو أمر يلفت إلى أن حركة الإعراب الصوتية تعد من المورفيمات الدالة على التراكيب العميقة لما يحذف من الشكل الظاهري في التركيب السطحي . وعلى ذلك يكون الشكل :

أ - و + اسم + علامة إعراب اثر المذكور + جملة جواب القسم
↓

ب - Ø + اسم + علامة إعراب دليل المحذوف + جملة جواب القسم

(٣) الواو التي تتصدر جملة (جميلة) الحال :

والقرينة الفارقة لهذه الواو تعتمد على المعنى في المقام الأول الذي يستتبع معه حكماً إعرابياً خاصاً من خلال وظيفة ما أطلق عليه النحاة الفضلات ، أو ما سماء علماء الدلالة القيود إذ المعنى الضابط لنوع واو الحال يعتمد على معنى التركيب الداخلة عليه ، فهي تتألف جملة مربوطة في المعنى بأحد عناصر الجملة السابقة لها على سبيل البيان للهيئة أو غير ذلك من الوظائف التي يأتي لها بـ مع اتحاد في زمان نسبة الحكم إلى المحكوم عليه في الجملة السابقة سواء كان ذلك بالحكم من الفاعل أو الحكم على المفعول ، في إطار وظيفة مخصوصة .

وتأتي واو الحال في أنماط شكلية على أساس المعنى هكذا .

أ - صاحب حال + و + مبتدأ + خبر (جملة اسمية)

ب- صاحب حال + و + جملة فعلية

ج-^(١١) صاحب حال + Ø^(١٢) + جملة (جميلة حال)

وتتشكل من هذه الأنماط الرئيسية الثلاثة عدة أنماط فرعية ترد عليها

جميلة الحال كأن تكون الجميلة مصدرة بقدر في جملة فعلية مع الفعل الماضي أو أن تأتى الواو مع الجملة المصدرة بالنفى ، أو تأتى مع الضمير فى الجملة الاسمية إلخ الأحكام التى عاجلها النحاة فيما يتعلق بالحال .

(٤) واو الخروج :

ويقصد بها الواو الزائدة على معيار الشكل إذ دخولها فى التركيب - كما يرى النحاة - يتساوى مع خروجها منه ، فالتركيب يظل صحيح الأركان بها أو بدونها ولا تؤثر فى أحكام الإعراب .

وقد وجد النمط التركيبى الذى تأتى فيه واو الخروج بالجملة الاسمية للمبتدأ النكرة الواقع بعد 'إلا' هكذا:-

أ - جملة + إلا + و. + خير + مبتدأ نكرة

ب- جملة + إلا + Ø + خير + مبتدأ نكرة

ويبدو أن الحكم بزيادة هذه الواو عند النحاة يقدر دورها الشكلى وأثرها الإعرابى فى المقام الأول ، مع أن هذه الواو لها دور فى المعنى لا يغفل ، ولقد أشار المزمى إلى بقاء معنى الواو فى ذكرها أو حذفها^(٢٣) مثلاً بما ورد من شواهد القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾^(٢٤) وقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾^(٢٥) .

ويوضح ابن هشام دلالة الواو فى قوله تعالى : ﴿ إلا ولها كتاب معلوم ﴾ بأنها واو لصوق الصفة بالموصوف^(٢٦) ، أى لها دور التوكيد ، وهذا يجعلها من الناحية المعنوية تدخل فى إطار نمط واو الحال ، إذ من وظائف الحال التوكيد ، ولا يعنى أن الناحية الشكلية من ذكر الواو أو عدم ذكرها يمكن أن

تعطيها خاصية التقسيم فى مقابل واو الحال ؛ لأننا نرى أن واو الحال يمكن أن تذكر أو تحذف مع بقاء المعنى والفارق بين الشكليين فى بعض أحكام التركيب فقط .

(٥) واو العماد :

يقصد بواو العماد تلك الواو الداخلة على الضمير الذى اصطلح عليه النحاة بضمير الفصل لذلك فإنها تأتى على نمط واحد حده الشكلى أن تطلب بعدها الضمير دون الفعل هكذا : جملة + و + ضمير + خبر .
وقد مثل لها المرنى بقوله تعالى : ﴿وإن ياتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾^(٢٧).

غير أن بعض النحاة يختلفون فى معنى الضمير وحده بعدها ، فيذهب المرنى متابعا للقراء^(٢٨) إلى أنها تطلب الاسم بشكل عام بعدها مثل « أتيت ريذا وأبوه قائم »^(٢٩) وهى بهذا الشكل تختلط مع واو الحال من الناحية الشكلية التى ترتب على وظيفتها المعانى الدلالية ويدعم المارنى مذهبه بأنه يقبح أن نقول « أتيت ريذا وقائم أبوه » على اعتبار أن الوصف يلعب دور الفعل وواو العماد لا تدخل على الفعل لذلك نجده يقبح اعتبار الواو فى الآية الكريمة ﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت﴾ واو العماد لأن الفعل وليها^(٣٠) .

(٦) واو الإضممار :

وهى نوع من أنواع العطف تربط بين الجمل وتنسق الثانى على الأول ، وذلك بتقدير المعنى فى التركيب العميق ، ولا تظهر فى البنية السطحية للجملة أى أنها تساوى :- جملة + Ø + جملة .

وقد مثل لها بقوله تعالى ﴿فاولى لهم طاعة وقول معروف﴾^(٣١) على تقدير

فى البنية العميقة ﴿ فأولى لهم وطاعة ﴾^(٣٢) ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿ فجاهها بأسنا بيئاتاً أو هم قاتلون ﴾^(٣٣) على تقدير نسق أى ﴿ أو وهم قاتلون ﴾ .

(٧) واو النعت :

وهذه الواو جائزة الدخول للتوكيد بين النعت والمنعوت هكذا : -

جملة بها ← منعوت + و + نعت

أو

جملة بها ← منعوت + Ø + نعت

وقد مثل لها القراء بقراءة عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى ﴿ بنات خالك وبنات خالاتك واللاتى هاجرن معك ﴾^(٣٤) حيث إن الاسم الموصول « اللاتى » تصدر للصفة لبنات الخال وبنات الخالات لأنهن ربما يكن من المهاجرات ، هذا وقد قرئت الآية بغير الواو هكذا « وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك »^(٣٥) .

ولقد جعل المزنسى من هذا النمط قوله تعالى ﴿ المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ﴾^(٣٦) فى قراءة من جعل « الذى » موضع خفض على النعت للكتاب .

ويعضد وظيفة هذا النمط من الواو معنى السياق فى الجملة ، فذلك القراء يذكر قوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾^(٣٧) فيجعل الواو السابقة لكلمة الأصم « والسواو السابقة لكلمة « السميع » من نمط واو النعت بدليل السياق فى عجز الآية ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ فتحدث بالشيئة ولو كان جمعاً على ما ذكر فى الآية لكان السياق غير ذلك^(٣٨) .

(٨) واو الجحود :

تدخل هذه الواو على الاستفهام سابقة هكذا : -

و + استفهام + مستفهم عنه ؟

وتكتسب هذه الواو دلالتها من غط تركيبها الشكلى مع عدم إغفال القرائن غير اللغوية فى تحديد تلك الوظيفة ، وقد جعل ابن النحاس من هذا النمط قوله تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾^(٣٩) حيث دخلت الواو على جملة تحمل معنى الإنكار والجحد ؛ إذ المعنى - والله أعلم - لا يغفر الذنوب أحد إلا الله وبذلك اكتسبت الواو دلالة الجحد من سياق الجملة التركيبى^(٤٠) .

(٩) واو الابتداء :

وهى تلك الواو التى يستأنف بعدها كلام وحكم جديد منقطع عما قبله وليس عطفاً عليه ، والمعول فى تحديد هذا النمط إنما هو المعنى المقدر خلف السياق ، مع مساعدة الشكل التركيبى إذ إنها لا تسبق إلا الجملة الاسمية هكذا :

جملة + و + مبتداً + خبر

أو

خبر + مبتداً

ولما كان المعنى هو المحدد لهذه الواو ، فقد اختلف النحاة فى عزو الأمثلة التى جاءت لهذا النمط حسب تقدير المعنى ، ففى قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾^(٤١) اختلف النحاة فى تحديد وظيفة الواو من جملة « وعلى أبصارهم » فالذين اعتمدوا على قراءة الرفع فى كلمة « غشاوة » جعلوا الواو للاستئناف وهو من باب تقديم الخبر عن المبتداً ، والذين اعتمدوا على قراءة النصب فى كلمة « غشاوة » قدروا فعلاً بعد الواو محذوفاً أغنى عنه السياق المذكور وبذلك تكون الواو للعطف^(٤٢) على معنى « وجعل على قلوبهم غشاوة » . والله أعلم بمراده .

ويزعم المزنى أن البناء الشكلى لجملة لها أمر واجب أى أن يليها المبتدأ والخبر، فإن وليها تركيب ناقص كأن يليها الاسم بغير خبر مسند إليه فإن ذلك قبيح - على تقدير معيارية النحو - إلا أن يكون الأمر خلفه الاضطراب من الصنعة^(١٣).

(١٠) واو الصرف :

هى تلك الواو التى تدخل على الفعل المضارع فتعطفه على اسم صريح قبله أو مؤول هكذا :

اسم صريح (أو مؤول) + و + الفعل المضارع

غير أن الكوفيين حددوا لها نمطين أوجبوا نص الصرف فيهما للواو وهذان النمطان يقعان فى الجملة الفعلية المركبة بشكل مخصوص فى المفردات الأفقية ، إذ الأول منها :

أ - نفى + فعل + باقى الجملة + و + الفعل المضارع

ب- طلب + باقى الجملة + و + الفعل المضارع

ويمثل ابن هشام للنمط الأول بقوله تعالى ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ وللثانى قول الشاعر : { لا تنه عن خلق وتأتى مثله } ومع ذلك فإن ابن هشام ينسب هذا التقسيم للكوفيين وبخالفهم فى جعلها من أقسام وار العطف^(١٤).

ويدخل المزنى ضمن أنماط واو الصرف ما جعله بعض النحاة من واو المفعول معه^(١٥) حيث جعل النمط :

أ - نفى + فعل + باقى الجملة + و + اسم

ب- نفى + اسم + و + اسم

ج- فعل + باقى الجملة + و + اسم

مثلاً للاول « ما صنع زيد و اخاه ، وللثانى « ما شأنك و اخاك » وللثالث
« جاء الشتاء و الطيالة الخضراء »^(٤٦)

(١١) واو الصلة :

هى تلك الواو الزائدة فى المعنى - كما يرى النحاة - أو بتعبير المزنى « الواو
الزائدة الخارجة عن البناء »^(٤٧) وقد مثل لأتماطها بوقوعها بين الشرط وجزائه أو
بين المنعوت و نعته ، لكن معيارها العام أن تكون فاقدة الوظيفة المعنوية فى
الشكل التركيبى .

ولقد مثل لها النحاة بقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها ﴾^(٤٨)
وينسب ابن هشام القول بزيادتها إلى الكوفيين و الأخفش بينما يختلف آخرون
مع هذا الرأى فيعدونها من باب واو العطف ، و المعيار على تقدير المعنى
التركيبى بين الرايين^(٤٩) ، إذ الذاهبون إلى زيادتها يقيسون ذلك على ما ورد من
هذا النمط فى القرآن بغير واو حيث جاءت القصة مرة أخرى فى سورة الزمر
آية ٧١ ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم رمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾
غير أن الرافضين لزيادة الواو يقدرون - على معيار المعنى - أن « فتحت أبوابها »
عطف على الجملة السابقة وجزاء الشرط مقدر مفهوم من السياق العام .

وقد أورد ابن هشام لها أمثلة كثيرة فى الشرط بالتقدير على أحد الرايين^(٥٠)
ويؤيد المزنى القول بزيادتها كما ذهب الفراء فى معانى القرآن^(٥١) اعتماداً على
القراءات القرآنية ، إذ قرأ ابن عباس و عكرمة و عبد الله الآية ﴿ فلما جهزهم
بجهازهم و جعل السقاية ﴾^(٥٢) بغير واو « جعل السقاية » .

(١٢) واو الظرف :

يحدد نمط هذه الواو - على خلاف بين النحاة - بأنها الداخلة على الاسم

المنصوب بغير إضمار بشرط أن تكون ظرفاً للفعل بعد الاسم المنصوب هكذا .

و + اسم منصوب + فعل

ويعد هذا النمط من نتائج محاولة تفسير المعطى اللغوى المنقول فى إطار فكرة العامل حيث وقف معربوا القرآن والنحاة السابقون من قبلهم أمام قوله تعالى: ﴿يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾^(٥٣).. فوجدوا كلمة «الظالمين» منصوبة ، ففسر سيويه النصب على إضمار فعل بعد الواو لأنهم لا يشتركون فى دخول الرحمة ، بينما فسر الكوفيون ذلك على أن الواو ظرف للفعل «أعد» ، ويبدو أنهم نسبوا النصب إلى تطرف واو الظرف فى هذا النمط لأنهم لم يفسروا الناصب إذا ما كانت الواو للظرف^(٥٤) .

غير أن المعنى الأرجح - فيما أرى - هو ما فسره سيويه ، حيث ورد النمط نفسه فى سورة الشعراء ← (و + اسم مرفوع + الفعل) فى قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾^(٥٥) ولم تقرأ الآية بغير الرفع فى كلمة «الشعراء» رغم أن الفعل يليها إلا أن المزنى يجوز ذلك فى غير القرآن^(٥٦) ، ونحن لا نأخذ بالمفترض بل نفسر الواقع فى اللغة .

(١٣) واو المدح :

- تدخل هذه الواو فى إطار ما يدخل بين المنعوت والنعت ولا يفرق بين وظيفة الواو فى الموقع إلا السياق أو المقام ، غير أن المزنى يجعلها قسمًا قائمًا بذاتها حين يخصها بالواو الداخلة على «أى» المضافة حين تقوم مقام الوصف للتميم فى مقاله «جاءنى صاحبك وأى رجل»^(٥٧) .

ولا يمكن - اعتماداً على معيار المعنى - أن تكون هذه الواو نمطاً قائمًا بذاته إذ فى مقام الهم يجوز أن تحمل الصفة على ذلك المعنى وتكون الواو للصوق

الصفة ويعد ذلك من تعدد الوظيفة للمبنى الشكلى الواحد نظراً للمقامات والسياقات المختلفة .

(١٤) الواو = رب :

والضابط الشكلى لهذه الواو يكمن فى دلالة حركة الإعراب بعدها والمعنى الموزلة له الواو إذ تمطها : - و + اسم نكرة مجرور = رب كذا .

وشروط هذه الواو أن يبدأ بها الكلام ولا تدخل إلا على اسم نكرة ويكون تعلقها بمتأخر ، غير أن ابن هشام يذهب إلى كونها من أنماط واو العطف وهو أن يبدأ الكلام بمعطوف على ما فى النفس . ودليله أنها لا تقبل دخول واو العطف عليها كما تدخل على واو القسم كما فى قول الشاعر :

ووالله لولا تمره ما حبيته ولا كان أدنى من عييد^(٥٨) ومشرق

والزاعمون أن هذه الواو المتصدرة للنكرة فى أول الكلام تكون لرب ، يذهبون إلى أنها عوض عن « رب » المقدرة فى بنية التركيب^(٥٩) .

(١٥) الواو التى بمعنى أو :

وهذه الواو تعد ضرباً من ضروب العطف مع المغايرة ، إذ العطف يجمع ما بين الاثنين فى حكم واحد ، بينما « أو » تسحب الحكم على واحد من الطرفين دون الآخر لذلك لا تحدد وظيفة الواو بمعنى « أو » فى الجملة إلا بتقدير السياق اللغوى والمقامى كأن تأتى فى التقسيم كقولنا « الكلام اسم وفعل وحرف » بمعنى « أو » وكان تأتى فى الأحكام الاختيارية على غير جمع كقولنا « قابل عمراً وأحمد » بمعنى « أو »^(٦٠) .

(١٦) الواو بمعنى إلى :

الظاهر من قول المزنى أن هذه الواو تلعب دور حرف التعليق الجار للمعنى

إلى غاية ما بعده ، وقد ضرب لها نمطاً واحداً فى الجملة الفعلية السطوية =
فعل طلبى + فاعل + و { بمعنى إلى المعلقة } + اسم مجرور .

والدليل عليها - فيما يبدو - حركة الإعراب المقدرة للمعنى ، حيث -
قياساً على مثال المبنى - حينما نقول « اذهب وعلم » يكون المعنى « اذهب إلى
علم »^(٦١) .

(١٧) الواو التى بمعنى مع :

والضابط الشكلى لهذه الواو أن تأتى فى تركيب إسنادى بحيث يكون ما
بعدها غير قابل للدخول فى الحكم السارى على ما قبلها مثل « سرت
والنيل » .

وقد جعل ابن هشام ضابطها انتصاب الاسم الواقع بعدها كقراءة السبعة فى
قوله تعالى : ﴿ فاجمعوا أركانكم وشركاءكم ﴾^(٦٢) وخرج لها وجهاً من الجر على
حذف المضاف إن أمكن الجر فى « وشركائكم » غير أنه أدخل فى أنماطها الواو
التى سبق ذكرها تحت واو الصرف وهى الداخلة على الأفعال المنصوبة
بعدها^(٦٣) .

ويمثل لها المبنى بقوله « كل الثوب وثمنه » على ضابط الشكل فى النصب
للأسم الواقعة بعدها ، وأظن أن المثال من المختصرات فى البنية العميقة المدل
عليه بحركة الإعراب ؛ إذ فيما أزعج أنه « خذ كل الثوب وثمنه » لأننا لو قدرنا
الرفع فى المضاف « كل » لتحولت الواو إلى نمط واو الملازمة وكانت الجملة من
مختصرات الخبر وليست فى حذف الفعل والفاعل^(٦٤) .

(١٨) الواو التى بمعنى الفاء :

تأتى هذه الواو رابطة لجواب الأمر المؤول على تقدير الشرط فى البناء
العميق وقد جعل منه قوله تعالى : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾^(٦٥)

حيث يذهب الفراء إلى تأويل هذا التركيب ورده إلى صورة « إن تبعموا سيبلنا حملنا خطايكم »^(٦٦) وعلى فارق المعنى بين التركيبين إلا أنها محاولة لتبرير وجود الواو في هذا الموضع وهكذا التأويل كما حدث في مطلع معلقة امرئ القيس^(٦٧) .

(١٩) واو دليل الفعل المضمر :

تأتي هذه الواو في التركيب المختصر في البناء السطحي لذا فإنه يحتاج إلى تقدير على مستوى البنية العميقة ، وقد يكون المعنى المقدر هو الدال على المحذوف أو قد يكون المعنى مع حركة الإعراب .

وقد ذهب ابن النحاس إلى التمثيل لهذا النمط بقوله تعالى : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾^(٦٨) إذ قدر الواو السابقة للام التعليل في الفعل يكون « أنها جاءت دليلاً على فعل مضمر يقتضيه المعنى ويفسر السياق والمعنى والله أعلم » . وليكون من الموقنين أربناء ملكوت السموات والأرض ؛ لأن المعنى لا يحمل على العطف^(٦٩) .

وحمل هذا النمط ما كان الإعراب دليلاً على المحذوف فيه كقراءة أبي بن كعب في قوله تعالى في سورة الواقعة آية ٢٢ ﴿ وحوراً عيناً ﴾ بالنصب ، إذ المعنى « ويعطون حوراً عيناً » والله أعلم^(٧٠) .

(٢٠) واو الثمانية

ذكر ابن هشام واو الثمانية ونسب القول بها إلى جماعة من الأدباء ومن النحاة الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعالبي فيما ذهبوا إليه في قوله تعالى من سورة الكهف ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ على أن العرب تأتي بالواو بعد العدد سبعة لتمام العدد فإن رادت تأتي بالواو ، ويخالف ابن هشام ذلك المزعم ويحملها على واو الحال على تقدير مبتدأ اسم إشارة^(٧١) .

بالدرس النصي وجاءت واو العطف ضمن مجموعة حروف العطف فكان الحديث عن نمط محدد من الواوات^(٧٦) .

ومن أهم مالفت إليه هذا البحث ملاحظة الاعتماد على الواو في العطف كثيراً في القرآن الكريم من بين باقى الروابط حيث بلغت نسبتها إلى باقى الروابط ٨١,٤ ٪ ، وهو استخدام يلفت إلى ما للواو من دور فاعل وشائع في الربط في الجملة العربية .

وإذا كان العطف بالواو هو الأسلوب الأكثر شيوعاً فى العربية ، فإن دراسة على المصحف الشريف يوضح فيها صاحبها أن حرف الواو بلغ استخدامه فى النص (٢٥٥٠٦) وذلك^(٧٧) للواو بأنماطها المختلفة لدليل على ما للواو من أثر فاعل فى الاستخدام الشائع فى الجملة العربية أو الكلمة بأنماطها المختلفة ، وإن كنا لا نعى إلا بالواو الرابطة كمرفيم صرفى تختلف وظائفه ودلالاته باختلاف أنماط التركيب المشكل فيه والمعانى المحمولة عليه .

ولأثر الروابط عامة فى اللغة ومن بينها الواو فقد أفاد الدرس التطبيقى من الدرس النصى ، فعالج الدكتور أحمد طاهر حسنين بالاشتراك مع ناريمان نائلى أدوات الربط فى العربية المعاصرة ، فى دراسة مقدمة للطلبة بالجامعة الأمريكية وتلك هى الشجرة المرجوة من الدراسات النصية ، حيث تقدم الروابط الأكثر شيوعاً ليفيد منها المتعلم الأجنبى حين يترجم أو ينطق باللغة المتعلمة .

وقد عولجت الواو فى نمطين فى الدراسة حيث جاءت مرة مع روابط العطف ، ومرة أخرى وهى فى هيئة واو الحال الرابطة لجسيمة الحال بما قبلها^(٧٨) .

ولا أعرف فى اللغة العربية - على قدر اطلاعى - دراسة نصية قامت على النصوص المعاصرة تستقرئ منها الروابط الشائعة، أو تختص برابط محدد فى

اللغة ، إذ بالنظر إلى ما عرض قبله لجد الدرس يدور في تلك الفصحى التراثية وفي ضوء آراء النحاة للأغاط والأحكام فيما يتعلق بالواو ، لذلك فإننى أزعم أنه حتى الدراسة التطبيقية التى قام بها الدكتور طاهر ، تقوم على الاجتهاد والملاحظة لا على أساس من معطيات نتائج دراسات نصية سابقة .

من هذا المنطلق أزعم أن الدرس النصى للروابط مجتمعة أو موضوعات متفرقة من خلال نصوص معاصرة نصيب ذات قيمة فاعلة فى الإفادة من نتائجها على مستوى حقل علم اللغة التطبيقى لأبناء اللغة أو للدارس الأجنبى للغة المعاصرة؛ ذلك لأن وظيفة الرابط خاصة لغوية عامة على مستوى اللغة الإنسانية^(٧٩) ، يحتاجها المتحدث أو الكاتب لربط الأفكار ببعضها وربط التعبيرات وكذلك توسيع الجمل وما إلى ذلك من استعمالات وظيفية هامة وضرورية فى اللغة .

لذلك فإنه لا تخلو دراسة لغوية لتراكيب لغة من التعرض لهذا الموضوع ، فهؤلاء نحائنا العرب قسموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف ويدخل الرابط تحت قسم الحرف ، وهؤلاء الغربيون يقسمون الكلام إلى ثمانية أقسام - فى الشكل التقليدى^(٨٠) - هى الاسم Noun والضمير Pronoun والصفة Adjective والفعل Verb وحرف الجر Preposition والرابط conjunction والظرف Ad-verb والتعجب Interjection ، فجعل الرابط قسمًا قائمًا بذاته فى التقسيم ، وحتى فى الاعتراض الحديث الذى ذهب إلى التقسيم الخماسى لم يغفل دور الرابط كقسم فى الكلام .

وعلى أساس ذلك حاولت أن أقدم هذه المساهمة مختاراً حرف الواو كرابط لما له من شيوع فى الجملة العربية قديماً وحديثاً .

ثانياً: الدراسة النصية :

١- أنماط العطف بالواو :

من الجدير بالذكر قبل التعرض للأنماط - أن نشير إلى أنه بالنظر إلى المادة اللغوية المحددة عينة الدراسة ، وجد أن روابط العطف يكثر استخدامها لدى الكاتب في إطار نمطين :

الأول : استخدام الربط للتوسيع أو مد الفكرة عن طريق « المورفيم » الحرفي سواء أكان سابقاً لاصقاً مثل الفاء أو سابقاً منفصلاً مثل الواو و « ثم » ويمثل ترتيب الاستخدام حسب الكثرة كالآتي : « الواو - الفاء - ثم - أو - أم - بل » .

الثاني : استخدام النقط من علامات الترقيم بدلاً من الرابط ، ويكون التركيب السطحي محذوف الرابط ، بينما هو مقدر في التركيب العميق من خلال القرائن اللغوية أو غير اللغوية .

وبالرغم من اعتماد الكاتب على هاتين الوسيلتين فإننا وجدنا أن الواو من بين الروابط هي الوسيلة الأكثر شيوعاً حيث بلغ عدد مرات استخدامها في المادة عينة الدراسة (٤٧٥) مرة ، وهي أعلى نسبة استخدام بالنسبة لباقي الروابط الحرفية المستخدمة^(٨١) .

وخلال هذه النسبة تعددت وظائف الواو في الاستخدام ، حيث لعبت دور رابط العطف بكل أنماطه في ثلاثمائة وعشرة مرة وتوزعت ثلاث وظائف فقط النسبة الباقية ، فجاءت في وظيفة الاستئناف ووظيفة الحال ووظيفة الاعتراض .

ولقد جاء استخدام الواو رابطة في وظيفة العطف على ستة أنماط عامة تشمل أنماطاً فرعية مع كل نمط رئيسي ، وهذه الأنماط العامة جاءت كالتالي :

أ - مفرد + و + مفرد

ب- جملة فعلية + و + جملة فعلية

ج- جملة اسمية + و + جملة اسمية

د - جملة اسمية + و + جملة فعلية

هـ- جملة فعلية + و + جملة اسمية

و - ثبة جملة + و + ثبة جملة

أ- عطف المفرد على المفرد:

تعددت الانماط الفرعية لنمط عطف المفرد على المفرد ، فجاء من ذلك خلال العينة ثمانية أشكال كالاتى :

أ- أ - أ - مبتدأ + خبر + و + مبتدأ

أو

مبتدأ + و + مبتدأ + خبر

ب- أ - أ - فعل ناسخ + اسمه + و + اسم معطوف

أو

فعل ناسخ + اسمه + خبره + و + اسم معطوف

ج- أ - أ - فعل + فاعل + و + اسم معطوف

أو

مشتق + فاعل + و + اسم معطوف

د- أ - أ - فعل + فاعل + مفعول + و + اسم معطوف

أو

فعل + فاعل + مفعول (ضمير) + و + اسم معطوف

هـ- أ - أ - حال مفردة + و + اسم معطوف

٦ - ١ - ١ - نعت معرفة + و + اسم معرفة

أو

نعت نكرة + و + اسم نكرة

٧ - ١ - ١ - مضاف إليه + و + اسم

٨ - ١ - ١ - اسم مجرور بالحرف + و + اسم

ولقد قامت الواو فى كل الأنماط السابقة بدور الدال على الاختصار والحذف من البناء السطحي مع بقاء المعنى على المستوى السطحي مقدراً اعتماداً على وجود المختصر فى البناء العميق .

ويمكننا أن نتعقب الأنماط السابقة من خلال أمثلة لها من العمل لنرى هذا الدور الوظيفي للواو وتلك الدلالة المرادة من الاستخدام .

١- نمط العطف على المبتدأ :

معلوم أن الابتداء وظيفة نحوية فى التركيب تعنى أننا بدأنا بموضوع ما لنحمل عليه خبراً ، لذا فإنه لا يوجد الموضوع بغير محمول مذكور أو مقدر والعكس صحيح ومن هنا كانت الصورة المجردة للتركيب الصحيح نحوياً تشمل البعدين الذين يمكن أن تحمل العلامات الملفوظة أو المكتوبة محلها فى الاستبدالات هكذا .

موضوع + محمول

مسند إليه + مسند

مبتدأ + خبر

محكوم عليه + محكوم به

وبتحقيق العناصر الأساسية فى التركيب النحوى مع توخى دلالة مقصودة من التركيب تتكون الجملة النواة nucleus of the sentence وما يأتى بعد ذلك

من علاقات إلحاق adjuncts كالنعت والبدل إلخ لأى جزء فى الجملة لا يعد ضمن إطار النواة .

غير أننا حينما ننظر إلى وظيفة الواو حين تعطف المبتدأ على المبتدأ ، فإنه لا يمكن أن ندخل النمط الجديد إلا فى إطار الجملة المحولة transformed sentence ذلك لأن التركيب الجديد بعد دخول الواو كان يعنى فى العمق أن هناك جملتين نواتين اندمجت إحداهما فى الأخرى على شكل الاختصار بحذف واحد من ركنى تركيب أحدهما وقيام الواو الرابطة بالدلالة على ذلك ، فتصبح الجملة من ناحية ما حدث بين التركيبين جملة مندمجة (Fusional Sentence) ومن ناحية التركيب السطحى تصبح جملة اختصارية بالحذف (elliptical Sentence) .

والأمثلة الكثيرة لهذا النمط يمكن من خلال واحد منها أن نوضح تلك الصورة مع بقاء المعنى للتركيب العميق ، إذ فى مثل قول الكاتب : « به انكسارات وعلامات » ضوضاء الذاكرة / ٧٥ ، يمكن أن يمثل التحويل هكذا .

١ - ١ - به انكسارات = خبر مقدم + مبتدأ
 ٢ - ٢ - به علامات = خبر مقدم + مبتدأ

ب- به انكسارات وعلامات = خبر + مبتدأ + رابط + معطوف

فإذا كانت الجملتان فى (١) تثبت لشخص واحد وجود المسند أو المحمول على سبيل الخبر ، فإن الجملة الثانية (ب) تثبت هذا المعنى أيضاً بلا فرق بينهما ، لكن الفرق يتضح لو مثلنا لهما بشكل ثالث فقلنا :

به انكسارات و به علامات

فيخرج الأمر من رباط مفرد بمفرد مع اتحاد الحكم ، ويصير حكيمين على واحد فيؤدى إلى معنى التوكيد والمبالغة ، لا إلى معنى الإخبار الثابت عن

وصف ، وهكذا يتضح دور الرابط الواو فى التركيب فى تحويل الجمل البسيطة إلى نوع من الجملة الحذفية مع اتحاد المعنى بين الاصل والمحول إليه .

ويقاس على ذلك الأمثلة التى يأتى الربط فيها بين أكثر من مبتدأ فى حكم واحد مثل قوله : « يا يسوع لك المجد والقوة والغفران » ضوضاء الذاكرة / ٣٥ حيث يمكن أن تعود إلى :

١ - لك المجد .

٢ - لك القوة .

٣ - لك الغفران .

٢- نمط العطف على أحد أركان الجملة المنسوخة :

ورد لهذا النمط شكلان، أحدهما:- أن يتم العطف على اسم الناسخ، والثانى:- أن يتم العطف على خبر الناسخ، وفى الغالب جاء الناسخ - على مصطلح القدامى؛ الفعل «كان» .

ولا يفترق دور الواو فى وظيفة الدمج الشكلى بين جملتين ، إذا ما كان الربط بين اسم الناسخ واسم آخر يدخله فى الحكم ، ولا أقصد فى المقام الأول حكم الإعراب بقدر ما أركز على حكم علاقات الإسناد فى التركيب - وإذا ما كان الربط بين المسند إلى اسم الناسخ .

وإذا ما تصورنا المثال التالى لهذه الصورة الشكلية :

١ - « كانت الوقائع والظروف والألفاظ المبنية فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة » ضوضاء الذاكرة / ٨٥ .

=

١- كانت الوقائع فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة .

٢- كانت الظروف فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة .

٣- كانت الألفاظ المبنية فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة .

نجد أن البنية الأساسية للجملة كانت تمثل ثلاث جمل منفردة والحكم متحد في الجمل الثلاث؛ لذا أمكن عن طريق توظيف الرابط الواو أن ندمج بين هذه الجمل البسيطة ونخرج منها شكلاً جديداً يتفق في المعنى ويختلف في الشكل، فتأتي الجملة في صورتها الأولى في (١) :

ب - « كانت طريقة كلامها عفوية وتلقائية وصريحة » . ضوضاء الذاكرة / ٥٥ .

=

- ١- كانت طريقة كلامها عفوية .
- ٢- كانت طريقة كلامها تلقائية .
- ٣- كانت طريقة كلامها صريحة .

فنجد تعدد أحكام على محكوم عليه واحد ، لذا جاءت الواو في الوظيفة الرابطة للدمج بين الأشكال البسيطة وخلق ذلك الشكل الجديد في البنية السطحية (ب) .

بهذا اختزلت السوار حكيم في (٢ ، ٣) من (١) كما اختزلت محكومين عليهما في (٢ ، ٣) من الشكل (ب) مع بقاء المعنى المراد أدائه في الشكلين (١ ، ١) من (١ ، ب) .

٣- نمط المعطف على فاعل الجملة :

ويستوى في ذلك أن يكون ركن الإسناد من الأفعال أو ما يشبهها ، فتؤدي الواو وظيفة الدمج الشكلى والاختزال مع بقاء المعنى المراد في الجملة ، ومن ذلك :

- ١ - « وخرجت المدافع والسفن » . ضوضاء الذاكرة / ٧٥ .

=

- ١- خرجت المدافع .
- ٢- خرجت السفن .

ب- « فى الحديقة الباسقة اليانة الشار والأزار » . ضواء الذاكرة / ٥٥ .

=

- ١- فى الحديقة الباسقة اليانة الشار .
٢- فى الحديقة الباسقة اليانة الأزار .

وباستخدام الوار تحول البناء فى (١ ، ٢) من (ا ، ب) إلى البناء السطحى المذكور فى (ا - ب) ، وبذلك فإننا لا نستطيع - فيما أرعم - أن تغزو الجمل - فى بنائها السطحى - التى تم اختزال عنصر من عناصر أساسيات بناء النواة فى الجملة البسيطة ؛ لا نستطيع أن ننسب الشكل الجديد إلى جملة بسيطة ولكنها تعد نمطاً فى الجمل المعقدة Complex وحدث ذلك عن طريق الإدماج والاختصار .

٤- نمط العطف على مفعول الجملة :

الزعم فى البداية أن المفعول الذى يطلبه الفعل يعد من الأساسيات فى الجملة النواة وليس من الفضلات كما تذهب النظرية التراثية فى نحونا العربى ، إذ حينما أقول « قابلت » أو « رأيت » . . . إلخ فإن تمام المعنى بحاجة إلى المفعول والأساس فى البناء أن الكلام لفظ مفيد لمعنى ، اللهم إذا قصدت معنى المقابلة على إطلاقها ، وفى هذه الحالة يتحول الفعل المتعدى بالتضمين إلى معنى اللارم .

لذلك فإنى أرعم أن الحد الدقيق للمفعول به هو « المشارك للفعل المتعدى فى المعنى فى إحدى نسبتيه » فالفعل يسند « إلى » فىكون الفاعل اللغوى ويسند « على » فىكون المفعول اللغوى .

وعلى ذلك يدخل نمط الربط بين مفعول الجملة والاسم الواقع بعده فى الحكم ذاته ؛ يدخل فى إطار الجمل المختزلة المحولة من بناء بسيط متعددة فى

البنية العميقة إلى بناء سطحي مدمج بوظيفة الواو ومن هذه الصورة ما نراه في المثال الآتي :

١- « ألا تشتري الخيار والباذنجان والمور » . ضوضاء الذاكرة / ١٢٥

١- ألا تشتري الخيار .

٢- ألا تشتري الباذنجان .

٣- ألا تشتري المور .

ثم استخدمت الواو لاختصار التراكيب الثلاثة لاتحاد نسبة الحكم في الوقوع على الأسماء المتعددة المشتركة في نسبة واحدة فجاء التركيب السطحي المذكور في (١) .

(٥) نمط عطف الاسم الواقع حالاً مفردة على حال مفردة قبله :

هذا النمط من الاختصار يعد مغايراً لنمط الاختصار في أساسيات الجملة البسيطة ، لأن الحال بأنماطه يعتبر من موسوعات الجملة expansion's sentence إذ الجملة التي تقع في إطارها جميلة الحال أو موسع الحال تعد من الجمل المعقدة بالتركيب لذلك فإن الاختزال هنا يتم عن طريق تحويل الجملتين المعقدتين إلى جملة واحدة ما دام الحكم الساري في العلاقات واحداً ، أو بعبارة أخرى ما دام صاحب التعلق أو العنصر اللغوي المناط به الحكم متحد التعلق ، ولنوضح ذلك يمكن الوقوف أمام الصورة التالية :

١- « ثم عاد برسوم متشياً ومتبسماً » . ضوضاء الذاكرة / ٤٥

١- ثم عاد برسوم متشياً .

٢- ثم عاد برسوم متبسماً .

وبالنظر إلى البنية العميقة deep structure للجملة (أ) نراها فى الأصل مكونة من جملتين معقدتين ، لكن العنصر اللغوى الذى لعب دور المسند إليه فى الجملة متحد ، وقد تعلق الحال بهذا العنصر ، من هنا يمكن للواو أن تقوم بدور وظيفة الدمج والاختصار فتحول الجملتين المعقدتين إلى جملة واحدة فى البناء الظاهرى surface structure ولكنها من النوع المعقد أيضا .

٦- نمط عطف النعت على النعت :

يدخل هذا النمط - أيضا - فى إطار الدمج والاختصار ، ويستوى فى ذلك أن تكون الجملة الأساسية معقدة التركيب أو بسيطة التركيب ، غير أن الاختصار هنا لا يحول الجملة البسيطة إلى معقدة أو يختصر المعقدة ، إلا أنه يختصر الموسعات أو الملحقات Adjuncts فى إطار الجملة الواحدة ومثال هذه الصورة قول الكاتب :

أ- « إنه الكلب المقصود والمرصود » .
ضوضاء الذاكرة / ٧٥

- | | |
|------------------------|---|
| ١- إنه الكلب المقصود . | } |
| ٢- إنه الكلب المرصود . | |

نجد أنه عندما اتحدت العلاقة بين عنصر المسند والنعت بعده أمكن للواو أن تقوم بدور الاختصار ، وذلك لأن المسند الموصوف واحد فى الجملتين ، لذلك حلت الواو محل ذلك العنصر فى التركيب السطحى الجديد مع بقاء المعنى ، وكذلك لم تخرج الجملة عن إطار كونها بسيطة موسعة بالنعت فجاء التركيب (أ) فى المثال .

٧- نمط عطف الاسم على مضاف إليه :

ويندرج هذا النمط فى إطار الدمج والاختصار للموسعات إذ الإضافة تعد نوعاً من أنواع قيود المعنى للمضاف الأمر الذى يؤثر فى المعنى التركيبى على

مستوى الجملة ، لذلك فإنه إذا انحلت نسبة الإضافة ومعناها إلى اسمين أمكن أن تستخدم الواو فى دور الرابط لاختصار العنصر المتكرر مع بقاء المعنى متحداً بين التركيب العميق والتركيب السطحي كما يمثلته المثال الآتى :

أ- « فى لباسها الأبيض الخشن حول الرأس والجسد » . ضوضاء الذاكرة / ٤٥

- ١- فى لباسها الأبيض الخشن حول الرأس .
٢- فى لباسها الأبيض الخشن حول الجسد .

ففى البنية العميقة نجد اتحاد دلالة العنصر « حول » فى الإشارة إلى لف الثوب الموصوف للرأس وللجسد أيضاً ، فلما اتحد المعنى ؛ أمكن للواو أن تستخدم كرابط اختصارى لحذف أحد العنصرين مع بقاء الدلالة فى التركيب السطحي الجديد فى المثال (أ) .

لذلك نجد أنه إذا تغايرت الدلالة فإن الواو لا يمكن أن تستغل فى هذا الشكل الاختصارى للموسع ففى المثال الآتى :

أ- « لا يدل إلا على قوة الإرادة والعزيمة واعتلال الصحة » . ضوضاء الذاكرة / ٧٥

- ١- لا يدل إلا على قوة الإرادة ، واعتلال الصحة .
٢- لا يدل إلا على قوة العزيمة ، واعتلال الصحة .
٣- ^(٨١) لا يدل إلا على قوة الإرادة والصحة .
٤- * لا يدل إلا على قوة العزيمة والصحة .

نجد أن المثال (٣ ، ٤) من (أ) لا يمكن أن يمثل بنية عميقة صحيحة لهذا المثال لأن قيد الإضافة يختلف ، إذ القوة للعزيمة وللإدارة معاً وإن كانا مترادفين لكن الصحة أخذت من قيد إضافتها معنى آخر مغايراً لمعنى القوة بل ضده فى الوهن والضعف ، لذا لا يمكن أن يصبح هذا الاستبدال على مستوى المعنى فينقص أول التركيب بآخره .

٨- نمط عطف الاسم على الاسم المجرور بالحرف :

· ويدخل هذا النمط فى إطار الاختصار للموسعات على أى تقدير لمعنى الحرف الجار لعلاقات التركيب إلى الاسم ، ففى الصورة الآتية :

١- « ابتداءً من الجانب الذى هو فيه والنافذة البعيدة ... والمنضدة البسيطة » .

ضوضاء الذاكرة / ١١٥

١- ابتداءً من الجانب الذى هو فيه .

٢- ابتداءً من النافذة البعيدة .

٣- ابتداءً من المنضدة البسيطة .

نجد أن المورفيم « من » جاء لعلاقة تحديد نقطة البداية المقاسة بعلامات مشار إليها بالجانب الذى هو فيه ، ثم جاءت النافذة والمنضدة قياساً أيضاً لتحديد الجهة ونقطة البداية ، فلما اتحد معنى الموسع فى الغرض المستخدم له أمكن للواو أن تقوم بدور اختزال العنصر الجار « من » وتقوم بالدور الوظيفى لدمج الموسعات ، وذلك يمكن أن يحدث فى أى نوع من أنواع الجمل .

ب-١- عطف جملة فعلية على جملة فعلية :

استخدم الكاتب الرابط الواو كثيراً فى هذا النمط ، إذ بلغ فى المادة عينة الدراسة ثلاثاً وخمسين مرة فى أنماط متعددة للجملة الفعلية ، إلا أنه انحصر فى شكلين للجملة ، الأول فى الجملة الفعلية التى تبدأ بماسمى عند النحاة بالفعل الماضى (فعل) أو ما أطلق عليه الفعل التام ، والثانى فى الجملة الفعلية التى تبدأ بما يسمى عند النحاة بالفعل المضارع (يفعل) أو ما أطلق عليه الفعل الناقص ، وبين هذا الشكل وذاك تتعد الأنماط بين ما يأخذ السوابق معه أو ما يدخل عليه الفعل الناقص فى مصطلح النحاة وهو ما أطلق عليه الفعل

المساعد الوظيفى أو المساعد شبه الوظيفى ، وقد يتنوع الربط بين الشكلين أو يكون الربط بين شكل واحد متحد .

وقد جاءت الأنماط المحصورة من الوصف هكذا اعتمادًا على بداية الجملة :

- ١- فعل تام + و + فعل تام
- ٢- فعل تام + و + فعل تام + و + فعل ناقص + و + فعل ناقص
- ٣- فعل تام + و + فعل وظيفى (كاد) + أن + فعل ناقص
- ٤- فعل تام + و + لم + فعل ناقص
- ٥- فعل تام + و + فعل وظيفى (كاد) فعل شبه وظيفى (يود) + أن + فعل ناقص + و + قد + فعل تام + و + فعل تام
- ٦- قد + فعل تام + و + فعل تام
- ٧- لا + فعل تام + و + فعل تام
- ٨- فعل وظيفى (كان) + قد + فعل تام + و + لم + فعل ناقص
- ٩- أن + فعل ناقص + و + فعل ناقص
- ١٠- فعل وظيفى (كان) + فعل ناقص + و + فعل تام
- ١١- لم + فعل ناقص + و + فعل تام
- ١٢- فعل شبه وظيفى (راح) + فعل ناقص + و + فعل تام
- ١٣- فعل ناقص + و + فعل ناقص
- ١٤- فعل تام + و + فعل وظيفى (ظل) + فعل ناقص

١٥- فعل تام + و + وظيفي (حاول) + أن + ناقص + و + وظيفي (بدأ)

+ ناقص + و + ناقص + و + ناقص + و + وظيفي (حاول) + أن +

ناقص + و + لم + شبه وظيفي (يستطيع) + أن + ناقص

١٦- وظيفي + المصدر + و + تام + و + تام + و + شبه وظيفي

(استطاع) + أن + ناقص + و + شبه وظيفي (حاول) + أن + ناقص

١٧- تام + و + أن لا + ناقص + و + تام

١٨- وظيفي (كان) + ناقص + و + ناقص + و + ناقص + و + تام + و

+ تام

١٩- تام + و + شبه وظيفي (حاول) + أن + ناقص + و + تام

٢٠- س + ناقص + و + س + ناقص

٢١- وظيفي (كان) + فعل ناقص + و + ناقص^(٨٧)

وفى كل الأنماط الفرعية السابقة جاءت وظيفة الواو للربط والتوسيع ولم تأت للاختصار - كما كان الحال بالنسبة لربط المفرد - ، وبالتالي فإن الربط بالواو فى هذه الأنماط يحول أشكال الجمل البسيطة أو البسيطة الموسعة أو المعقدة إلى جملة مركبة .

Compound Simple Sentence

Compound complex sentence or

ولتوضيح هذه الوظيفة يمكن أن نعرض أمثلة للأنماط تبين مظاهر وظيفة الربط فمن النمط الأول :

[فعل تام + و + فعل تام]

١- « وتزوج من اختارها ومنح إجازة » . ضوضاء الذاكرة / ٥

- ١- تزوج من اختارها .
٢- منح إجازة .

نلاحظ أن البناء السطحي حين يحلل لمكوناته فإنه يعطى الشكل (١ ، ٢) والتركيب الأول منهما جملة معقدة لأنها تخضن فى داخلها جملة صلة موصول وقعت تمامًا للمفعول ، بينما الجملة الثانية جاءت من النمط البسيط غير الموسع وكل جملة منهما لها استقلالها فى التعبير عن فكرة ما مع تمام حدثها ، ثم جاءت وظيفة الواو فجمعت بين الاثنين لا فى الأحكام ولكن فى تسلسل توالى الأفكار مع عدم وجود دلالة على الترتيب الحدثنى ، وبذلك خرجت الجملة السطحية على مستوى التوالى المورفيمى كوحدة واحدة فى سلسلة متحدة يمكن النظر إليها على الشكل الآتى :

تزوج / من / اختار / ها / و / منح / إجازة /

وقد مثلت الواو فى السلسلة وحدة مورفيمية رابطة ولم تمثل أى اختصار أو تعويض عن أى مورفيم أو أى وحدات ساقطة من البناء العميق للبناء السطحي ومن النمط الثانى :

[فعل تام + و + فعل تام + و + فعل ناقص + و + فعل ناقص]

١- « ثم أعلن أنه لا يطمنن إلى المحاكمة وطلب أن يعاد تشريح الجثة هناك وأن يسلم إليه الجبل » . ضوضاء الذاكرة / ٢٥

- ١- أعلن أنه لا يطمنن إلى المحاكمة .
٢- ١- طلب أن يعاد تشريح الجثة هناك .
٢- ب- طلب أن يسلم إليه الجبل .

نجد أن البناء العميق للمشال (١) يحوى داخله ثلاث جمل معقدة هي (١ ، ٢ - ١ ، ٢ - ب) فجاءت الواو لدمج الجمل بغير اختصار ولا جمع فى الأحكام ، فتحوّلت الجملة المنفكة إلى جملة واحدة محولة transformed sentence من النوع المركب المعقد Compound - Complex Sentence .

فجاء البناء السطحي surface.structure فى المثال (١) .

والقانون نفسه لو طبق على النمط الثالث ، مثال :

١- « وشعرت أنها تهوى .. وكادت أن تسقط » . ضوضاء الذاكرة / ٩٥

- ١- شعرت أنها تهوى .
٢- كادت أن تسقط .

فالبناء العميق يحوى جملتين إحداهما معقدة والثانية بسيطة ثم ربطت بينهما الواو فضمتها فى جملة واحدة من نوع جديد هى الجملة المركبة المعقدة معاً .

وباستعراض كل الأنماط نجد القانون مطرداً فى وظيفة الواو فى الربط والتحويل غير أن الجدير بالذكر هو أن تلك الواو الرابطة بين الجمل لتحويلها إلى جملة واحدة مما يعطى للفقرة معناها المتكامل فى رسم الفكرة هذه الواو يمكن استغلالها فى وظيفتين فى بعض الأنماط حيث تستغل للربط وفى الوقت نفسه لاختصار بعض العناصر الواردة بالجملة السابقة ، وتقوم الواو بوظيفة القرينة الدالة من ذلك ما نجد فى النمط .

[وظيفى (كان) + ناقص + و + ناقص]

١- «كان الزعيم يركع ويسجد ويقرأ القرآن في السجن ويرفع يديه إلى السماء» .
ضوضاء الذاكرة / ١٢٥

=

- ١- كان الزعيم يركع .
- ٢- كان الزعيم يسجد .
- ٣- كان الزعيم يقرأ القرآن في السجن .
- ٤- كان الزعيم يرفع يديه إلى السماء .

فلما تعددت الإسنادات لمحكوم عليه واحد ، وفي الوقت نفسه اتحد الفعل الوظيفي^(٨٣) أمكن للواو أن تلعب وظيفة المختصر بالإضافة إلى الربط وتحويل الجمل إلى جملة واحدة يمكن أن يطلق عليها في هذه الحالة الجملة الحذفية المركبة elliptical compound sentence ، مع عدم الإغفال أن الواو جمعت وأثرت في أحكام المعنى حيث أدخلت كل الأحداث التالية لها في إطار الفعل الوظيفي لتصبح أفعالا مظهرية .

وإذا كان قانون الربط المحول للجملة الفعلية مطردا ومحصورا في الوظيفتين السابقتين ، إما ربط تحويلى وإما ربط تحويلى اختصارى إذا كان الأمر كذلك فإنه بالإمكان أن نعرض تمثيلاً لبعض الانماط دون تحليل اللهم إلا بيان الجمل الفرعية في البنية العميقة فقط هكذا :

نمط - فعل تام + و + فعل تام مثل

(بناء سطحي) أ- «تحررت منه وجلست بعيداً عنه» . ضوضاء الذاكرة / ٤٥

بناء عميق } ١- تحررت منه
٢- جلست بعيداً عنه

نمط - فعل تام + فعل ناقص + و + فعل ناقص + و + تام
 بناء سطحي أ - «أشار إليه شاب يرتدى ملابس مدنية خفيفة وتظهر منها الفلنة
 ٦٥ وضوء الذاكرة/» . . وطلب منه أن يتبعه .

١- أشار إليه شاب
 يرتدى ملابس مدنية خفيفة .
 وتظهر منها الفلنة
 بناء عميق
 ٢- طلب منه أن يتبعه

نمط - فعل تام + و + كاد + أن + فعل ناقص
 بناء سطحي أ - «وشعرت أنها تهوى وكادت أن تسقط» . وضوء الذاكرة/ ٩٥
 ١- شعرت أنها تهوى
 ٢- كادت أن تسقط
 بناء عميق

نمط - فعل تام + و + لم + فعل ناقص
 بناء سطحي أ - «لكنه ذاب في الرمل ولم يبق منه سوى الجمجمة» .
 ٩٥ وضوء الذاكرة/

١- لكنه ذاب في الرمل
 ٢- لم يبق منه سوى الجمجمة
 بناء عميق
 نمط - فعل تام + و + كاد + يود + أن + فعل + و + قد + فعل تام + و
 + فعل تام

بناء سطحي أ - «التصق بها أكثر وكاد يود أن يقبلها لولا أن الاتوبيس قد
 توقف ونزل منه الركاب»
 ٦٥ وضوء الذاكرة/

١- التصق بها أكثر
 ٢- كاد يود أن يقبلها
 ٣- الاتوبيس قد توقف
 ٤- نزل منه الركاب
 بناء عميق (٨٤)

نمط - كان + قد + فعل تام + و + لم + فعل ناقص

بناء سطحي ١ - « كان قد فقد حاجته إلى إنسان يحكى له ولم يعد بحاجة إلى إعادة التجربة » .
ضوضاء الذاكرة/ ٥٥

بناء عميق } ١- كان قد فقد حاجته إلى إنسان يحكى له
٢- لم يعد بحاجة إلى إعادة التجربة

نمط + راح + فعل ناقص + و + فعل تام + و + تام + و + تام

أ - « راحت ترددها مرات واقتربت من الركاب ودارت بعينيها بينهم وشاهدت » .
ضوضاء الذاكرة/ ٨٥

بناء عميق } ١- راحت ترددها مرات
٢- اقتربت من الركاب
٣- دارت بعينيها بينهم
٤- شاهدت

نمط - كان + ناقص + و + ناقص + و + ناقص

١ - « كنت أجوب المراكز والأقسام واقف أمام من خطفت من رقابهن المصاحف والصلبان ويحدقن في » .
ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

بناء عميق } ١- كنت أجوب المراكز والأقسام
٢- أقف أمام من خطفت من رقابهن المصاحف والصلبان
٣- يحدقن في

وهكذا تأتي كل الأنماط التي مثل لصورتها غير أن الملاحظة الجديرة بالذكر

هى أن الجمل الذى تربط بينها الواو على سبيل التحويل أو الدمج أو الاختصار كلها لابد أن تكون على علاقة روابط سياقية على المستوى النحوى للتركيب ولم تأت الواو رابطة على مستوى تحويل الجمل إلى مركبة أو تحويلها إلى شكل مدمج لم تأت فى سياق ليس به علاقات ربط ولتوضيح هذا المقصد يمكن عرض التصور من خلال مادة الكاتب هكذا .

نمط - فعل تام + ظل + فعل ناقص

١ - « وأسلم أمره لله وظل يحقق فى الطريق » . ضوضاء الذاكرة / ١٠٥

=

بناء عميق } ١ - أسلم أمره لله
٢ - ظل يحقق فى الطريق

بالنظر إلى الجملتين البسيطتين فى البناء العميق نجد أن كل واحدة منهما تمثل بناء مستقلاً من الناحية الشكلية فعناصر الجملة الأولى مكتملة .

مسند = أسلم

مسند إليه = ~~أسلم~~ (٨١)

مسند عليه = أمره (المفعول به فى المصطلح النحوى)

موسع = لله (الجار والمجرور)

وعناصر الجملة الثانية :

تعبير مركب } فعل وظيفى = ظل (الفعل المساعد)
مسند = يحقق (الفعل الرئيسى)

مسند إليه = ~~أسلم~~

موسع = فى الطريق

غير أن هناك عناصر ربط بين الجملتين توهم للتحويل من جملة بسيطة إلى جملة مركبة عن طريق رابط السواو وتمثل عناصر الربط بين الجملتين في الضمير المسند إليه في الجملة الأولى وفي الضمير المضاف إلى المسند عليه في الجملة نفسها أما في الجملة الثانية فمصدر الربط الضمير المسند إليه هكذا .

أسلم هو - أمره - ظل يحدق هو

ولوجود ذلك الربط المؤهل أمكن الربط بالسواو وتحويل الجملة .

نمط - تام + و + حاول + أن + ناقص + و + بدأ + ناقص + و + ناقص +
و + ناقص + و + حاول + أن + ناقص + و + لم + ينطع + أن + ناقص

١- طافت عيناه مرة ثانية وحاول أن يعرف وبدأ يأتي ناحية يمين الصورة ويتأملها ويأتي ناحية يسارها ويتأملها وحاول أن يتعرف على أطراف الكلب ولم يستطع أن يحدد .
ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

- | | |
|--|-------------|
| ١- طافت عيناه مرة ثانية . |] بناء عميق |
| ٢- حاول أن يعرف . | |
| ٣- بدأ يأتي ناحية يمين الصورة ويتأملها . | |
| ٤- (بدأ) يأتي ناحية يسارها ويتأملها . | |
| ٥- حاول أن يتعرف على أطراف الكلب . | |
| ٦- لم يستطع أن يحدد . | |

=

١ - مسند + علامة تأنيث = طافت

- مسند إليه + ضمير مضاف = عيناه

- موسع = مرة ثانية

| | | |
|-----|---------------------------------|---------------|
| ٢ - | فعل شبه وظيفى = حاول | تعبير مركب |
| | صله = أن | |
| | المسند = يعرف (الفعل الرئيسى) | |
| | مسند إليه = Ø | |

| | | |
|-----|-------------------------------|------------|
| ٣ - | فعل وظيفى = بدأ | تعبير مركب |
| | مسند = يأتى (الفعل الرئيسى) | |
| | مسند إليه = Ø | |
| | مسند عليه = ناحية | |

| | | |
|-----|-------------------------------------|------------|
| ٤ - | فعل وظيفى = Ø ^(٨٩) (بدأ) | تعبير مركب |
| | مسند = يأتى (الفعل الرئيسى) | |
| | مسند إليه = Ø | |
| | مسند عليه = ناحية | |
| | موسعات = يسارها ويتأملها | |

| | | |
|-----|----------------------|---------------|
| ٥ - | فعل شبه وظيفى = حاول | تعبير مركب |
| | صله = أن | |
| | مسند = يتعزف | |
| | مسند إليه = Ø | |

عبارة نكلمة - محل المسند عليه = على أطراف الكلب

| | | |
|-----------------------|-------|---------------------|
| سابقة نفى = لم | } ٦ - | (٢) تعبير تلفيقى |
| فعل شبه وظيفى = يستطع | | |
| صلة = أن | | |
| مسند = يحدد | | |
| مسند إليه = Ø | | |

وبالنظر إلى الجمل السابقة فى البناء العميق نجد عنصر الربط المساعد هكذا .



وقد تمثل فى الضمير الذى يجعل من كل فكرة منسوبة إلى المخبر عنه مناط
الفكرة الأولى نفسها ، الأمر الذى خول للواو أن تلعب دور الربط وتحويل
الجملة .

ج-١- عطف جملة اسمية على جملة اسمية :

استخدمت السواو كرابط تحويل من الجملة البسيطة أو المعقدة إلى الجملة
المركبة فى أنماط عطف الجملة الاسمية على مثيلتها ، وقد تعددت أنماط الجمل
الاسمية المربوطة بالواو فى إطار جمليتها الجديدة ولكن كل الأنماط تدور فى
إطار شكلين :- الأول منهما تحويل من بسيط إلى مركب فى الأخبار والثانى
منهما تحويل مع اختصار وتعويض فى الأخبار المؤكد من خلال الأنماط الآتية :

الشكل الأول الخبر

- ١- مبتداً + خبر + و + مبتداً + خبر
- ٢- مبتداً + خبر + و + خبر + مبتداً
- ٣- مبتداً + خبر (فى جملة الصلة) + مبتداً + خبر

الشكل الثانى الإخبار المؤكد (دمج وتحويل مع اختصار)

١- أن + مبتداً + خبر + و + خبر + مبتداً

وقد يأتى فى الشكل الثانى مالا يكون فيه اختصار كذلك

٢- أن + مبتداً + خبر + و + أن + مبتداً + خبر

ولتوضيح صور هذه الأنماط ووظيفة الواو ودلالاتها يمكن أن نعرضها بالتعويض من خلال أمثلة من واقع النص .

نمط (١) مبتداً + خبر + و + مبتداً + خبر

بناء سطحي ١ - « الانتظار صعب ومستقبلك فى خطر » . ضوضاء الذاكرة/ ١٥

١- الانتظار صعب .

٢- مستقبلك فى خطر .

بناء عميق

نجد أن الجملة (١) تمثل جملة بسيطة نواة ، وكذلك الجملة (٢) ولكن لما كانت الجملة الثانية متعلقة بالأولى بعنصر المقام لأنها تتعلق بالخبر المبرر بالجملة الثانية ، لما كان ذلك أمكن أن تقوم الواو بالدور الوظيفى لها فى تحويل الجملتين إلى جملة واحدة من النمط المركب مع بقاء الدلالة للبناء العميق ، بغير اختصار لآى عنصر منها .

نمط (٢) مبتداً + خبر + و + خبر + مبتداً

١ - المنضدة البسيطة المفروش عليها غطاء أخضر وبجوارها كرسى وخلفها

عدة كراسى » . ضوضاء الذاكرة/ ١١٥

١- المنضدة البسيطة المفروش عليها غطاء أخضر .

٢- بجوارها كرسى .

٣- خلفها عدة كراسى .

بناء عميق

نرى أن الجملة (١) من النمط المعقد حيث وسع المبتدأ بالوصف أولاً ثم جاء الخبر ليمثل جملة من البسيطة الموسعة أيضاً مع بناء المفعول المسند إلى نائب فاعل موصوف في الجملة ، ثم جاءت الجملة (٢) مرتبطة بالجملة (١) عن طريق الضمير (ها) العائد ربطاً على المنضدة ، وهي من النوع البسيط (النواة) مكونة من الخبر والمبتدأ المؤخر ، وجاءت الجملة (٣) مرتبطة بالأولى عن طريق الضمير (ها) وهي بسيطة وموسعة عن طريقة الإضافة الموضحة للنوع في المسند إليه المؤخر .

وهكذا ساعدت القرينة السياقية الرابطة أن تلعب الواو دور الرابط المحول للبناء العميق إلى ذلك البناء السطحي المكون لجملة واحدة من الشكل المعقد المركب معاً .

أما في الشكل الثاني فإننا نرى الواو بإمكاناتها أن تقوم بوظيفتين على مستوى التركيب الأول: الربط والتحويل - كما هو شأن الشكل الأول - والربط والتحويل والاختصار لعنصر في الجملة مع بقاء الدلالة ومن ذلك .

نمط (١) إن + مبتدأ + خبر + و + خبر + مبتدأ

١ - « إن خط الحياة في يدك يشبه السلسلة وبه انكسارات وعلامات » .

ضوضاء الذاكرة/ ٧٥

=

١ - إن خط الحياة في يدك يشبه السلسلة.

٢ - إن به انكسارات

٣ - إن به علامات

نلاحظ أن المؤكد المورفيم « إن » جاء في صدر الجملة (١) وأن الجملة (٢) على علاقة بالجملة (١) عن طريق الهاء (ب/ هـ) الواقعة في عبارة الإسناد

والتي تعود على المسند إليه المؤكد في الجملة الأولى^(٨٦) ، بينما في الجملة (٣) لا نجد إلا المسند إليه بينما اختفت عبارة الإسناد المقدرة بالعبارة ذاتها في الجملة (٢) على تقدير (به) في البناء العميق .

ولما كانت هذه العلاقات موجودة في الجمل الأساسية قامت الواو بدور الرابط المحول لهذه الجمل الثلاث إلى جملة واحدة مركبة ، ليس ذلك فحسب بل اختصرت الواو بعض العناصر من الجملتين (٢ ، ٣) حيث كانت قرينة لغوية للدلالة على وجود المؤكد في صدر ك جملة ، هذا على مستوى الجمل الثلاث ، بينما على مستوى تنابع الجملة (٢ ، ٣) اختصرت الواو عبارة الإسناد المكررة للدلالة نفسها فسقط من الجملة الثالثة عنصر يمثل مورفيمين في الباء والضمير الرابط ، وأصبحت الواو هي القائمة بتلك الدلالة على ما في البناء العميق من تقدير ، وبذلك جاء البناء السطحي في الشكل (أ) ليمثل هذه العلاقات .

نمط (٢) أن + مبتداً + خبر + ر + أن + مبتداً + خبر

(١) - «أن الكون متناسق وأن التناسق أساس فيه» . خوضاء الذاكرة/ ٧٥

-

بناء عميق } ١- أن الكون متناسق
٢- أن التناسق أساس فيه

فالجملة (١) جملة بسيطة موسعة عن طريق مورفيم التوكيد (أن) والجملة الثانية كذلك ، لكن هناك علاقة رابطة بين الجملتين عن طريق الضمير في العبارة (فيه) العائد على المسند إليه بالجملة الأولى ، وكذلك تحول المسند بالجملة (١) إلى مسند إليه بالجملة (٢) .

لذا قامت الواو بدور الرابط المحول فقط ، فجمعت بين الجملتين لما بينهما من وشائج سياقية ، في بناء سطحي جديد مع بقاء دلالة البناء العميق .

٤-١- نمط عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية :

لم يرد هذا النمط فى المادة إلا فى جملة واحدة نظراً لأن علاقة الحالية فى الجملة التابعة تكون بديلاً فى الشائع لذلك النمط .

ومع ذلك فإنتى أرجح أن تمثل الجملة التالية نمط عطف الفعلية على الاسمية هكذا .

(١) - « بعضهم يظل يتحدث معى طول الرحلة وبعضهم ينام وآخرون يحضرون الكتب ، وبعضهم يكون له دراية كاملة بالمرحلين فى الخلف ويسألونهم فى بعض الأمور » .
ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

-

- | | |
|---|-------------|
| ١- بعضهم يظل يتحدث معى طول الرحلة |] بناء عميق |
| ٢- بعضهم ينام | |
| ٣- آخرون يحضرون الكتب | |
| ٤- بعضهم يكون له دراية كاملة بالمرحلين فى الخلف | |
| ٥- يسألونهم فى بعض الأمور | |

وقد ربط الضمير سواء وهو يمثل الإضافة أو المسند إليه فى إطار الإسناد المكون من المسند والمسند إليه ، قام الضمير بتلك العلاقة التى مهدت للواو إمكانية الربط بين هذه الجمل وتحويلها إلى جملة واحدة على البناء السطحى .

هـ-١- عطف جملة اسمية على جملة فعلية :

وكما استخدمت السواو للربط والتحويل بين الجمل الفعلية أو الاسمية أو الاسمية الفعلية التى على علاقات ببعضها كذلك استخدمت بشكل شائع للربط والتحويل بين الجملة الفعلية والاسمية فى ثلاثة أشكال تفسم عدة أنماط

فرعية ، فالشكل الأول يجمع بين الجملة الفعلية المتصدرة بالفعل التام والجملة الاسمية والشكل الثانى يجمع بين الجملة الفعلية المتصدرة بالفعل الناقص المسبوق بالسابقة (لم) والجملة الاسمية والشكل الثالث يجمع بين الجملة الفعلية المحولة إلى فعلية عن طريق الفعل المساعد الوظيفى أو شبه الوظيفى بالإضافة إلى الجملة الاسمية ، غير أن الجمل الاسمية فى كل الأنماط قد تكون مبدؤه بالضمير أو السابق المشترك (لكن) هكذا :

- ١- فعل تام + ←^(٨٧) + و + خبر + مبتدأ
- ٢- كان + اسمها + خبرها + و + مبتدأ + خبر
- ٣- كاد + اسمها + خبرها + و + لكن + مبتدأ + خبر
- ٤- لم + فعل ناقص + و + لا + مبتدأ + خبر
- ٥- فعل شبه وظيفى + أن + فعل ناقص + ← + و + لكن + مبتدأ + خبر

ومن خلال هذه الأشكال الشائعة فى المادة اللغوية يمكن أن تمثل لبعض الجمل التى تم فيها الربط والتحويل عن طريق الواو مثال :

نمط (١) فعل تام + ← + و + خبر + مبتدأ

(١) - فوجدت الباذنجان يتمدد سامقاً وفيه سمرة الزوج

ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

١- وجدت الباذنجان يتمدد سامقاً

٢- فيه سمرة الزوج^(٨٨)

وحين جاءت عناصر الربط السياقى بين الجملة (١) والجميلة المحضونة فيها

Constituent Sentence [يتمدد سامقاً] والجملـة (٢) والتي تمثلت فى الـضمير العائد على المسند عليه (المفعول به) فكلمة (الباذنجان) والضمير المسند إليه (هو) المقدّر فى الفعل (يتمدد) والضمير العائد من المسند فى العبارة (فيه) حين جاءت هذه العناصر خولت للواو الربط بين الجملتين (١) ، (٢) وتحويلهما إلى جملة واحدة فى البناء السطحى الموجود فى الشكل (١) .

نمط (٢) كان + اسمها + خبرها + و + مبتدأ + خبر

(١) - « كانت نظراته تتبعها وهو ما زاد فى اضطرابها » .

ضوضاء الذاكرة/ ٨٥

=

١- كانت نظراته تتبعها
٢- هو ما زاد فى اضطرابها

نلاحظ أن الجملة (١) كانت فى الاصل اسمية ثم تحولت إلى فعلية بدخول الفعل المساعد الوظيفى « كان » عليها ليـجعل من فعلها المسند تعبيراً مركباً « كانت تتبع » ثم جاءت الجملة (٢) مرتبطة بالجملة (١) عن طريق الضمير العائد على محتوى التركيب الأول (هو) أى « كانت نظراته تتبعها » الأمر أو الشأن ، فعوض الضمير « هو » عن ذلك المحتوى ، ثم عـضد ذلك الضمير بالموصول الحرفى « ما » أى « الأمر الذى » ثم جاء الضمير المضاف إليه فى عبارة « فى اضطرابها » ليعود على المسند عليه (المفعول) فى الجملة (١) .

وبتلك العناصر السياقية الرابطة راوالت الواو مهمة الربط والتحويل بين (١) ، (٢) فجمعت بينهما فى التركيب السطحى (١) مع بقاء دلالة التركيب العميق، وهذا ما لنجده فى كل أنماط الربط بين جملة فعلية وأخرى اسمية هكذا .

نمط (٣) كاد + اسمها + خبرها + و + لكن + اسمها + خبرها
(١) - « كادت أن تسقط ولكنها ترنحت » .
ضوءاء الذاكرة/ ٩٥

عميق } ١- كادت أن تسقط
٢- ولكنها ترنحت

الرابط المسند إليه المستتر « هي » بعد « كادت » والمسند إليه المستتر مع
الفعل « ترنحت » وكذلك اسم « لكن » في الهاء العائد على المسند إليه في
الفعل الرئيسى بالجملة (١) « تسقط » وهو ذاته الضمير بعد « كادت » بالإضافة
إلى مورفيم التانيث .

نمط (٤) لم + فعل ناقص + و + لا + اسمها + خبرها
(١) - « لم أحاول ولا شأن لى به » .
ضوءاء الذاكرة/ ١٠٥

١- لم أحاول أن أقرأ أوراق التقرير
٢- لا شأن لى به

نرى في الجملة (١) أنها جملة حذفية elliptical Sentence سقط منها
مركب التعبير مع الفعل المساعد الدال على القدرة « أحاول » الذى يمثل جزءاً
من التعبير « أحاول أن أقرأ » ثم سقط المسند عليه بقيد إضافته الموسعة
« أوراق التقرير » وذلك للعلم من السياق السابق على ذلك في الحوار ، ثم
جاءت عناصر الربط فى الجملة (٢) متمثلة فى الضمير الكائن فى العبارة
« لى » العائد على المسند فى الفعل « أقرأ » (أنا) وكذلك الضمير
الكائن بالعبارة (به) العائد على المسند عليه (المفعول) المحذوف من
الجملة (١) .

نمط (٥) فعل شبه وظيفى + أن + فعل ناقص + و + لكن + اسمها + خيرها
 (١) - « وحاول أن يستعيد الكتاب ولكن الظلام الدامس الذى كان قد خيم
 على الطريق وامتد ليشمل العربية منعه من مواصلة القراءة » .
 ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

١- حاول أن يستعيد الكتاب **ليقرأ^(١)**

٢- لكن الظلام الدامس

الذى كان قد خيم على الطريق
 [منعه من مواصلة القراءة
 امتد ليشمل العربية]

نلاحظ أن عناصر الربط بين الجملة (١) تحققت فى الضمائر فى الجملة
 (٢) ونعنى بها الجملة « لكن الظلام الدامس منعه من مواصلة القراءة » إذ
 ضمير المسند عليه المفعول فى الفعل «منعه» يعود على المسند إليه فى الفعل
 «يستعيد» والمصدر «القراءة» رابط للتأويل فى الفعل مع السابقة «ليقرأ» .
 ومن الجدير بالملاحظة أن الجملة (٢) تمثل جملة حاضنة matrix sentence
 لجمليتى النعت « الذى كان قد خيم على الطريق - امتد ليشمل العربية » وغير
 خاف ما فى الجملتين من عناصر الربط بينهما وبين الجملة الرئيسية الحاضنة،
 وتلك من وظائف ربط الواو بين الجمليات المحضونة .

و- ١- نمط عطف العبارة على العبارة (شبه الجملة)

لم يشع هذا النمط كثيراً إذ مثله جملة واحدة خلال المادة عينة الدراسة
 وهى إمكانية من إمكانات وظائف الربط والتوسيع التى تقوم بها الواو حيث
 العبارة تعد من موسعات الجملة إن لم تكن فى موضع المسند عليه .

وتتضح وظيفة التوسيع للواو مع العبارات من خلال المثال التالي :

(١) - أجابها وعيناه تلمعان بدهاء فيه إشتاق عليها وعلى شبابها الغض
ضوضاء الذاكرة/ ٩٥

=

| | | |
|--------|---|-------------------|
| أجابها | { | - عيناه تلمعان |
| | } | - بدهاء فيه إشتاق |
| | { | عليها |
| | } | على شبابها الغض |

فالجملة من النمط الموسع المعقد وعلاقات الربط التي يقوم به الضمير بين الجملة التواة الحاضرة وبين الجميلات المحضونة للحال قائمة وهي مرسعة بالعبارة الأولى (عليها) المربوطة بالضمير أيضاً ، ثم جاءت العبارة (على شبابها الغض) مربوطة بالضمير العائد على المسند عليه (المفعول) في الفعل (أجابها) وهو ذات الضمير في العبارة الأولى (عليها) لذلك قامت الواو بوظيفة الربط للموسع في العبارة التي بعدها .

٢- أنماط الواو الرابطة للجماليات المحضونة :

٢-١ أنماط واو الربط في جميلات الحال :

لعبت الواو دور الرابط للجماليات المحضونة الدالة على الحال في إطار الجملة الحاضرة ، رابطة بذلك بين عنصر متعدد وهو ما يسمى جميلة الحال وأحد عناصر الجملة الرئيسية الحاضرة وهو ما يسمى صاحب الحال ، وكان ذلك من خلال تشكيلن يجمعان تحتها عدة أنماط فرعية لكل شكل .
أما الشكل الأول :- فإنه أتى في التركيب الفعلي أو ما يسمى الجملة الفعلية ، وجمع الأنماط الآتية :

١- الجملة الحاذنة + و + فعل تام

٢- الجملة الحاذنة + و + قد + تام

٣- الجملة الحاذنة + و + فعل ناقص

٤- الجملة الحاذنة + و + لم + فعل ناقص

٥- الجملة الحاذنة + و + لم + فعل وظيفى + قد + فعل ناقص

وأما الشكل الثانى فقد تمثل فى الجملة الاسمية سواء أكان المسند إليه فيها الضمير أم الاسم وكان المسند فيها الاسم أو التركيب الفعلى هكذا :

١- الجملة الحاذنة + و + مسند إليه (ضمير) + مسند

٢- الجملة الحاذنة + و + مسند إليه (اسم) + مسند (اسم)

أو

٣- الجملة الحاذنة + و + مسند + مسند إليه

وتستوى الوظيفة التركيبية للواو بين النمطين سواء ربطت الجملة الفعلية أو الاسمية بالجملة الرئيسية الحاذنة ، فى الوقت ذاته فإن وظيفتها الدلالية تكتسب من السياق العام ومن قرائن الروابط الدالة على نوع العلاقة الدلالية بين الجملة التابعة وبين الجملة المتبوعة فى أحد عناصرها .

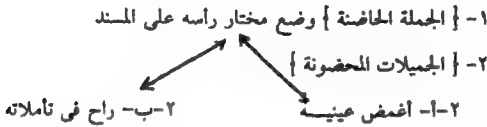
ولتوضيح هذه الصورة يمكن أن نعرض بالتحليل لبعض الأمثلة من خلال الأنماط الشكلية سالفة الذكر :

الشكل الأول :

نمط (١) الجملة الحاضنة + و + تام

(١) - « وضع مختار رأسه على المسند وأغمض عينيه وراح فى تأملاته » .

ضوءاء الذاكرة/ ٥



والعلاقة بين عنصر المسند إليه فى تركيب الجملة (١) مرتبطة بالمعنى بالجملتين (٢ - أ ، ٢ - ب) لأنهما ارتبطتا بالهيئة عند إسناد حدث الوضع لمختار، هذا ما أعطى للواو الرابطة معه دلالة الحالية من خلال دلالة العلاقة، من ناحية أخرى فإن قرائن السياق اللغوى عن طريق الضمائر الرابطة بين الجملتين المحضورتين والجملة الحاضنة قائمة وذلك فى رجوع الضمير المستتر فى الفعل (أغمض) إلى عنصر المسند إليه (مختار) وكذلك قيد المضاف إليه فى المسند عليه (المفعول) كلمة (مختار) وكذلك الضمير المستتر فى الفعل (راح) والضمير المضاف إليه فى عبارة (فى تأملاته) .

لكل ذلك قامت الواو بوظيفة الربط بين الجملة الرئيسية وبين الجمليات التابعة لها ، ففى الوقت نفسه أخذت الواو دلالتها المعنوية من علاقات التركيب .

نمط (٣) جملة حاضنة + و + فعل نافع

(١) - « عاشت وسط التلال القذرة والنفايات وروث الماشية تمسح القذى عن أعين الأطفال وتضع المرحم الأبيض المزوج بالدواء فى الأعين المقرحة ، وتنظر فى الجروح المتقحة بين السيقان » . ضوضاء الذاكرة/ ٤٥

=

١- عاشت وسط التلال القذرة والنفايات وروث الماشية

Ø

٢- ج

أ- تمسح القذى عن أعين الأطفال
ب- تضع المرحم الأبيض المزوج بالدواء فى الأعين المقرحة

نلاحظ أن الجميلات (٢ - ١ ، ٢ - ب ، ٢ - ج) كلها مرتبطة بعنصر المسند إليه المستر (هى) فى الفعل (عاشت) وعلامة السانث مورفيم (ت) دالا عليه ، وجاء الضمير المسند إليه فى كل الجميلات مرتبطا بذلك العنصر فى الأفعال (تسمع ، تنظر ، تضع) .

لذلك قام الضمير بالربط المباشر بين الجميلة (٢ - ١) والجملة الرئيسية ، بينما جاءت الواو لربط الجميلتين (٢ - ب ، ٢ - ج) بالجميلة (٢ - ١) ومن ثم يكون الربط قم تم بين كل الجميلات وبين الجملة الحاضنة (١) فيتحقق بذلك مكون الجملة الواحدة المتصلة فى البناء السطحي فى الشكل (١) وتأخذ الواو دلالة معناها من علاقات التركيب .

نمط (٥) جملة حاضنة + و + لم + فعل وظيفي + قد + فعل ناقص

(١) - « سألوه عن السبب ولم يكونوا قد تعودوا على أن يناقشوه » .

ضوضاء الذاكرة/ ٣٥

=

١- سألوه عن السبب



٢- لم يكونوا قد تعودوا على أن يناقشوه

نجد أن الجملة (١) هي الجملة الرئيسية الحاضنة وهي بسيطة موسعة ، ولكن لعلاقة معنى مستهدفة جاءت الجميلة (٢) لتوضيح أن ذلك الحال الطارئ من السؤال لم يك مألوفًا من المسند إليه واو الجماعة من قبل ، فكان التركيب بذلك المظهر الدال على الماضي المستمر المحقق من خلال التعبير (لم + يكون + قد + تفعل) .

بالإضافة إلى هذه العلاقة المعنوية ، فإن قرائن الربط السياقي تمثلت في الضمائر العائدة على المسند إليه بالتطابق وذلك في الفعل الوظيفي المساعد (يكونوا) وفي الفعل الرئيسي (تعودوا) ، وبذلك جاءت الواو للربط بين الجميلة المحضونة والجملة الحاضنة واكتسبت المعنى من علاقات التركيب الدالية .

غير أن الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا من خلال الانمط أن الواو تستخدم في وظيفة ربط جميلة الحال بالجملة الحاضنة حينما تبدأ بالجملة المحضونة بالفعل التام أو الناقص المسبوق بالسابقة "perfix" « لم » الدالة على النفي للإشارة إلى تمام المعنى المقابل لتعريفها .

نمط (١) من الشكل الثانى :

الجملة الحاخنة + و + مسند إليه (ضمير) + مسند

(١) - « كنت قد نهبت على زوجتى وأنا غائب ألا تشتري الخيار » .

ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

١- كنت قد نهبت على زوجتى ألا تشتري الخيار

↕
↕
- أنا غائب

جاءت الجملة الرئيسية (١) من الشكل المعقد مكونة من (فعل وظيفى مساعد «كان» + السابقة «وقد» + الفعل الرئيسى التام «نه» ، وتام الجملة لتفسير مضمون التنبيه الواقع على عبارة المسند عليه (المفعول) « على زوجتى » تأتى فى جملة « ألا تشتري الخيار » .

غير أن هناك معنى تقييدى أراد أن يوضحه الكاتب بأن ذلك التنبيه فى حالة واحدة وهى غيابه عن البيت ، لذلك جاءت جملة « أنا غائب » وهى جملة اسمية بسيطة وقعت محضونة ومرتبطة بعنصر المسند إليه المتكرر فى الفعل الوظيفى المساعد « كنت » وكذلك فى الفعل الرئيسى «نهبت» عن طريق الضمير المنفصل « أنا » المسند إليه أيضاً فى بداية جملة الحال .

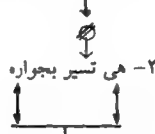
من هنا قامت الواو بربط تلك الجملة (٢) بالجملة الرئيسية ، وأخذت معناها الدالالى من علاقات سياق الجملة الحاخنة بجميلتها المحضونة .

نمط (٢) من الشكل الثانى :

(١) - « كادت أن تنهى المرحلة التجارية وهى تسير بجواره وفى أيديهم
أكياس اللب » .
ضوضاء الذاكرة / ١٥

=

١- كادت أن تنهى المرحلة التجارية



هنا نجد أن الجميلة (٢) ارتبطت بالجملة الرئيسية عن طريق ما يمكن أن نطلق عليه الحال الزمنى إذ تقدير المعنى « كادت أن تنهى المرحلة التجارية حين كانت تسير بجواره » ، وعلاقات السياق بالضمير محققة بين التركيبين .

غير أن الجميلة (٣) جاءت مرتبطة بالجميلة (٢) وليست بالجملة الرئيسية مباشرة إذ معنى الجميلة (٣) أنهما كانا يمسان أكياس اللب حين كانت تسير إلى جواره فى هذه المرحلة بالتحديد ، وقد ربطت عناصر السياق بين الضمير «هم» المراد به المثني (هما) وبين الضميرين فى الجميلة (٢) (هى) المسند إليه والضمير (الهاء) القيد الإضافى فى كلمة (بجواره) لذا قامت الواو بالربط بين الجميلة (٢) ، (٣) الأمر الذى يحقق على اختلاف المعنى الربط بين الجملة الخاضعة وجميلاتها المحضونة على اعتبار القرائن والمعنى المقصود .

ومن المهم هنا أيضاً تسجيل ملاحظة أن الجميلات التى تبدأ بالضمير أو بعبارة الخبر مقدمه عن الاسم المسندة إليه تحتم وجود الواو الرابطة بين جميلتها والجملة الخاضعة ، الأمر نفسه الذى كان مع الأفعال التامة والأفعال المنفية .

٢-ب- أنماط الواو الرابطة لجميلة النعت :

يعد النعت من موسعات الجملة حين يأتي على شكل المفردة أو بعارة أخرى حين تأتي الوحدة الصرفية المورفيم في هذا الموقع ، غير أنه قد يأتي على هيئة تركيب متكامل العناصر الإسنادية ، في الوقت الذي يرتبط فيه معنى مجمل التركيب بعنصر له خصائص التنكير الصرفية في جملة سابقة ، وفي هذه الحالة لا يعد النعت من الموسعات الإفرادية مع بقاء الجملة على تعريفها البسيط ، بل يعد من معقدات الجملة ويحول الجملة الحافضة إلى نمط الجملة المعقدة Complex Sentence ، وتصبح جميلة النعت محفونة عند توافر علاقات السياق التركيبية .

وتقوم قرائن السياق اللغوي بدور الرابط لجميلة النعت بعنصر المنعوت في الجملة الرئيسية في الغالب ، غير أنه يمكن أن تأتي الواو للربط بين جميلة النعت ومنعوتها وفي هذه الحالة تأخذ دلالة تأكيد النعت في الجملة .

ولم يرد من ذلك في المادة هيئة الدراسة إلا غطان كالآتي^(٨٩) :

١- و + مسند + مسند إليه ، أو و + اسم موصول + جميلة صلة .

(١) - ثم لاحت لهم من بعيد الكتبان الرملية الناهضة الناعمة ملساء كقطعة

ضوضاء الذاكرة/٦

عجين ولها رائحة غامضة

١- الجملة الحافضة

١ + ١ - الأسس : لاحت الكتبان

ب- ١ الموسعات للوصف : لهم من بعيد الرملة - الناهضة - الناعمة

الموسعات للحال : ملساء - كقطعة عجين

٢- الجميلات المحفونة : لها رائحة غامضة

وهنا نجد أن جميلة « لها رائحة غامضة » قد وقعت على علاقة بأحد المرسعات التابع للجملة الرئيسية وهي مركب « قطعة عجين » التي لم تكسبها الإضافة تعريفاً ، لذا كانت جميلة « لها رائحة غامضة » وصفاً لمركب قطعة عجين ، إذ علاقات التانيث بين المستند إليه في الجملة قائمة مع المركب الموصوف، وكذلك عود الضمير في عبارة الإسناد (لها) .

وكان من الممكن أن يأتي التركيب بغير واو الربط لهذه الجميلة فتكون «كقطعة عجين لها رائحة غامضة » ولا يخل ذلك بالعلاقات أو المعنى ، لكن لما أراد الكاتب التوكيد أدخل الواو للربط فقامت بدور المؤكد لمضمون الوصف القائم في معنى جميلة الصفة .

٣-ب أنماط الواو الرابطة للاعتراض :

استخدام الكاتب الواو رابطة للاعتراض محضوثاً في إطار الجملة الرئيسية على شكلين: الأول أن يأتي الاعتراض بجميلة حذفية - elliptical sentence والثاني أن يأتي بالجملة التامة elliptical complet sentence، وذلك من خلال الأنماط الآتية :

١- الجملة ← / → الحاضرة

+ و + إن + تكن

٢- الجملة ← / → الحاضرة

+ و + إن + كان + قد

٣- الجملة ← / → الحاضرة

+ و + لا + بد

٤- الجملة ← / → الحاضرة

+ و + كان + اسمها + خبرها

وقد استخدمت الواو الرابطة لجميلة الاعتراض الحذفية أو للجميلة الكاملة في كل الأنماط لغرض تأكيد مضمون الجملة الحاضنة أو لبيان استمرار حالة المسند إليه في عزمه على إتمام الحدث أو للشك، ولنا أن نبين هذه الوظيفة ودلالاتها من خلال تحليل أمثلة الأنماط هكذا .

نمط (١) الجملة ← الحاضنة

/ و + إن + تكن /

(١) « وحيث إنه إذا قيل أن الجمعية التشريعية وإن تكن جمعية استشارية إلا أن لها السلطة في تقرير أموال وعوائد جديدة طبقاً لنص المادة ١٧ من القانون النظامي » .
ضوءاء الذكرة / ٨٥

١- البناء العميق :

إن الجمعية التشريعية لها السلطة في تقرير أموال وعوائد جديدة طبقاً لنص المادة ١٧ من القانون النظامي .

٢- جميلات الاعتراض المحذوفة :

أ - إذا قيل ب- وإن تكن جمعية استشارية إلا أن

فالجملة الحاضنة الأساسية (١) جملة معقدة موسعة تشمل سابقة التوكيد «إن» ونوسيعاً بالنعت للمسند إليه الواقع في اصطلاح النحلة العرب اسم «إن» ، ويأتى تركيب المسند ممثلاً في جملة اسمية موسعة. بالعبارة ثم بالعطف ثم بالتوكيد.

ولما أراد الكاتب أن يؤكد نسبة الإسناد في كون الجمعية التشريعية لها السلطة ، مهد لذلك بالاعتراض الأول « إذا قيل » ثم جاء بالاعتراض المؤكد الثانى في شكل جميلة شرطية معقدة يتداخل جزاؤها بالربط مع المسند الأساسى للجملة الحاضنة هكذا.

١- الجملة الحاضنة .

إن الجمعية التشريعية لها السلطة

٢- جميلة الشرط المحضونة - إن تكن **الجمعية التشريعية** جمعية استشارية إلا أن لها السلطة

فجميلة « أن لها السلطة » جاءت مشتركة بين الجزاء وبين المسند الأساسى للجملة الرئيسية ، وبذلك ربطت الواو عن طريق تلك العلاقات جميلة الاعتراض بالجملة الحاضنة مع دلالة توكيد المضمون المتمثل فى الإسناد المشترك لنفى زعم القول الذى جاء عن طريق بناء المجهول .

نمط (٢) الجملة ← الحاضنة

+ و + إن + كان + قد

(١) « وهنا أغلق الضابط الكتاب - وكأنه قد أغضب أو أهين - ثم وضعه أمامه - وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت إلى السائق قائلاً » .
ضوضاء الذاكرة / ١٠٥

١- الجملة الأساسية :

وهنا أغلق الضابط الكتاب ثم وضعه أمامه والتفت إلى السائق قائلاً .

٢- الجميلة المعترضة :

أ- وكأنه قد أغضب أو أهين .

ب- وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها .

فى الجملة الحاضنة الأساسية (١) نجد علاقات التركيب قائمة فى جملة محولة من الشكل البسيط إلى الشكل المركب عن طريق الضمائر وأدوت الربط (ثم - و) ، وخلال هذه الجملة أراد الكاتب أن يؤكد انطباعاً عن صورة المسند

إليه (الفاعل التركيبى) فى الجملة فاعترض بين جزئى التركيب المربوط بالاداءة (ثم) بتلك الجميلة الاعتراضية تامة الأركان « كانه قد أغضب » فبينت الجميلة بوسائل علاقتها بالجزء الأول من الجملة الحاضنة ، المعتمد على الضمير فى « كانه » والضمير المستتر فى « أغضب » الساد مسد المسند إليه (نائب الفاعل) بينت هذه الجميلة الانطباع الشعورى عن المسند إليه حينما أدى حدث إغلاق الكتاب .

وعلى أساس هذه العلاقة السياقية والدلالة الطارئة المقصود ضمها لمعنى التركيب جاءت الواو للربط والتوكيد فى صدر الجميلة المعترضة ، وكان يمكن أن يصح التركيب لو قال « وهنا أغلق الضابط الكتاب - كانه قد أغضب أو أهين ثم » .

غير أنه لما كانت الأحداث السياقية قبل ذلك تدل على أن الضابط كان يقرأ الكتاب والكاتب يريد أن يعطى صورة لشخصيته أنها لم تغلق الكتاب عن رهد فيه أو ملل بل لحدث طارئ مع نية الاستمرار فى إتمام الحدث لما كان الأمر كذلك استعان الكاتب على توكيد رغبة الاستمرار بالجميلة المعترضة الحذفية والتي يمكن تمثيلها هكذا .

- إن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها : فإنه ينوى إتمام القراءة -

فحذف جزء الشرط للعلم به من خلال السياق العام ، وقد جاء بهذه الجميلة بين التركيبين المضمومين للجملة الأولى عن طريق الربط هكذا .

- ثم وضعه أمامه - وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت إلى السائق .

من ناحية أخرى فإننا نجد مغايرة بين الجميلة المعترضة (أ) والجميلة (ب) إذ

الأولى يمكن أن تستغنى عن الواو الرابطة ويصح التركيب ، بينما الثانية إذا سقطت منها الربط بالواو يفسد المعنى ولنا أن نتصورها هكذا .

X - ثم وضعه أمامه - إن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت ... إلخ، ذلك لأن الجميلة الشرطية فى هذه الحالة سوف تستقل بالمعنى دون رابط يجمعها بالدلالة السابقة ، ويصبح التركيب وحذف الجزاء ضرباً من الغموض السياقى وإفساداً للدلالة وهذا يختلف عن الجميلة (أ) التى جاءت سابقة التشبيه فيها وسيلة كافية للربط غير الشرط .

ومع وجود العلاقات السياقية فى التركيب (ب) الجامع للجميلة مع جملتها الحاضنة متمثلاً فى الضمير المستتر فى (كان) = (كان هو) أى الضابط والضمير فى الفعل (ثنى) = (ثنى هو) أى الضابط وكلمة (الصفحة) التى يمكن عداها بدل جزء من كل تعود على « الكتاب » الواقع مسنداً عليه فى الجملة الرئيسية ، أقول مع وجود هذه الروابط إلا أنها لا تغنى عن وجود الواو للربط بين الجميلة الشرطية المعترضة والجملة الحاضنة .

نمط (٣) الجملة ← الحاضنة

+ و + لا + بد

(١) فى تلك الغرفة التى - ولابد - كانت مخصصة ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

الحاضنة ١ - فى تلك الغرفة التى كانت مخصصة

المحضونة ٢ - ولابد

فى هذا النمط نجد أن الجميلة الحذفية (لابد) وقعت معترضة بين الاسم الموصول الساقع نعتاً وبين صلته ، وقد جاء الاعتراض لتوكيد المضمون فى

النعته وذلك بتطابق المسند المحذوف مع صلة الموصول ، الأمر الذى يمكن تصويره هكذا :

١- الغرفة التى كانت مخصصة .

٢- ولابد كانت مخصصة

فلما جاءت جميلة (كانت مخصصة) مشتركة فى الصلة وفى الإسناد إلى اسم « لا » النافية للجنس حذفت من الجميلة الأولى .

وقد استخدمت الواو لتوكيد مضمون النعته فى جميلة الصلة فربطت بين الجميلتين بالاعتراض ، وإن كان التركيب يمكن أن يأتى بغيرها هكذا « الغرفة التى - لابد - كانت مخصصة » .

٣- أنماط الواو المستأنفة :

لا نقصد بالاستئناف بداية الكلام الجديد المنقطع عن الفكرة السابقة ، بل يعنى بداية جملة لإضافة فكرة جديدة لها علاقة وثيقة بإنهاء الفكرة السابقة عليها ، ولهذا الغرض من الاتصال المعنوى بين الأفكار تأتى الواو لتبدأ الجمل التى يقصد بها إضافة فكرة جديدة إلى ما سبقها من أفكار حتى تتكامل الصورة بجمع شتات الأفكار الجزئية فى إطار المحور العام المستهدف .

وتحت هذا المعيار العام تأتى الأنماط الفرعية للتركييب التى تصدرها واو الاستئناف لغرض الربط المعنوى بالسابق لا بغرض الاستقلال ، لذا فقد تصدر الجمل الاسمية أو الفعلية أو الشرطية ، وكما تستأنف كذلك الإنشاء ، لكنها لا تستأنف العناصر الفرعية فى الجميلات ، أو عناصر التوسيع أو التحويل إلى المركب فى الجمل كما كان فى الأنماط سالفة الذكر ، أو بمعنى آخر يمكن أن نقول إن وظيفة واو الاستئناف هى ربط مجموعة من الأفكار متصلة بمجموعة

أخرى لها سمات الاتصال بينها وتجمع الواو بين الكل فى إطار المعنى ، ولذلك كان موقعها فى الإشارات المرجعية وفى بدايات الفقر .

ولقد استخدمت واو الاستئناف على نطاق واسع فى المادة عينة الدراسة حتى لتكاد تكون هى السمة الشائعة المسيطرة من بين الوظائف ، إذ بلغ استخدامها مائة وثلاثين مرة وهى أعلى نسبة بين الوظائف ، وربما يعود ذلك إلى علاقة الوظيفة بالجنس الأدبى ، إذ فى القصص والروايات تتعدد المواقف والأفكار وتدور حول أشخاص كثيرة لكن فى إطار خدمة هدف وفكرة عامة تقوم الواو بالربط بين هذه الأفكار لنصل إلى ذلك الهدف العام من العمل .

وخلال المادة عينة الدراسة استخدم الكاتب الواو للربط والاستئناف فى معظم أشكال التراكيب اللغوية ، ويمكن لنا عرض أنماطها كالآتى :

- ١- و + فعل تام + (٩٠)
- ٢- و + لم + فعل ناقص +
- ٣- و + كان + قد + فعل تام +
- ٤- و + كان + فعل ناقص +
- ٥- و + أسرع + فعل ناقص +
- ٦- و + بدأ + فى +
- ٧- و + هل + فعل ناقص +
- ٨- و + اسم شرط +
- ٩- و + إن + كان + لم + فعل ناقص +
- ١٠- و + لما + كانت +

١١- و + ظرف +

١٢- و + عبارة تأكيد + شرط

١٣- و + لكن +

١٤- و + مبتدأ + خبر +

ولما كانت الوظيفة متحدة وغير متعددة لواو ربط الاستئناف فإنه بالإمكان ان نكتفى بمثال أو اثنين نفسر من خلالهما ما ينسحب على أى لمط من السابق لأن ذلك يتطلب عرض الفكرة السابقة على الاستئناف والفكرة المستأنفة المجموعة مع سابقتها برابط الواو :

١- فقرة (١) :

« عندما عادت كانت تبسم وكأنها فارقت منذ زمن طويل ، نظر إليها فوجدها قد ازدادت والسلسلة الذهبية قد توسطت النهدين الوافدين ولاحظ أن حريتها قد منحت لهما وازدادا نضجا وتألّقا وبدا له اهتزازهما الهائج فى كبرياء وعناد ، ولح المخروط الغامض الملتهب الذى انكشف له تماما عندما انحنى امامه لتجلس ، تمنى لو أمسك فقط بالصليب المتأرجح الذى توسد ظلمة الثوب وكان شعرها قد سوى وترقرقت موجاته وازدادت حريته ، بل وكانت قد قسمته نصفين ، الجانب الأيسر منه استدار ليلتف على جانب الرقبة ويسقط ناعما متموجا على أنحاء النهر الذى بجواره ، فبدت له ماريان فى تلك اللحظة حديقة كاملة يعطورها وروائحها الأنثوية المحملة بشبق اللقاح فى أول الربيع »

ب- فقرة (٢) :

« وتماسك مختار وهو يقاوم بعنف المراهقة التى عادت إلى بدايتها الأولى ، ولم تنظر ماريان إليه »

ضوضاء الذاكرة / ٥٥

ج- فقرة (٣):

« وكانت تنظر أمامها وتبتسم وهى تراه يلوك رغبة عارمة ، راقى لها تلك النظرة المتجربة من كل مصلحة إلا مصلحة الجسد دون وعد أو إعداد سابق ، وشعرت أنها قريبة منه ، وإن كانت معلوماتها عنه لم تكتمل وزاد قربها أنه لم يغازلها من أول نظرة أو كلمة »
ضوء الذكرة / ٥٥

من خلال النص السابق يمكن أن نستخلص ثلاث أفكار رئيسية عامة كل فكرة تكشف عن صورة ولها علاقة بالآخرى ، فالفكرة الأولى : « ملامح الفتنة فى جسد ماريان » والثانية تدور حول « موقف مختار من ملامح ماريان التى يراها » والثالثة تدور حول « موقف ماريان من نظرة مختارة إليها » .

والأفكار العامة الثلاثة على رباط معنى واحد لتصوير موقف متحد بين اثنين فى موضوع واحد ، لذلك نهضت الجمل بأشكالها المختلفة برسم صورة متكاملة عن الفكرة الأولى ؛ تاتى كل جملة لتضع أو تصور جزءاً من الفكرة حتى تكتمل .

وهنا يبدأ دور الواو الرابطة للاستئناف فتبدأ رسم الصورة التالية التى تضام الأولى عن طريق الواو حتى نخرج فى النهاية بتصور الفكرة الكلية من مجموع الأفكار المربوطة خلال الفقرة عن طريق الواو .

غير أنه تجدر الإشارة إلى أن عناصر الربط السياقى ضرورية أيضاً للربط بالاستئناف فى الفكرة العامة المتحددة وكما هو واضح من الضمائر المطابقة ومن الأسماء المتكررة فى الفقرات الثلاث فإن ذلك ساعد على الربط الاستئنافى بالواو .

وإن كنا نلاحظ غلبة الاستئناف فى الأفكار التى تبدأ بأنماط الجملة الفعلية فإن ذلك مرده إلى علاقة الجنس الأدبى بالأسلوب ، خاصة أن الجنس الأدبى يحاول نقل الأحداث حية متواصلة دون تقرير يروجوه من خلال الجمل الاسمية .

ثالثاً: نتائج البحث :

على ضوء ما سبق فى الدراسة يمكن أن نخرج بالآتى عن أنماط الواو
الرابعة :

١- أحصت الدراسات التراثية للواو (الرابطة) تسعة عشر قسمًا بعضها يأخذ
وظيفته من التركيب المضام له وبعضها يأخذ الوظيفة بإحلال التأويل فى
المعنى ، فمما يأخذ حكم الوظيفة من خلال معنى التركيب المضامة له
(واو النسق - واو الحال - واو القسم - واو العماد - واو الإضممار -
واو النعت - واو الابتداء - واو الصرف - واو المدح) .

ومما يأخذ وظيفته اعتماداً على المعنى فى المقام الأول وإن كان الشكل غير
مغفل (واو الخروج - واو الجحود - واو الصلة - واو الظرف - الواو بمعنى
رب - الواو بمعنى أو - الواو بمعنى إلى - الواو بمعنى مع - الواو بمعنى التاء -
الواو دليل الفعل المضمر) .

وفى كل هذه الأنماط كان معيار التقسيم فى إطار العامل والمعمول وعلاقات
السياق المؤثرة بعضها فى البعض الآخر لنصل إلى الإعراب كدليل معنى أو
العكس .

٢- من خلال النص اللغوى عينة الدراسة تبين الآتى :

١-٢ الشائع من أقسام الواو الوظيفية أربعة أنماط مما عاجله القدامى هى
(واو النسق - واو الحال - واو النعت - واو الابتداء) .

٢-٢ استخدمت واو الربط فى العطف فى عدة أنماط شكلية كالآتى :

١- فى ربط الجمل :

١- عطف جملة فعلية + جملة فعلية

٢- عطف جملة اسمية + جملة اسمية

٣- عطف جملة اسمية + جملة فعلية

٤- عطف جملة فعلية + جملة اسمية

ب- فى ربط موسعات الجمل

١- عطف مفرد + مفرد

٢- عطف عبارة + عبارة

ج- فى ربط الجميلات المحضونة

١- جملة حال + الجملة الحاضنة

٢- جملة النعت + الجملة الحاضنة

٣- جملة الاعتراض + الجملة الحاضنة

د- فى عطف الافكار : ربط فكرة سابقة ذات أفكار جزئية

+ فكرة لاحقة مرتبطة بها ذات أفكار جزئية

٣- فى ربط الجمل تقوم الواو بدور الرابط المحول أو الرابط المحول المختصر لجمليتين أو أكثر يتم عن طريق الواو تحويلهما من البناء العميق فى شكلهما البسيط أو البسيط الموسع أو المعقد إلى الشكل البسيط المركب أو البسيط الموسع المركب أو المعقد المركب ، وقد تكون الواو للربط والتحويل فقط فى الشكل مع بقاء المعنى العميق للجمليتين أو قد تختصر أحد عناصر بعض الجمل المربوطة بها مع ضرورة وجود عناصر ربط فى علاقات السياق هكذا :

١- الربط والتحويل بين تركيب فعلى وآخر مماثل .

بناء سطحى أ - جهزت الطائرة وملئت خزاناتها بالوقود . ضوضاء الذاكرة / ٥

-

١- جهزت الطائرة

٢- ملئت خزاناتها بالوقود

} بناء عميق

نلاحظ أن الجملتين (١ ، ٢) ثنائيتان البناء العميق وهما مستقلتان ، غير أن بينهما من عناصر الربط المعنوى واللغوى ما يمكن لهما الارتباط ، إذ كلتاها تعالج خبراً عن موضوع واحد هو (الطائرة) نسب إليها التجهيز وملء الخزانات ، بالإضافة إلى وجود عناصر الربط اللغوى المتمثل فى عود الضمير المستر فى الفعل (ملئت { هى }) على المسند إليه فى الجملة الأولى وكذلك الضمير المضاف إليه فى المسند إليه بالجملة الثانية (خزاناتها) .

وبتلك القرائن أمكن للواو أن تلعب دور الرابط المحول للجملتين (١ ، ٢) مع الوضع فى الاعتبار أن الأولى من النوع البسيط والثانية من النوع البسيط الموسع بالعبارة (بالوقود) وبهذا جاء الشكل السطحى المحول الجديد فى الشكل المركب الموسع الذى يجمع الجملتين فى جملة واحدة مع بقاء المعنى لمجمل الجملتين فى البناء العميق .

٢- الربط والتحويل مع الاختصار لأحد العناصر .

بناء سطحى ١ - «أمرت الركاب بأن يربطوا الأحزمة ويضعوا الكمامة على أنوفهم ويضغطوا الزر» .
ضوءاء الذاكرة / ٥

■

بناء عميق ١ - أمرت الركاب بأن يربطوا الأحزمة

٢ - أمرت الركاب بأن يضعوا الكمامة على أنوفهم

٣ - أمرت الركاب بأن يضغطوا الزر

جاء البناء العميق فى الجملة (١ ، ٢ ، ٣) متحدًا فى بعض العناصر المتمثلة فى المسند والمسند إليه والمسند عليه (المقعول به) من كل جملة (أمرت الركاب) وكذلك فى الوصل المفسر لمعنى الإسناد (بأن) ، ثم جاءت روابط المعنى فى اتحاد الأمر من المسند إليه مع تعدد الحدث المراد من المسند عليه ، ثم

تضافرت قرائن السياق الرابطة من الضمائر المسند إليها المتحدة فى الفعل (أمرت) ومن تكرار المسند عليه (الركاب) ومن ضمائر المسند إليه فى الأفعال (يربطوا - يضعوا - يضغطوا) والواو تعود من الأفعال على المسند عليه (المفعول) وكلها متحدة .

فلما كانت هذه العناصر الرابطة قامت الواو بدور الرابط المحول المختصر ، فاختصرت المسند والمسند إليه والمسند عليه من الجملة (٢ ، ٣) وكذلك رابطة الصلة المفصلة (بأن) من الجملتين (٢ ، ٣) وقامت الواو بدور دليل الاختصار مع التحويل إلى البناء السطحى فى الجملة الجديدة المركبة الموسعة التى جاءت فى المثال (أ) ، وهكذا تنسحب هذه الخصائص على كل أشكال ربط الجمل الأربعة السابقة بأنماطها الفرعية الموضحة قبلاً .

٤- فى ربط المفردات والعبارات ، قامت الواو بوظيفة المحول الدامج وذلك عند ربطها أساسيات الجمل كالعطف على المبتدأ أو العطف على الفاعل أو العطف على المفعول ، وبذلك تحول الواو بالدمج بين جملتين إلى جملة واحدة حذفية مركبة مثال ذلك

بناء سطحى ١ - كانت طريقة كلامها عفوية وتلقائية وصريحة لا غموض فيها
ولا التواء ٢ .
ضموضاء الذاكرة / ٥٥

=

١- كانت طريقة كلامها عفوية

٢- كانت طريقة كلامها تلقائية

٣- كانت طريقة كلامها صريحة لا غموض فيها ولا التواء

فى الجمل الأساسية الثلاثة (١ ، ٢ ، ٣) اتحد المسند إليه مع الفعل الوظيفى المساعد (كانت) بينما تعدد الإسناد إلى المسند إليه ، من هنا قامت الواو بدور الدامج المحول لهذه الجمل الثلاثة إلى جملة واحدة

فى البناء السطحى مع اختصار التكرار المتحد فتحولت الجملة إلى نط جديد من الحذفى المركب المعقد معاً وهو ما يظهر من المثال (١) وهكذا الحال لو أنها ربطت المسند إليه بغيره مع اتحاد الإسناد إليهما أو ربطت المسند عليه (المفعول) بغيره مع اتحاد إسناد الفعل عليهما كما وضح فى الأمثلة السابقة من البحث .

أما فى ربط الموسعات فإنها تقوم بالدمج المرتبط بعنصر واحد مختصر من أركان الموسعات المتعلقة بأحد عناصر الجملة الأساسية ويحدث ذلك فى النعت والإضافة والربط بالمجرور مثال ذلك .

(١) إنه الكلب المقصود والمرصود ضوضاء الذاكرة / ٧٥

=

١- إنه الكلب المقصود
٢- إنه الكلب المرصود } بناء عميق

فتعيد النعت المتعلقة بعنصر المسند (الكلب) فى الجملة الأساسية ، وعندئذ قامت الواو بدور الدمج للبناء العميق وتحويله إلى جملة بسيطة واحدة موسعة عن طريق ربط النعوت ببعضها .

وهو الأمر ذاته الذى يحدث عند ربط المجرور بالمجرور هكذا : -

(١) وهو ما زاد فى اضطرابها وتوترها ضوضاء الذاكرة / ٨٥

=

١- وهو ما زاد فى اضطرابها
٢- وهو ما زاد فى توترها } بناء عميق

وهنا قامت الواو بدور الدامج المختصر لواحد من العناصر يتمثل فى حرف الجر فقط مع بقاء وظيفتها فى تحويل الجملتين (١ ، ٢) إلى جملة واحدة موسعة كما يظهر فى الشكل (١) .

٥- استخدمت الواو رابطة للجملات المحضونة التى تقوم بينها وبين جملتها الحاضنة علاقات معنى وسياق وجاء ذلك فى جملات الحال بأنماطها المختلفة فيما عدا جملة الحال التى تبدأ بالفعل الناقص (المضارع) ، مما تمثل فى جملات النعت وهو شكل اختياري ، وتمثل فى جملات الاعتراض مع الإلزام فى الأشكال التى تأتى فيها جملة الاعتراض على شكل الشرط متحد الجزاء مع الجملة الحاضنة أو تام الجزاء ومع الجملات التى تبدأ بكاف التشبيه مع سابقة الاستدراك « كان » ومثال ذلك .

١- جملة الحال

(١) ونهضت وهى تغطى وجهها وقالت وهى تبسق عليه

ضوضاء الذاكرة / ١٥

=

١- نهضت
١-١ له هى تغطى وجهها

٢- قالت
٢-١ له هى تبسق عليه

نرى أن الجملتين الحاضنتين هما (١ ، ٢) بينما الجملتان (١ - ١ ، ٢ - ١) جاءتا فى إطار ارتباط بالمعنى بالجملة الرئيسية الحاضنة، ومع وجود رابط المعنى وقرائن السياق قامت الواو بالربط بين الجملة الرئيسية الحاضنة (١) والجملة الفرعية المحضونة (١-١) لتعلقها بأحد عناصر الجملة الحاضنة وهو ما

يسمى صاحب الحال المتمثل فى المسند إليه المستر فى الفعل (نهضت) وكذلك الأمر بين الجملة (٢) والجميلة (١-٢) .

٢- جميلة النعت

(١) ولح المخروط الغامض الملتهب والذي انكشف له تماماً

ضوضاء الذاكرة / ٥٤

=

١- لح المخروط الغامض
الملتهب
{ الذى انكشف له تماماً

فجميلة الصلة الواقعة نعتاً كان يمكن أن ترتبط بعناصر السياق بغير الواو ولكن استخدام الواو للربط كان وسيلة من وسائل توكيد الصفة .

٣- جميلة الاعتراض

(١) فى تلك الغرفة التى - ولابد - كانت مخصصة لمكتب فخم

ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

١- فى تلك الغرفة التى كانت مخصصة لمكتب فخم

٢- لابد (مخصصة لمكتب فخم)

وكان يمكن أن تأتى جميلة الاعتراض المؤكدة لمضمون الجملة بغير واو الربط ولكن الكاتب جاء بها لزيادة التوكيد والربط .

٦- أكثر وظائف الواو استخداماً فى النص الروائى هى الواو الرابطة للأفكار العامة بأنماط جملتها المختلفة وهى ما تسمى فى التراث واو الاستئناف ،

وهي لا تكون الا فى بدايات الفقر التى لها علاقات سياق ومعنى مع .
بعضها لرسم الصورة المتكاملة للفكرة الكلية .

غير أن الملاحظ أن استئناف الفقرات التى تبدأ بالجملة الفعلية سواء على مستوى الإنشاء أو الخبر أكثر من مثيلتها التى تبدأ بالجملة الاسمية وهذا يتعلق بالعلاقة بين التركيب والجنس الأدبى إذ الرواية تفرص على نقل الاحداث حية متحركة وليس تقرير الأمور فى الإسناد فى إطار الجملة الاسمية كما مثل .

٧- أكثر وظائف الواو الرابطة تتعلق بالأشكال وتكتسب الواو التنوع الدلالى من مضمون التركيب الداخلة عليه ، وليس لها دلالة متنوعة فى ذاتها ، من هنا يمكن القول إن علاقة دلالة الواو بنمط التركيب وعلاقات السياق علاقة طردية .

٨- الواو أكثر الروابط الحرفية المستخدمة على مستوى المادة عينة الدراسة ، حيث استخدمت للربط بأنماطه المختلفة (٣١٠) مرة بينما جاءت الفاء (٢٥) مرة ، و « ثم » (٩) مرات و « أم » مرة واحدة و « بل » مرة واحدة ، غير أن تقرير الحكم بشيوع هذا الرابط فى النشر الحديث أمر يحتاج إلى دراسات فى أعمال أخرى تؤكد الشيوع أو تخصص السمة الأسلوبية للكاتب ، وذلك على الرغم من أن الدراسات التراثية لاحظت شيوع هذا الرابط فى القرآن الكريم حيث استخدم أكثر من خمس وعشرين ألف مرة بنسبة تزيد عن ٨١ ٪ بالنسبة لباقي الروابط الحرفية .

هوامش البحث :

(١) حول أثر هذا النهج فى إعداد المعاجم التاريخية ينظر : أ.د/ حجازى محمود فهمى « البحث اللغوى » مكتبة غريب ، القاهرة سنة ١٩٩٣ ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) ألفت مجموعة كبيرة من الكتب تعالج حروف المعانى بشكل مستقل ، بل هناك بعض الكتب النحوية كـ « مغنى اللبيب » لابن هشام ٧٦١ هـ ؛ جعلت من الحروف معياراً للتبويب فى معالجة القضايا النحوية والدلالية ، ومن تلك الكتب التى عنيت بحروف المعانى ؛ ١ - كتاب «ثلاثة كتب فى الحروف» للخليل بن أحمد ١٧٠ هـ وابن السكيت والراى ، ٢ - كتاب «حروف المعانى» للزجاجى ٣٤٠ هـ ، ٣ - كتاب «معانى الحروف» للرمانى ٣٨٤ هـ ، ٤ - «الآرية فى علم الحروف» للمهروى . ٤١٥ هـ . ٥ - كتاب «الحروف» للمزنى (كان يعيش فى القرن الرابع فيما أرجح) . ٦ - كتاب «الجنى الدانى فى حروف المعانى» للمرادى ٧٤٩ هـ ويدخل ضمن هذه المجموعة كتاب «الصاحبى» لابن فارس ٣٩٥ ، «والعوامل المائة» لعبد القاهر الجرجانى ٤٧١ هـ ، و«الجمال» للخليل ابن أحمد ١٧٠ هـ .

وقد ذكرت كتب التراجم أسماء مجموعة كبيرة من الكتب ألفت فى الحروف ، حول ذلك ينظر :

١- ابن النديم ، الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٨ هـ ، ص ٥٤ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٨ .

٢- القفطى ، جمال الدين أبو الحسن على ، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ م - ١٩٧٣ م ، ج ٣٥ / ١ ، ١١٢ / ١ ، ٢٢٤ / ١ ، ٢٢٦ / ١ ،

٢٤٧/١ ، ٣١٤/١ ، ١٧٠/٢ ، ١٩٤/٢ ، ١٩٥/٢ ، ٢٧١/٢ ،
٥٩/٣ ، ٢٠٤/٣ ، ٢٠٨/٣ .

وقد حاول البعض القيام بإحصاء هذه الكتب حتى نهاية القرن الثامن الهجرى، فذكر منها تسعة وثلاثين كتابًا، حول ذلك ينظر:

المزنى، أبو الحسين المزنى، «الحروف» تح د. محمود حسنى محمود،
د. محمد حسن عواد، دار الفرقان للنشر، الأردن سنة ١٩٨٣ ط ١
ص ١١ - ١٤ .

(٤) هذا مذهب جمهور النحاة، ينظر على سبيل المثال: الرازى، الإمام
محمد، «تفسير الفخر الرازى»، دار الفكر بيروت سنة ١٩٨٥ ط ٣،
٤٦/١ .

وينص السيوطى على حد حرف المعنى عند النحاة بأنه «مادل على
معنى فى غيره نحو من وإلى وثم وكذلك سائر حروف
المعاني» ينظر: السيوطى، جلال الدين، «الاشباه والنظائر فى
النحو»، راجعه وقدم له د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى،
سنة ١٩٨٤، ط ١، ١٢ / ٢ .

(٥) ينظر: سيويه، الكتاب، تح. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٧، ١٢/١ .

(٦) البيت من شواهد النحو، وهو من بحر الوافر، وينسب لجريز، ينظر،
جريز، ديوان جريز، دار صادر، بيروت سنة ١٩٦٤، ص ٥١٢ .

(٧) الجرجاني: عبد القاهر، «العوامل المائة النحوية فى أصول علم العربية»،
شرح الشيخ خالد الأزهري تح د. البدرأوى زهران، دار المعارف،
القاهرة سنة ١٩٨٣، ط ١ ص ١٥٩ .

(٨) حود ذلك ينظر : السيوطى ، الاشياء والنظائر فى النحو ، تحت عنوان «
الحروف غير العاملة » ٢٠ / ٢ .

(٩) حول ذلك ينظر : ١ - المرادى : الحسن بن قاسم ، «الجنى الدانى فى حروف
المعانى» ، تح د . فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، المكتبة العربية
بـحلب سنة ١٩٧٣ ط ١ ص ١٥٥ . ٢ - السليلى ، «شفاء العليل فى
شرح التسهيل» ، تح . الشريف عبد الله ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة
سنة ١٩٨٦ ، ط ١ ج ١ / ٤٨٩ .

(١٠) ينظر : ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين ، ١ - مغنى اللبيب ،
تح محمد محبى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة
١٩٩٢ ، ج ٢ / ٥٤٥ وما بعدها .

٢ - شرح شذور الذهب لابن هشام ، ومعه كتاب منتهى الأرب ، بتحقيق
شرح شذور الذهب تأليف محمد محبى الدين عبد الحميد ، . . ت .
ص ٨٦ فى الحديث عن العطف على اسم « لا » مع التكرار .

(١١) المرجع السابق ٢ / ٤٧٢ وما بعدها .

(١٢) ينظر : ابن هشام ، «مغنى اللبيب» ص ٣٠٠ ، ص ٣٥١ وما بعدها .

(١٣) المرجع السابق ص ٣١٧ وما بعدها .

(١٤) ينظر على سبيل المثال تلك القضايا المتفرقة فى كتاب «الاشياء والنظائر
التي ترد فى أنماط الواو مثل : باب الوقف الوصل ١ / ٣٦٥ ، باب العطف
٢ / ٢٩٣ - ٢٩٥ ، مسألة المعطوف على المتناذى ٢ / ٢٩٧ ، الفرق بين
حتى العاطفة والواو ٢ / ٢٦٠ ، ما افرقت فيه الفاء والواو اللتان ينصب
المضارع بعدهما ٢ / ٢٦٥ ، الفرق بين واو المفعول معه وواو المعطف
٢ / ٢٢٩ ، ما افرق فيه الحال والمفعول ٢ / ٢٣٢ ، الفرق بين الجملة

الحالية والمعتضة ٢/ ٢٣٤ ، ما افرقت فيه الصفة والحال ٢/ ٢٥٧ ،
انفراد الواو عن أخواتها بأحكام ٢/ ١١٨ ، إلا والواو التي بمعنى مع
نظيرتان ٢/ ٩٩ .

(١٥) ينظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، « الصاحبي » تح . السيد أحمد
صقر ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي . ٥ . ت ، ص ١٥٥-١٥٨ .

(١٦) له كتاب في الحروف حقق في الأردن ، حققه د . محمود حسني محمود ،
والدكتور محمد حسن عواد ، لكن المحققين لم يستطيعا الوقوف على تاريخ
الوفاة للمؤلف ، وأرجع أن يكون المؤلف من أبناء القرن الرابع الهجري ،
حيث إن هذه الفترة شهدت ازدهار التأليف في التخصصات الدقيقة والتي
كان يحاول فيها البعض أن يخرج بنهج لم يسبقه إليه السلف .

بالإضافة إلى أن معظم كتب حروف المعاني كانت في هذه الفترة ، كما أن
معظم الذين احتج برأيهم المؤلف يعودون إلى فترة أسبق من نهاية الرابع
الهجري .

(١٧) ينظر : المزني ، « الحروف » ص ٩٨ - ١١٦ .

(١٨) حول دور الواو في الاختصار ، وسدها سد العامل ، ينظر : السهيلي
، نتائج الفكر في النحو ، تح . محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ،
مكة سنة ١٩٨٤ ص ٢٣٨ ، ص ٢٤٩ .

(١٩) يخالف بعض النحاة ذلك المذهب ، ويذهب « المرادي » إلى أنها تفيد
الترتيب في السياق الذي يستحيل فيه الجمع ، حول ذلك ينظر :
« المرادي » الجمن الدانسي ص ١٥٨ ، وينظر كذلك مذهب السهيلي عن
عدم إفادتها الترتيب أو التعقيب « نتائج الفكر في النحو » ص ٢٦٦ -
٢٧٥ .

(٢٠) حول ما ذكر عن الأشكال غير الجائزة فى واو العطف ينظر : « المزنى » ص ٩٩ ، والجدير بالذكر أن المزنى ذكر من الأشكال الجائزة لها أربعة فقط ، وذلك ليس بحصر .

(٢١) حول ذلك ينظر : ١- ابن عصفور ، شرح جمل الزجاجى ، تح ، صاحب أبو جناح ، ع . ت .

٢ - الأستراباذى ، رضى الدين محمد «شرح الكافية» ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان سنة ١٩٨٢ ط ٢ ج ٢ / ٣٣٤ .

(٢٢) للنحاة كلام كثير فيما يتعلق بجملة الحال ، ولكننا لنا بصدد ذلك الآن ، ويمكن الرجوع إلى أى كتاب فى النحو للنظر فيما ذكر من أنماط للحال والوظائف الأربعة العامة التى ذكرت له ، حول ذلك ينظر : ابن هشام ، « شرح شذور الذهب » ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٢٣) صاحب الحال لابد أن يكون فى إطار جملة تامة التركيب من حيث عناصرها النحوية .

(٢٤) هذا الرمز Ø يعنى حذف الواو على تقدير وجودها ، من ناحية أخرى أرغم أن اصطلاح « جملة » على ما يقع بعد الواو من تراكيب لها علاقة بأحد عناصر الجملة السابقة - يناسب البحث اللغوى للفرق بين الجملة التى لا تقع فى إطار إعرابى وما يقع فى إطار إعرابى بالإضافة إلى الفرق بين التركيب الذى يعطى معنى أولياً ، وذلك الواقع فى إطار تركيب آخر للقيام بدور فى بعض المعنى .

(٢٥) حول ذلك ينظر : المزنى « الحروف » ص ١٠٣ .

(٢٦) سورة الشعراء آية ٢٠٨ .

(٢٧) سورة الحجر: آية ٤ .

(٢٨) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢ / ٤٢٠ .

(٢٩) سورة البقرة من آية ٨٥ .

(٣٠) ينظر : الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد « معانى القرآن » ، تح . أحمد يوسف ومحمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ج ١ / ٥١ .

(٣١) ينظر : المزني « الحروف » ص ١٠٤ .

(٣٢) مذهب أهل البصرة أن الواو للمطف وجواب القسم محذوف مقدر ، حول ذلك ينظر : الأنباري ، كمال الدين أبو البركات « الإنصاف في مسائل الخلاف » دار الفكر للطباعة والنشر ، ط . ١ ، ت . ٢ / ٤٥٩ .

(٣٣) سورة محمد آية ٢٠ .

(٣٤) للنحاة كلام كثير في تخريج الآية ، حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » تح د . عبد الفتاح شلبي ، مراجعة على النجدي ناصف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٢ ، ج ٣ / ٦٢ .

(٣٥) سورة الاعراف من الآية ٤ .

(٣٦) سورة الأحزاب آية ٥٠ .

(٣٧) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » تح . محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ج ٢ / ٣٤٥ .

(٣٨) سورة الرعد آية ١ .

(٣٩) سورة هود من آية ٢٤ .

(٤٠) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٧/٢ .

(٤١) سورة آل عمران من آية ١٣٥ .

(٤٢) حول ذلك ينظر : النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد « إعراب القرآن » ، تح . د/ رهير غارى زاهد ، مطبعة المعانى ، بغداد ، سنة ١٩٧٧ ، ٣٦٥/١ .

(٤٣) سورة البقرة آية ٧ .

(٤٤) حول قراءة الآية ينظر : الفارسى ، أبو على الفارسى « الحسجة فى القراءات السبع » تح . على النجدى ناصف ، عبد الحلیم النجار ، عبد الفتاح شلبى ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ج ١/٢١٧ .

(٤٥) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١٠٩ .

(٤٦) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢ / ٤١٦ .

(٤٧) حول واو المفعول معه ينظر : سيويه « الكتاب » ١/٢٩٧ ، ٣٠٧/١ .

(٤٨) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١١٠ .

(٤٩) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٥٠) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٥١) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/٤١٧ .

(٥٢) حول هذه المسألة ينظر : المرجع السابق ٢/٤١٧ .

(٥٣) ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٢/٥٠ .

(٥٤) سورة يوسف آية ٧٠ .

(٥٥) سورة الإنسان آية ٣١ .

- (٥٦) حول هذه المسألة ينظر : النحاس « إعراب القرآن » ٥٨٦/٢ .
- (٥٧) سورة الشعراء آية ٢٢٤ .
- (٥٨) حول ذلك ينظر : المزنّى « الحروف » ص ١١١ .
- (٥٩) حول ذلك ينظر : المرجع السابق ص ١١٢ .
- (٦٠) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٤١٧/٢ .
- (٦١) حول ذلك ينظر : الأنبارى « الإنصاف » المسألة الخامسة والخمسون ٣٧٦/١ وما بعدها .
- (٦٢) حول هذه الواو ينظر : المزنّى « الحروف » ص ١١٣ .
- (٦٣) حول هذه الواو ينظر : المرجع السابق ص ١١٤ .
- (٦٤) ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٤١٥/٢ ، ٤١٦ .
- (٦٥) ينظر : المزنّى « الحروف » ص ١١٤ .
- (٦٦) سورة العنكبوت آية ١٢ .
- (٦٧) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٣١٤/٢ .
- (٦٨) مطلع المعلقة « قفا نبك من ذكرى حبيب ومتزل
- بسقط اللوى بين الدخول وحومل »
- إذ اختلاف على العطف بالواو على المضاف إلى « بين » .
- (٦٩) سورة الأنعام آية ٧٥ .
- (٧٠) حول هذه المسألة ينظر : النحاس « إعراب القرآن » ٥٥٨/١ .
- (٧١) حول هذه المسألة ينظر : سيبويه « الكتاب » ٩٥/١ .

(٧٢) حول هذه المسألة ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/ ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٧٣) حول أقسام الواو ينظر المرجع السابق ٢/ ٤٠٨ - ٤٢٥ .

(٧٤) ينظر على سبيل المثال تعقيب الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج، عن ((ولا)) التى قيل إنها رائدة وليست كذلك)) مجمع اللغة العربية ، البحوث والمحاضرات ، الجلسة الثالثة بالدورة الثالثة والثلاثين سنة ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ص ٣٧ .

وكذلك بحث الأستاذ محمد تقى الحكيم عن « المعنى الحرفى فى اللغة بين النحو والفلسفة والأصول » ، المرجع السابق ص ٢٨١ - ٣٠٠ .

وينظر كذلك بحث د/ الشيخ عبد الرحمن تاج بالدورة الرابعة والثلاثين عن « الواو التى قيل عنها إنها رائدة وليست كذلك » .

(٧٥) ينظر: الشاذلى: أبو السعود حسنين، «الواو المفردة فى اللغة العربية أنماطها وأحكامها»، دار مهنى وصقر، سنة ١٩٩٠ ، ط ١ .

(٧٦) حول ذلك ينظر : عيسى شحاته « معانى الواو فى الجملة العربية مع التطبيق على القرآن الكريم » رسالة ماجستير، بكلية الآداب جامعة المنيا ، بإشراف د. صابر بكر سنة ١٩٨٧ .

(٧٧) ينظر: سالم، وجيه رجب عبد الرحمن، «العطف فى القرآن الكريم» رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر (رقم ١٩١٢).

وينظر كذلك: المسعودى: فوزى «التوابع أصولها وأحكامها» القاهرة سنة ١٩٨٤ ، ص ٣٧ وما بعدها عن العطف .

وينظر : زهران : البدراوى زهران « ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين »، مطابع الطوبجى التجارية، القاهرة، سنة ١٩٩٦ ، ط ٣ ، ص ٣٣٥ عن الواو العاطفة .

(٧٨) حول هذا ينظر : قدورى : غانم قدورى ، « رسم المصحف ، دراسة لغوية » كلية الشريعة - بغداد سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٨٤

(٧٩) حول ذلك ينظر : حنين ونائلى : أحمد طاهر حنين وناريمان نائلى ، « أدوات الربط فى العربية المعاصرة » قسم الدراسات العربية - الجامعة الأمريكية - أغسطس سنة ١٩٨١ .

(٨٠) حول دور الرابط فى اللغة الإنجليزية ينظر مثلاً :

1- A . J. Thomson, A. V. Martinet, A practical English Grammar
Oxford University Press, Eighth impression 1989, p. 288 : 293.

وينظر كذلك مناقشات W. Frawley لكل من Siegels, Balinger and Seiler
حول الموسعات بالعطف أو بغير العطف فى التركيب اللغوى بشكل عام
"Extensional, intensional and the order of Modifiers" مطبوعاً على لغات
مختلفة ، ينظر :

Willim Frawley, Linguistic Semantics:

Lawrence Erlbaum Associates, Publishers Hillsdale, New Jersey
1990, P. 487 : 494.

وينظر كذلك مناقشات Frank Palmer حول بعض مفاهيم النحو
التقليدى "Some Traditional Concepts" .

بخصوص عناصر الجملة وموسعاتها والروابط ، ينظر :

Palmer, Frank, Grammar, Made and Printed in Great Britain by
Hazell Watgon, 1973, p. 40 : 106.

(٨١) حول هذا التقسيم ينظر : Palmer, (1973), P. 57 : 70 .

(٨٢) وردت السفاء (٢٥) مرة ، و «ثم» (٩) مرات ، و «أو» (٩) مرات ، و «أم» مرة واحدة ، و «بل» مرة واحدة .

(٨٣) X ، هذه العلامة تعنى أن التركيب غير صحيح نحويًا Ungrammatical .

(٨٤) من الملاحظ أنه لم يأت ربط جملة الامر خلال المادة مطلقًا ، كذلك كانت الجملة المتصدرة بالفعل التام أكثر ، وأزعم أن الغرض من ذلك هو محاولة تكثيف الأحداث التي مرت عبر الأفكار التراكمية .

(٨٥) حول تقسيم الأفعال إلى وظيفة وشبه وظيفة وتام وناقص ... إلخ هذه المصطلحات ينظر : عبد الرحمن : محمد الرحمن ، «التعبير عن الزمن» رسالة دكتوراه، بكلية الدراسات العربية جامعة المنيا، إشراف أ.د/ محمود فهمى حجازى وأ.د. / M. Woidich سنة ١٩٩٥ .

(٨٦) تعد «لولا أن» من الروابط ، لكنها ليست هدف البحث .

(٨٧) Ø هذه العلامة تعنى أنه مستتر .

(٨٨) هذا الفعل مقدر لوظيفة الاختصار والإدماج بالواو فى البناء السطحي .

(٨٩) حول هذه التعبيرات ينظر : عبد الرحمن «التعبير عن الزمن» .

(٩٠) من الملاحظ أن من عناصر الربط التركيبى أن المسند إليه تحول فى الجملتين (٢ ، ٣) إلى عبارة إسناد بالتبادل ، وهذا يمثل ربطا فى الجملة السطحية المحولة .

(٩١) ← هذا السهم إشارة إلى باقى الجملة .

(٩٢) هذه الجملة يمكن أن تحمل أيضًا على الحال .

(٩٣) هذه العلامة تعنى الجزء المحذوف من التركيب السطحي المفهوم من خلال سياق التراكم السابقة .

(٩٤)  هذه العلامة تشير إلى العنصر المرتبطة به الجميلات أو ما يسمى صاحب الحال .

(٩٥) جاء في ص ٥٤ من الرواية « ولح المخروط الغامض الملتهب والذي انكشف له تمامًا » ينظر : البطران : حمدي البطران « ضوضاء الذاكرة الحرساء » (رواية) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ١٩٩٤ .

(٩٦)  هذه العلامة تعني القلع والاعتراض .

(٩٧) هذا الرمز يعنى باقى سلسلة التركيب .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- البطران : حمدى البطران :

ضوضاء الذاكرة الخرساء (رواية) الهيئة العامة لقصور الثقافة وزارة الثقافة
، القاهرة سنة ١٩٩٤ .

ثانياً : المراجع :

١- المراجع العربية :

* الأستراباذى : رضى الدين محمد :

شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٢ ، ط ٢ :

* الأنبارى : جمال الدين أبو البركات :

الإنصاف فى مسائل الخلاف . دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ .

* الجرجانى : عبد القاهر :

العوامل المائة النحوية فى أصول علم العربية ، شرح الشيخ خالد

الأزهري تح . د. البدرأوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ،

ط ١

* جرير :

ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦٤ .

* حجازى : أ.د. محمود فهمى :

البحث اللغوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، سنة ١٩٩٣ .

* حسنين وناثلى : أحمد طاهر حسنين ، ناريمان ناثلى :

أدوات الربط فى العربية المعاصرة ، قسم الدراسات العربية ، الجامعة
الأمريكية ، القاهرة سنة ١٩٨١ .

* الرازى : الإمام محمد :

تفسير السفخر الرازى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٥ ، ط ٣ ،
ج ١ .

* زهران : أ. د/ البدرأوى زهران :

ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين ، مطابع
الطوبجى التجارية ، القاهرة سنة ١٩٩٦ ، ط ٣ .

* سالم : وجيه رجب عبد الرحمن :

العطف فى القرآن الكريم ، رسالة ماجستير كلية اللغة العربية جامعة
الأزهر ، القاهرة .

* السليلى :

شفاء العليل فى شرح التسهيل ، تح ، الشريف عبد الله ، مكتبة الفيصلة
، مكة المكرمة ، سنة ١٩٨٦ ط ١ .

* السهلى : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله :

نتائج الفكر فى النحو ، تح . محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، مكة
، سنة ١٩٨٤ .

* سيويوه : أبو عمرو :

الكتاب ، تح . عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة
، سنة ١٩٧٧ ج ١ .

* السيوطى : جلال الدين :

الأشباه والنظائر فى النحو، راجعه وقدم له د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى، لبنان، سنة ١٩٨٤ ط ١ .

* الشاذلى : أبو السمود حسنين :

الواو المفردة فى اللغة العربية ، أنماطها وأحكامها ، دار مهنى وصقر القاهرة ، سنة ١٩٩٠ ، ط ١ .

* عبد الرحمن : محمد عبد الرحمن :

التعبير عن الزمن فى روايات نجيب محفوظ دراسة تركيبية ودلالية رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا ، إشراف أ.د/ محمود فهيم حجارى أ. د. M. Woidich ، سنة ١٩٩٥ .

* ابن عصفور :

شرح جمل الزجاجى، تح. صاحب أبو جناح، د. ت.

* عيسى : عيسى شحاته :

معانى الواو فى الجملة العربية مع التطبيق على القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة المنيا ، إشراف ، د/ صابر بكره سنة ١٩٨٧ .

* ابن فارس : أبو الحسن أحمد :

الصاحبى ، تح . السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، د . ت .

* الفارسى : أبو على :

الحجة فى القراءات السبع ، تح . على النجدى ناصف ، عبد الحلیم النجار ، عبد الفتاح شلبى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ج ١ .

* الفراء : أبو وكريا يحيى بن زياد :

معانى القرآن ، تح . أحمد يوسف ، محمد على النجار ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ج ١ ، والجزء الثانى ، تح.محمد
على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، والجزء الثالث
، تح . عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة . على النجدى ناصف ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢ .

* قدورى : غاتم قدورى :

رسم المصحف دراسة لغوية ، كلية الشريعة ، بغداد ، سنة ١٩٨٢ .

* القفطلى : جمال الدين أبو الحسن على :

إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٠ - ١٩٧٣ ، ج ١ ، ٢ ، ٣ .

* مجمع اللغة العربية :

البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، القاهرة
، سنة ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ .

* المرادى : الحسن بن قاسم :

الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تح . فخر الدين قباوة ، محمد نديم
قاسم المكتبة العربية بحلب ، سنة ١٩٧٣ ، ط ١ .

* المزنى : أبو الحسين المزنى :

الحروف ، تح . محمود حسنى محمود ، محمد حسن عواد ، دار
الفرقان للنشر ، عمان ، الأردن ، سنة ١٩٨٣ ، ط ١ .

* مسعود : فوزى :

التوايع أصولها وأحكامها ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤ .

* النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد :

إعراب القرآن ، تح . زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ، بغداد سنة ١٩٧٧ ، ج ١ .

* ابن النديم :

الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، سنة ١٣٨٤ هـ .

* ابن هشام : أبو محمد عبد الله جمال الدين :

١- مفنى اللبيب ، تح . محمد محبى الدين عبد الحميد ، المكتبة
العصرية ، بيروت سنة ١٩٩٢ ، ج ٢

٢- شرح شذور الذهب ، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور
الذهب ، تأليف ، محمد محبى الدين عبد الحميد ، د . ت .

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

* - A . J . Thomson, A. V. Martinet, A practical English Grammar
Oxford University Press Eighth impression 1989.

* - Palmer, Frank, Grammar, Made and Printed in Great Britain by
Hazell Watgon, 1973.

* - Willim Frawley, Linguistic Semantics: Lawrence Erlbaum Associates,
Publishers Hillsdale, New Jersey, 1990.

أداة العطف

«بل و» فى العربية

بقلم : عباس السوسنة

تهدف هذه الدراسة إلى التاريخ لهذه الأداة فى العربية المكتوبة منذ أقدم نص وردت فيه حتى أيامنا هذه .

لم نعلم ورود أداة العطف المركبة «بل و» فى الشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث الشريف واللغة التى يحتج بها حتى العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى .

«بل» وحدها من حروف العطف، وذكر النحاة واللغويون أن وظائفها^(١) :

أ- الاستدراك .

ب- الإضراب عما قبلها ، وإثبات الحكم لما بعدها .

ج- الاستئناف .

د- وتأتى للتدرج والزيادة إذا تكرر ورودها فى التركيب . وانفرد ابن فارس

الرازى بأنها تأتى بمعنى «إن» كما فى قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذى

الذكر ، بل الذى كفروا فى عزة وشقاق ﴾^(٢) .

ومن الطبع أن النحاة منذ القرن الثانى حتى الخامس عشر لم يعرضوا

لمصاحبة «بل» للواو بعدها ، لأنها لم ترد فى عربية عصر الاحتجاج . ولذلك

كان من الغريب أن لا تظهر هذه الأداة المركبة «بل + و» فى دراسة حديثة نسيًا . فقد قام محمد على الخولى بدراسة التراكيب الشائعة فى اللغة العربية ، واستخراج مادة التحليل من الصحف الصادرة فى الفترة (٧٢م - ١٩٨٢م) ، ومن النشر والشعر^(٦) . وجاءت «بل» فى المرتبة الأخيرة بين حروف العطف^(٧) ، لكن الباحث لم يذكر مطلقاً اقترانها بالواو من عدمه . ومن المستحيل أن تخفى هذه الأداة المركبة فى الفترة موضوع دراسة الباحث . وربما كان السبب عائداً إلى أن تركيزه على الإحصاء المجرى - الذى قد يساعده فيه آخرون - جعله يفصل بينهما ، وينظر إليهما على أنهما أداتان مختلفتان وإن تصاحبتا فى بعض الجمل .

وشيوخ هذه الأداة المركبة واضح لكل ذى لب وعينين ، فالقارىء يجدها فى كل مواد الصحيفة أو المجلة التى يقرأها ، أيًا كان مكان صدورها ، أو اتجاهها ، أو مستواها ، أو تخصصها ، وفى الصحيفة اليومية - مثلاً - يجدها متناثرة فى الافتتاحية ، والتعليق بجميع أنواعه ، والتحقيق الصحفى ، والتقارير ، والأعمدة الثابتة ، والمقال بجميع أنواعه ، ولا يخلو منها إلا الخبر فقط . وفى غير الصحف هى موجودة فى جميع التأليف^(٨) ، إذ يندر من الكتاب من لا يستخدمها . بل لعل لا أبالغ إن قلت : إن عدم استعمالها يمكن أن نعه ظاهراً أسلوبية .

ولعل المعجم الوسيط أول من لفت نظره هذه الظاهرة ، جاء فيه «وفى لغة المحدثين تكثر زيادة الواو بعد بل ، ويقولون : فلان يخطئ بل ويصير على الخطأ ، وهو يرضى بل ويبالغ فى الرضا . وهو أسلوب محدث»^(٩) ونحن نوافق على مسألة الكثرة فى لغة المحدثين ، أما وصف ذلك بالأسلوب المحدث فغير صحيح .

ويقرب من هذا أن أستاذنا كمال محمد بشر عرض لهذه الظاهرة ضمن

الاتجاهات الجديدة فى اللغة العربية لوقوع الأدوات فى غير مواقعها^(٧) .
وتابعه فى ذلك تلميذه محمد حسن عبد العزيز ، فهى عنده ظاهرة جديدة من
ظواهر المصاحبة فى لغة الصحافة^(٨) وفى موضع آخر يتناول بعض
اشكالاتها فيقول إن من الظواهر المؤثرة فى نظام الجملة فى لغة الصحافة أداة
العطف المركبة : (ليس ... فقط ، بل و ...) وهى ترجمة
لإحدى أدوات العطف فى اللغة الإنكليزية التى يطلق عليها :
(Correlative Conjunction)^(٩) .

ونحن نقول إن النمط الذى فيه «بل» رابطة بين تركيب سابق فيه نفي
وتركيب آخر يوجد ما يشبهه فى الإنكليزية^(١٠) ، لكن ذلك لايعنى أن العرب
المعاصرين استعاروه عن طريق الترجمة ، فستجد من الشواهد التى سنأتى بها
مايقابله تماماً .

وباحث آخر يقول عن حق : إن هذه المصاحبة (بل + و) ليست محدثة ،
بل هى قديمة^(١١) ، لكنه يجعل الطبيب الفيلسوف ابن سينا (ت ٢٤٨هـ) أول
مستخدميها فى العربية^(١٢) . وفى قوله نظر .

ومن المهم أن ننبه هنا إلى أن هذه الأداة الجديدة تحمل معنى مركباً هو
الإضافة مع الاستدراك . ويغلب عليها أن تعطف تركيباً على تركيب ، وقليلاً
ما تعطف مفرداً على مفرد . ومن ذلك فى لغة الصحافة :

١- «من حق ساكن البيت الأبيض أن يتجاهل حقنا بل ويتجاهلنا أيضاً» معنى
هذه الجملة :

أ- من حقه تجاهل حقنا .

ب- هذا التجاهل لا يكتفى .

ج) من حقه أن يزيد فيتجاهلنا نحن .

٢- «نجد المشكلة قائمة بل وتشكل هدراً للإمكانات» المعنى :

أ- المشكلة قائمة .

ب- المشكلة زيادة على ذلك تهللر الإمكانيات .

٣- «كل هذه المذاهب لاتفنعنى من التمرغ فى الملهذات ، فلماذأ أأأار الإسلام

الذى يأرمى من كل هذا بل ويعاقبنى على هذا المعنى :

أ- كآير من المذاهب لاتفنعنى من التمرغ فى الملهذات .

ب- الإسلام يأرمى من الملهذات .

ج- الإسلام يزد على الأرمأن العقاب .

والذى نعلمه يقيناً أن أبا نواس (ت ح ١٩٥ هـ) هو أول من اسأأأم هذا

الأكرب ، جاء فى ديوانه :

ما أأأى فيما أنبأ ، وما أقولى لربى ، بل و ما عأرى

الأ أكون قصأ رشأى أو أقبلأ ما اسأأأرأ من عمرى ^(١٣)

أم نأأه عأأ ابن الرومى (ت ٢٨٣ هـ) فى قصيدة طويلة يهأو فيها اللبألى

والأيام :

للأأأ من عأأوا منا ومَن أأأنا لا ، بل و من أركأه أأر مأأون ^(١٤)

وفى القرن الرابع عأأ أبى بكر الرازى (ت ح ٣١٣ هـ) : «ولأن أأن

الأأل فى إأابة اللأأ والشهواأ لأكونن من له الطأاع المأهىء لذلك أأأل

من لبس له ذلك ، فإن أأن كذلك فالأأران والأأمر أأأل من الناس لا بل و

الأأوان أأر المائأ كله» ^(١٥) .

أم نأأه فى مؤأف للأأأأى عأأ الأأار الهأأانى (ت ٤١٥ هـ) ، أأه فى

أواخر القرن الرابع ، قال : «إن القرآن لا يختص بذكر القصص دون ما سواها ، بل كان مشتملاً على كثير من أنواع الكلام . فلو كانت المعارضة ممكنة لهم لآتوا بسائر أنواع الكلام وجعلوها معارضة للقرآن ، ولم يأخذهم فى الأول باعتقاد تلك الأقاصيص وأنها كانت كما ذكر ، بل ورضى من جهةهم بأن يضعوا من عندهم قصصاً ، ويكسوها من العبارات الجيدة العظيمة الجزلة ما يقارب القرآن ، فى الفصاحة ويدانيه ، وليلتبس الحال فيه ، فلا معنى لما ذكرتموه» (١٦) .

ونجد هذه الظاهرة فى مؤلفات الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) ، فنحن نجدها فى كتاباته الفلسفية ، ومنها : «وليس المقابل بالنقيض فقط ، بل و بالضد» (١٧) . كما نجدها فى كتاباته الطبية ، فمن ذلك حديثه عن تشريح الشريانيين السبائين فى الرقبة : «وأما الأكبر فيدخل قدام هذا الثقب فى الثقب الذى فى العظم الحجرى إلى الشبكة ، بل و تتسج عنه الشبكة عروقاً فى عروق وطبقات فى طبقات من غضون على غضون» (١٨) وفى حديثه عن الرمّد : «وكثيراً ما يعرض للصبيان بسبب كثرة موادهم وضعف أعينهم ، وليس يكون عن مادة حارة فقط بل و عن البلغمية والسوداوية» (١٩) .

وفى حديثه عن حمى الخمس والسُّدس : «ما رأيت فى عمرى منه شيئاً ، بل و لا رأيت خمساً جلياً قوياً» (٢٠) .

كذلك نجد الظاهرة عند الفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) : «وهذا امر بينّ بنفسه ، وليس فى الصنائع العملية فقط ، وبلى وفى العملية» (٢١) .

ونجدها عند عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) ، يتحدث عن كتاب

منافقين «يوهمونه أنه أكتب من القاضى الفاضل بل ومن ابن العميد والصائى» (٢٢) .

كما نجدها عند الأصولى سيف الدين الأمدى (ت ٦٣١ هـ) : «والصوم فى اللغة عبارة عن مطلق إمساك ، وفى الشرع عبارة عن إمساك مخصوص ، بل وقد يطلق الصوم فى الشرع فى حالة لا إمساك فيها كحالة الناسى أكلاً» (٢٣) .

ونجدها فى حديثه عن الأنبياء : «لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره» (٢٤) .

ونجدها فى حاشية ابن المنير (ت ٦٨٣ هـ) على الكشف فى حديثه عن مصارف الزكاة : «فإن قلت : لم عدل عن اللام إلى (فى) الأربعة الأخيرة ؟ ... لأن الأصناف الأربعة الأوائل ملأكم لما عساه يُدفع إليهم وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم ، بل ولا يصرف إليهم» (٢٥) .

كما نجدها عند بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٢ هـ) متحدثاً عن آداب الطالب : «أن يلزم حلقة شيخه فى التدريس والإقراء بل وجميع مجالسه إذا أمكن» (٢٦) .

ونجد الظاهرة عند الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) : فهو يقول عن معاصره شرف الدين الحنفى : «وكان يحب الأدب ، ولم يكن له فيه يد بل ولا ذوق» (٢٧) .

ونجدها عند ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : «والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولى العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه» (٢٨) .

ونجدها عند الشاعر المتصوف عبد الرحيم البرعى (ت ٨٠٣ هـ) :

فلا قرّ قلبى بلّ و لا كفّ مدمعى ولا لذّ لى عيشى وشربى ومرقدى
وفى بيت رغم اخوتى واحبتى مقيمون فى ليل من الهمّ سمردى^(٢٩)

كما نجدها فى تاريخ ابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ) ، عند سرده حوادث سنة
٦٩٣ هـ ؛ فقد نقل كلام الشيخ محبى الدين بن عبد الظاهر عن الملك
الأشرف : «فما علّم على مكتوب قط إلّا وقراه جميعه وفهم أصوله المكتوبة
وفروعه ، لا بلّ و استدرك علىّ وعلى الكتاب»^(٣٠) .

وهذه الظاهرة كثير فى كتابات ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) . ومنها :
«ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه ، فى
اتخاذها وأشكالها ؛ بلّ و فى سائر أحواله»^(٣١) .

ونجدها عند بدر الدين الدمامينى (ت ٨٢٧ هـ) فيما نقله البغدادى عنه :
«وتدوين الأحاديث والأخبار بلّ و كثير من المرويات ، وقع فى الصدر الأول
قبل فساد اللغة العربية»^(٣٢) .

ونجدها عند عالم القراءات ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) : «فقرأة خلّف
لاتخرج عن قراءة أحد منهم ، بلّ و لاعن قراءة الكوفيين فى حرف ، فكيف
يقول أحد بعدم تواترها»^(٣٣) .

ثم جاءت عند العبدى الشيبى (ت ٨٣٧ هـ) : «لكن الزمخشري ختم
هذه الحكاية ببيت من الشعر انفرد به هو عن الميدانى ، ونعمّ ما فعل الميدانى
من عدم ذكره له ، فإنه لافائدة فى الإتيان به عقب هذه الحكاية ، لأنه ليس له
تعلق بها ، بلّ و كلامه يوهّم أيضاً أنه من نظم حاتم»^(٣٤) .

كما نجدها عند ابن المرتضى اليمانى (ت ٨٤٠ هـ) : «على أن مخالفة
العقل إذا تجرد من السمع ليست بكفر ولا فسق ؛ وإن كان فيها مخالفة ضرورة

العقل ؛ فإن من اعتقد فى حنظلة مرة أنها حلوة يكون قد خالف ضرورة العقل ولا يكفر بل ولا يُفسَّق» (٣٥) .

كذلك نجدها فى كتابات المقرئى (ت ٨٤٥ هـ) : «ولم يمز مع هذا وجود السكر ، بل ولا غلا سعه» (٣٦) .

ثم نجدها فى كتابات الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) : «ولم يبق فى القاهرة من يروى عن أحد من مشايخه لا بالسمع ولا بالإجازة ، بل ولا فى الدنيا من يروى عن سَمِيت من مشايخه المذكورين» (٣٧) .

ونجد الظاهرة شائعة فى تاريخ ابن تغرى بردى (ت ٨٧٥ هـ) ، فمنها ما ورد فى أثناء حديثه عن فضائل السلطان الظاهر جقمق : «فإننا لانعلم أحداً من ملوك الترك ررق ولدأ مثله بل ولا يقاربه ولا يشابهه مما كان اشتمل عليه من العلم والفضل والمعرفة التامة» (٣٨) . ومنها ما جاء فى حديثه عن محمد بن الظاهر جقمق : «.. حتى صار معدوداً من العلماء ، ولا نعلم أحداً من أبناء جنسه من ابن أمير ولا سلطان وصل إلى هذه المرتبة غيره قديماً ولا حديثاً . بل ولا فى الدولة التركية قاطبة من المشاهير أولاد الملوك» (٣٩) .

ونجدها عند المتفلسف علاء الدين الطوسى (ت ٨٨٧ هـ) ينقل عن شرح المواقف للشريف الجرجانى : «فإذا نظر إلى ذاته من حيث هو ، لم يمنع من اتصافه بالوجود فى شىء منها ، بل جار اتصافه به فى كل منها لا بدلاً فقط ، بل ومعاً أيضاً» (٤٠) والملاحظ أن هذه الفقرة تشبه التركيب المزعوم أنه مترجم عن الإنكليزية فافهمه .

ثم نجدها فى تاريخ الصيرفى (ت ٩٠٠ هـ) : «فى حوادث عام ٧٨٥ هـ يقول عن السلطان : «ولا يمكن أحداً من الممالك ولا من الأعيان بل ولا من الكتاب من الركوب معه» (٤١) .

ثم نلجدها عند السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) يقول فى مقدمة كتابه : «جمعت فيه من علمته من هذا القرن الذى اوله سنة إحدى وثمانئة . . . مصرياً كان او شامياً ، حجارياً ام يمينياً ، رومياً او هندياً او مغربياً . . . بل و ذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة» (٥٢) .

كما نلجدها عند ابن حجر الهيتمى (ت ٩٧٤ هـ) : «على أن المجتهد لا يعترض عليه فى أموره الاجتهادية ، لكن أولئك المعترضين لانهم لهم بل و لا عقل» (٥٣) .

كما نلجدها عند المقرئ (ت ١٠٤١ هـ) : «الموج يصفق لسماع اصوات الرياح فيطرب ، بل و يضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب» (٥٤) .

ونلجدها عند المورعى فى القرن ١١ هـ يتحدث عن بعض الامور الاقتصادية مثل ضرب العملة : «فكانت كل أوقية كاملة ، بل و الثمانية والثلاثين البقشة منها ، أوقية أيضاً» (٥٥) .

ونلجدها عند عبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) فى حديثه عن رضى الدين الاسترابادى قائلاً : «صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، الذى لم يؤلف عليها ، بل و لا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل» (٥٦) .

ونلجدها عند الشربينى (ت بعد ١٠٩٧ هـ) يصف شرحه : «وأرجو أن لا يخلو منه إقليم بل و لابلد من بلاد العبيد» (٥٧) .

كما نلجدها الزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) يستخدمها فى معجمه مراراً . ومن ذلك : «هكذا وقع فى كتب اللغة بل و فى أسماء المواضع» (٥٨) .

«هذه العبارة هكذا فى نسختنا بل و فى سائر النسخ الموجودة» (٥٩) .

كذلك نجدها عند النحوى الشهير الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) : «ومثل أسماء الكتب أسماء التراجم ، بكسر الجيم ، كالحواتم والعوالم . وكثير من الناس يضمها خطأ ، بل و أسماء العلوم ، لأن مسمياتها ، وهى الأحكام المعقولة المخصوصة ، إنما تتعدد بتعدد التعقل» (٦٠) .

كذلك نجدها فى تاريخ الجبرتى (ت ١٢٣٧ هـ) : «فكانوا يأخذون الأشياء من الباعة ولا يدفعون لها ثمنًا ، ومن امتنع عليهم ضربه بل و قتلوه» (٦١) .

ثم نجدها عند الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ) يقول عن أحد الذين ترجم لهم : «وكان فى أيام قراءته على الشيوخ وأقرانه لتلامذته يفتى أهل مدينة صنعاء بل و من وفد إليها» (٦٢) .

ثم نجدها عند الطهطاوى (ت ١٨٧٣ م) ، فعندما يتحدث عن الأكاديمية الفرنسية يقول : «فالعلماء بباريس بل و علماء فرنسا ديوان العلومسمى أكاديمية الفرنسيين» (٦٣) وفى حديثه عن آداب المائدة يقول : «ولكل إنسان له طبق قدامه ، بل و كل طعام له طبق ، وقدام الإنسان قديم» (٦٤) .

ثم نجد الظاهرة فى تاريخ الحراى (ت ١٢٨٩ هـ) ؛ عند سرده حوادث عام ١٢٨١ هـ : «والإمام فى بيت سبطان يعاقب أهل صنعاء بأخذ غلات أموالهم والاستيلاء على ثمار أشجارهم ، وأخذ غلات الأوقاف ، بل و بيع بعض الرقاب» (٦٥) .

ثم نجدها فى رحلات محمد بيرم الخامس (ت ١٨٨٩ م) ؛ ففى حديثه عن سلوك الفتاة الإيطالية يقول : «فترى البنت تخاطب زوجها وتفاكهه أمام والديها ، بل و تفعل مثل ذلك مع خطيبها ، وترقص مع الرجال أمامهم» (٦٦) .

وإذا كنا فى بحثنا هذا قد بدأنا رحلتنا فى التراث العربى بشاهدين شرعيين على مصاحبة بل للواو ، فنحن لانعدم أن نجد هذه الظاهرة فى العقد الاول من القرن الرابع عشر الهجرى فى الشعر أيضاً . فالأحدب (ت ١٣٠٨ هـ) ينظم الامثال الواردة فى مجمع الميدانى ويقول :

وما حوسيتُ بل و مالويتُ ولم تُفدنى ما أرومُ ليتُ^(٦٧)

والمؤرخ اليمنى محمد بن إسماعيل الكبسى (ت ١٣٠٨ هـ) يقول :

أنت لهم موقظاتٌ غير واحدة فما ارعوا بل و لا فاءوا لمعتبر^(٦٨)

ونجدها عند الكواكىبى (ت ١٩٠٢م) : «وجعلوا فيه من الأصول ما أنتج - منذ قرنين إلى الآن - أن يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للأمين بل و للأطفال»^(٦٩) .

ونجدها فى مجلة الأستاذ التسى كان يحررها عبد الله النديم (صدرت ١٣١٠ هـ) : «فلهذا لم يكن حلالاً فى شريعة من الشرائع بل و لا فى قوانين عقلاء الأمم الماضية الذين لم يكن عندهم دين سماوى»^(٧٠) .

ونجدها فى أعمال المصلح الاجتماعى الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) : «وترفع عن مدّ كف الخيانة لاستلامه ، حفظاً لشرفه وصوناً لقدره عن الانحطاط من أعين العقلاء بل و السفهاء»^(٧١) .

ونجدها فى كتاب للسيد محمد بن عقيل (انتهى من تأليفه ١٣٣٧ هـ) يتحدث عن المشتغلين بأسانيد الحديث النبوى الشريف : «يجدهم يجزمون بأن من نص النبى ﷺ ، على أنه أشقى الآخرين ، عبد الرحمن بن ملجم ، قاتل صنو رسول الله ﷺ تقى من أهل الفضل والدين ، بل و يشهد له بالجنة كثير منهم»^(٧٢) .

ونستأذن فى القفز إلى ثلاثينات هذا القرآن كى نرى هذه الظاهرة عند

الشاعر الشهير أبى القاسم الشابي (ت ١٩٣٤م) ففى حديثه عن الريح يقول :
«جمعوها على أرواح كما جمعوا الروح هذا الجمع ، وأنثوا معناها كما أنثوا
الروح ، بل و أنثوا جميع الكلمات التى تدل على معنى الريح» (٧٣) .

ونجد الظاهرة فى تقديم محققى الامتاع والموانسة الاستاذين أحمد أمين
وأحمد زين عند حديثهما عن كتب التوحيدى : «ولم يطبع منها إلا المقابسات ،
والصدقة والصدق ، ورسالة فى العلوم . وما بقى منها مخطوط ، بل و ما
طبع منها غلوه بالتحريف والتصحيح إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع
بها» (٧٤) .

وهى موجودة عند الناقد الكبير محمد مندور . يصف موسيقى الشعر :
«إنها وسيلة أداء تصل إلى التعبير عن مفارقات المعانى وظلالها العاطفية ،
بل و ألوانها النفسية التى كثيراً ما تعجز اللغة المنشورة عن استخراجها من باطن
النفس» (٧٥) .

ونجدها فى تقرير لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة فى مصر ، الصادر
فى نوفمبر ١٩٦٤م . هذا التقرير يهاجم شعراء التفعيلة ويذكر من عيوبهم :
«ميلهم الشديد نحو الاستعانة فى التعبير بعناصر يستمدونها من ديانات أخرى
غير العقيدة الإسلامية ، بل و مما تاباه هذه العقيدة ، كفكرة الخطيئة وفكرة
الصلب وفكرة الخلاص» (٧٦) .

ونجدها عند يحيى حقى : «إذا اقتضاه عمله أن يزن رأياً لرجل سياسى فى
بلده أو غير بلده ، وجدته على معرفة وثيقة به منذ مولده إلى اليوم ، تدرج
خط حياته العامة بل و أسرار حياته الخاصة» (٧٧) .

وعند صلاح حافظ «يحدث أحياناً أن تضطرب إدارة التفتيش نفسها
ولا يخرج منها المفتشون ، فتنام عندئذ خلايا الجسد ، وتمتنع المخازن عن إنفاق
ما لديها ، بل و يغريها الجشع أيضاً بالتهام كل جديد يدخل الدم» (٧٨) .

ونجدها عند اللغوى المعاصر محمود فهمى حجازى : «ولم تكن الكتابة فى التاريخ القديم أمراً شائعاً ، بل و ما تزال آلاف اللغات فى عالمنا المعاصر منطوقة لا يكتبها أهلها» (٧٩) .

وتكثر كثرة مفرطة عند نايف خرما الذى يلقى أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ومنها : «كما أن نمو الفرد ثقافياً على وجه الخصوص يحدث تغييرات كبيرة جداً فى مفردات وتراكيب اللغة التى يستعملها بل و حتى فى طريقه نطق الحروف وطريقة قول الجمل» (٨٠) .

وهى عند توفيق محمد شاهين : «ومحصل هذين المسيرين أن وجد فريق يؤكد وجود الترادف فى الفصحى ، بل و بكثرة كاثرة» (٨١) .

وعند الشاعر الباحث عبده بدوى : «ثم انتهى إلى أن التفاعيل المزحفة يساوى كمها الصوتى فى النطق كم التفاعيل الصحيحة ، بل و قد يزيد فى بعض الأحيان» (٨٢) .

وعند إسعاد عبد الهادى : «وتعتبر شاهنامه الفردوسى الطوسى قمة الشعر الملحمى الفارسى والملحمة الوطنية الخالدة للإيرانيين ، التى تقف فى صف الملاحم العالمية ، بل و تتفوق عليها» (٨٣) .

ونجدها عند فؤاد زكريا : «هذه اللحظة التى يعرضها هيكلى باستخفاف شديد ، بل و يتتهز الفرصة للتفاخر بذاته وبقربه الدائم من الرئيس ، هى التى فتحت الطريق لكوارث مصر والعرب فى السبعينات» (٨٤) .

وهى موجودة عند محمد حسن جيل : «... إذ كان اللحن مسقطاً للحرمة ، قادحاً فى الشرف وفى الأهلية للإمامة فى الصلاة بل و مضيعاً للمهابة» (٨٥) .

ونجدها عند أحمد بن محمد الشامى : «اعتذر عن هذا الاستطراد الذى لن

يعترض عليه المنهجيون فقط ، بل و قد يستهجنه أو يضيق به بعض الشعراء
المجددين» (٨٦) .

ونجدها عند رسام الكاريكاتير محيي الدين اللباد : «كان القارىء يشغل
هذه الهوامش بتعليقاته على النص معارضة وتصويهاً واستطراداً ، بل و أحياناً
تحقيقاً» (٨٧) .

ونجدها عند محمد عبد القادر بافقيه : «لأنهما أرسلتا في ظرف واحد ،
بل و كتبنا بخط واحد» (٨٨) .

وهى موجودة عند التيجاني السماوى : «فأي نزاع واية تفرقة هى أكبر من
تقسيم الأمة الواحدة إلى مذاهب وأحزاب وفرق يخالف بعضهم بعضاً ويسخر
بعضهم من بعض بل و يكفر بعضهم بعضاً» (٨٩) .

ونجدها عند الناقد الكبير شكرى عياد : «كان لبنان طوال الخمسينات
والستينات ، بل و إلى بدء تمزقه الداخلى فى أوساط السبعينات ، معرضاً
متجدداً وباهراً لكل المذاهب الفكرية والأدبية الجديدة» (٩٠) .

والظاهرة حاضرة فى مؤلفات المؤرخ الأدبى محمد رغلول سلام نكتفى
بمثال واحد ، ونحيل إلى البقية : «يمتاز الفاضل بخصائص تجعله علماً مبرراً فى
الكتابة ، بل و قدوة معلماً لجيل من الكتاب ساروا على نهجه» (٩١) .

ونجدها عند المؤرخ الاجتماعى حسن الزين : «... بعد أن أسفر
دور الرسول ﷺ فى هذا المجال عن ثورة اجتماعية وفكرية وسياسية
كاملة نشأ عنها مجتمع جديد مختلف كل الاختلاف عما سبقه بل و
متناقض معه» (٩٢) .

وهى موجودة عند الباحث الفيلسفى حسن حنفى : «الكلام إحياء وإيماء
وإشارة وعلامة مثل حركات الوجه وغمز العين وهز الرأس ومطّ الشفتين ،

وتحريك الحواجب وإخراج اللسان والتهد بالرئتين ، وتحريك اليدين والقدمين
بل و الجسد كله كما هو الحال فى التمثيل الصامت» (٩٣) .

وبعد هذا التبع التاريخى لهذه الظاهرة نقول إننا لم نجد - حسب علمنا -
من كتب مخطئا هذه الظاهرة ، على كثرة من يخطئون كل تركيب وكل أسلوب
وكل معنى لم يرد فى عربية عصر الاحتجاج . فالظاهرة ليست مقصورة على
فئة من الكتاب دون فئة ، بل استعملها الشعراء وعلماء الكلام والفلاسفة
والمؤرخون واللغويون والاجتماعيون والنقاد والأثاريون والرسامون ،
والسياسيون والصحفيون ، وغير هؤلاء ممن لم ننقل عنهم . وقلما نجد من
لا يستعملها ، مثل طه حسين وعباس محمود العقاد وشوقى ضيف ، وهؤلاء
هم الاستثناء الذى يؤكد هذه القاعدة .

ونحب هنا أن نذكر أن أعضاء المجامع اللغوية ، الذين فى أيديهم الإفتاء
اللغوى ، قد استخدموا «بل و» دون أن يجدوا من ينكر عليهم هذا
الاستخدام . ومن ذلك أننا نجد رئيس المجتمع الأردنى عبد الكريم خليفة
يقول : «فإن تطورها يعنى الحيوية والنماء والاستجابة لمتطلبات العصور الثقافية
والفكرية والحياتية ، وذلك فى إطار الوحدة الزمنية عبر القرون فى تراثنا
العربى الإسلامى وفى إطار الوحدة المكانية على امتداد الساحة الجغرافية للوطن
العربى بل و لجميع ديار الإسلام» (٩٤) .

ومن ذلك ما كتبه محمود على مكى عضو المجتمع القاهرى : «على أنه
يجب علينا أن ننبه إلى أن القيمة الفنية لكثير من هذا الشعر محدودة ضئيلة ،
بل و تكاد تنعدم أحيانا» (٩٥) .

ومنه ما جاء عند المرحوم عدنان الخطيب عضو المجامع كلها :

«... لتوعيتهم بخطورة الشناية المطلقة التى تؤدى إلى الفصل المطلق التهاى بين المشافهة والتحرير بل و خطرها على مستقبل العربية»^(٩٦) .

ومنه ما كتبه عبد الوهاب حومد عضو المجمع الدمشقى : «كما أن لغتنا كانت ، ولا تزال ، عسيرة عليهم وعلينا نحن أيضاً ، خاصة قواعدها النحوية والصرفية بل و الإملائية كذلك»^(٩٧) .

فى الختام نعلم أن هذه الظاهرة لم توجد فى العربية المعاصرة بتأثير الترجمة من اللغة الإنكليزية ، بل هى قديمة ، يعود أقدم نصوصها المكتوبة إلى القرن الثانى الهجرى ، وأنها موجودة فى كل القرون تقريباً حتى أيامنا هذه .

الحواشى والإحالات

١ - انظر :

- كتاب سيبويه ، محمد عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٧٣ - ١٩٧٩ ح ١/٤٣٤ - ٤٣٥ .
- المقنضب للمبرد ، محمد محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩م ح ١/١٥٠ .
- معانى الحروف للمرمانى ، فتح عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، القاهرة : نهضة مصر ١٩٧٣م ص ٩٤ .
- شرح المفصل لابن يعيش ، القاهرة : ط المنيرة ، ح ٨/١٠٥ .
- شرح الكافية للاستراباذى ، استانبول : شركة الصحافة العثمانية ١٣١١ هـ ، ح ٢/٣٧٨ .
- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ، محمد فخر الدين قباوة ونديم فاضل ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٩٨٣م ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .
- مغنى اللبيب لابن هشام ، القاهرة : ط عيسى الحلبي ح ١/ ١٠٣ .
- أوضح المسالك لابن هشام ، محمد عبد المتعال الصعيدى ، القاهرة : مكتبة الآداب ١٩٨٢م ص ١٩١ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبى حيان الغرناطى ، محمد مصطفى النحاس ، القاهرة ٨٤ - ١٩٨٩م ، ح ٢/٦٤٣ - ٦٤٤ .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، القاهرة : ط عيسى الحلبي ، ح ٣/١١٢ - ١١٣ .

- ١- المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ١٩٨٢م ، ح٢ حرف الباء ، ص ٤٩٦ .
- ٢- محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القاهرة : دار الحديث ١٩٧٥ م ، ق ١ ح٢ ص ٥٨ - ٩٠ .
- ٣- أحمد بن فارس الرازى : الصحاح فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، تح السيد أحمد صقر ، القاهرة : عيسى الحلبي ١٩٧٧ م ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- ٤- محمد على الخولى : التراكيب الشائعة فى اللغة العربية - دراسة إحصائية ، الرياض ١٩٨٢ م ، ص ٢٧ .
- ٥- المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .
- ٦- سيأتى بيان ذلك ، ويكفى - ضمن شواهد كثيرة - لإثبات هذه الكثرة أن كتاب محمد جلال كشك : الجنادة حارة (ط القاهرة ١٩٩١ م) وردت فيه (بل و) فى تسعين صفحة من مئتين وسبعين .
- ٧- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، تأليف مجموعة من العلماء ، ط٢ (١٩٧٢ م) .
- ٨- كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧١ م ، ح٢/١٤٤ .
- ٩- محمد حسن عبد العزيز : الخواص التركيبية للجمل فى اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٢١ ، ٢٢٨ .
- ١٠- المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

١٠- انظر مثلاً :

A Comprehensive Grammar of The English

Language By : Randolph Quirk , Sidney Greenbaum , Geoffrey Leech, Jan Svartvik, London : Longman 1985, pp. 940 - 941 .

١١- عباس على محمد السوسة : مستويات اللغة العربية فى الصحافة اليمنية المعاصرة (١٩٨٠م - ١٩٨٤م) رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٨٩م ص ١٦٢ .

١٢- المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

١٣- ديوان أبى نواس الحسن بن هانىء تح أحمد عبد المجيد الغزالى ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٦١٠ .

١٤- ديوان ابن الرومى ، اختيار كامل كيلانى ، القاهرة : المكتبة التجارية ١٩٢٤م ، ص ٢٤ .

١٥- أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : رسائل فلسفية ، تح ب . كراوس ، القاهرة : جامعة فؤاد الأول ١٩٣٩م ، ص ٢٥ .

١٦- القاضى عبد الجبار الهمدانى : شرح الاصول الخمسة ، تح عبد الكريم عثمان ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٨م ، ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

١٧- ابن سينا : البرهان من كتاب الشفاء ، تح عبد الرحمن بدوى ، القاهرة : النهضة العربية ١٩٦٦م ، ص ٦٠ وانظر أيضاً ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

١٨- ابن سينا : القانون فى الطب ، القاهرة : ط الاميرية ١٢٩٤ ، ج١/ ٦٠ ، وانظر ج١/ ١٧١ .

١٩- ابن سينا : القانون فى الطب ، تح إدوارد القش ، بيروت : مؤسسة عز الدين ١٩٨٧م ، ح ٩٥٧/٣ ، وانظر ح ٨٣٧/٣ .

٢٠- ابن سينا ، المصدر السابق ح ١٨٢١/٤ .

٢١- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ، تح محمد عمارة ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧٢ ، ص ٢٨ . وانظر ص ٢٥ ، ٤٠ .

٢٢- عبد اللطيف البغدادي : كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تح أحمد غسان سبانو ، دمشق : دار فتيبة ١٩٨٣م ، ص ١٢٢ .

٢٣- سيف الدين الأمدى : الإحكام فى أصول الأحكام ، القاهرة : الاتحاد العربى للطباعة ١٣٨٧ هـ ، ح ٥٣/١ .

٢٤- المصدر السابق ، ح ٢٤٢/١ .

٢٥- أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى : الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال (على حاشية كشف الزمخشري) ، بيروت : دار المعرفة ج ١٩٨/٢ وانظر ح ٢٥٠/٢ .

٢٦- بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكنانى : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ؛ حيدر آباد الدكن : جميعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٤ هـ .

٢٧- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى : الوافى بالوفيات ، باعتناء م . ديدر ينغ ، فيسبادن : فواتر شتاينر ١٩٧٠م ، ح ١٥/٥ . وانظر للصفدى أيضاً : الغيث المسجم شرح لامية العجم ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٥م ح ٢٠٣/١ .

٢٨- أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ط
السعادة ١٩٣٤م ، ح٨/ ٢٢٤ .

٢٩- عبد الرحيم أحمد البرعى : ديوان البرعى ، القاهرة : ط العامرة
١٣٢٤ هـ ، ص ١٤٤ .

٣٠- ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تح
قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت : الجامعة الأمريكية ١٩٣٩م ،
مج ٨ ص ١٦٥ .

٣١- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تح على عبد الواحد وافي ، ط ٣ ،
القاهرة : مكتبة نهضة مصر ٧٩م - ١٩٨١م ، ص ٥١٠ . وانظر أيضاً
ص ٣١٠ ، ٣٨٧ وفي حاشيتهما نجد المحقق يخطئ هذا الأسلوب ،
وانظر ص ٣٩٥ ، ١٠٢٢ . ونجد الظاهرة عند ابن خلدون في كتاب
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة : ط الخديوية ١٢٨٤ هـ ،
ح٦/ ١٩٨ وح٧/ ٢٧٣ . وانظر - إن شئت - نقداً لهذه الظاهرة في
أحمد محمد الحوفى : أدب ابن خلدون ، مجلة مجمع اللغة العربية ،
القاهرة ، ح٣٠ ، عام ١٩٧٢ م ، ص ٥٤ .

٣٢- عبد القادر بن عمر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،
تح عبد السلام محمد هارون ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
ح١٥/ ١٥ .

٣٣- شمس الدين محمد بن محمد الجزرى : النشر فى القراءات العشر ،
تصحيح على محمد الضباع ، القاهرة : المكتبة التجارية ، ح١/ ٤٥ .

٣٤- أبو المحاسن محمد بن على العبدري الشيبى : تمثال الأمثال ، تح أسعد
ذيان ، بيروت : دار المسيرة ١٩٨٢ م ، ١٢٧ .

٣٥- ابن المرتضى اليماني : إثبات الحق على الخلق ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ص ١٢١ وانظر ص ٦٢ ، ٣٤٥ .

٣٦- تقى الدين أحمد بن علي المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نج سعيّد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ق ٣ ح ١/٢٧٣ . وانظر أيضاً ق ١ ح ١ محمد مصطفى زيادة ، ١٩٣٤ م ، ص ٣٨٦ . وانظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة : ط الاميرية ١٣٢٦ هـ ، ح ١/ ٢٢٠ .

٣٧- ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمّر بأنباء العمر ، محمد حسن حبشي ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧٢ م ، ح ٣/ ١٨٨ . وانظر ص ١٦٥ ، ٣٥٤ .

٣٨- أبو المحاسن يوسف بن تغري يردى : النجوم الزاهرة ، ح ١٥ محمد إبراهيم علي طرخان ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١ م ، ص ٤٥٦ .

٣٩- المصدر السابق ، ح ١٥/ ٥٠٣ . وانظر المصدر نفسه في : - ح ١٤ محمد فهيم شلتوت وجمال محمد محرز ، ١٩٧١ م ، ص ٢٤٧ ، ٣٢٥ .

- ح ١٦ محمد جمال الدين الشبال ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧ ، ١٥٨ .
٤٠- علاء الدين الطوسي ، تهافت الفلاسفة ، محمد رضا سعادة ، بيروت : الدار العالمية ١٩٨١ م ، ص ١٢٥ وكررها في ص ١٢٦ .

٤١- الخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، محمد حسن حبشي ، القاهرة : وزارة الثقافة ١٩٧٠ م ، ح ١/ ٦١ . وانظر ح ١/ ١٢٣ وح ٢ - ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .

٥٢- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل
القرن التاسع ، القاهرة : مكتبة القدسى ، ١٣٥٥هـ ، ح١/٥
وح١٠/٨٥ .

٥٣- أحمد بن محمد بن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة فى الرد على أهل
البدع والزندقة ، القاهرة : ط الميمنية ١٣٧٥ هـ ، ص ١١١ .

٥٤- أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى : نفع الطيب من غصن الأندلس
الرطيب ، تح إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ٦٨ - ١٩٧٢ م ، ح
٣٣/١ .

٥٥- عبد الصمد إسماعيل المورعى : الإحسان فى دخول مملكة اليمن تحت
ظل آل عثمان ، تح عبد الله محمد الحبشى ، صنعاء : وزارة الأوقاف ،
ص ٩٧ ، والأوقية والبقشة من العملات فى رمنه .

٥٦- عبد القادر بن عمر البغدادى : خزانة الأدب ح١/٢٨ .

٥٧- يوسف بن محمد الشربيني : هز القحوف شرح قصيد أبى شادوف ،
القاهرة : ط المحمودية ، ص ٢ ، وانظر أيضاً ص ٧٦ ، ١٧٩ .

٥٨- محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس شرح جواهر القاموس ، ح٤ نع
عبد العليم الطحاوى ، الكويت ١٩٦٨ م ، (وثب) ص ٣٣١ .

٥٩- التاج ، ح٦ تح حسين نصار ، الكويت ١٩٦٩ م (لجج) ص ١٨٣ .
وانظر طبعة الخيرية بالقاهرة مادة (جرر) ح٣/٩٢ .

٦٠- أبو العرفان محمد بن على الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني
على ألفية ابن مالك ، القاهرة : ط عيسى الحلبي ح١/١٠ وانظر
ح٤/١٩٨ .

- ٦١- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، بيروت : دار الجيل ح١/ ١٩٠ .
- ٦٢- محمد بن على الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة : ط السعادة ١٣٥٠هـ ، ح٢/ ٢١٩ .
- ٦٣- رفاعه رافع الطهطاوى : تخلص الإبريز فى تخلص باريز ، القاهرة : ط الأميرية ص ١٠٤ .
- ٦٤- المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
- ٦٥- محسن بن أحمد الحرارى : رياض الرياحين ، تح حسين عبد الله العمرى ، صنعاء : دار الحكمة اليمنية ١٩٨٦م ، ص ١٦٦ .
- ٦٦- محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار ، بيروت : دار صادر ح٣/ ٤٦ وانظر ص ١٥٣ .
- ٦٧- إبراهيم الأحذب الطرابلسى : فرائد اللآل فى مجمع الأمثال ، بيروت : ط الكاثوليكية ١٣١٢هـ ، ح٢/ ٢٥٧ .
- ٦٨- محمد بن محمد رباره : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ، ح٢/ ٢٥ .
- ٦٩- عبد الرحمن الكواكبي : أم القرى ، حلب : ط العمومية ١٩٥٩ م ، ص ٤٨ ، وانظر ص ٢٢٨ .
- ٧٠- عبد الله النديم : الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ ، تصوير الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٦٣٥ ، وانظر ص ٤٦ ، ٢٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٦٥ ، ١٠٢٤ .

٧١- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، حققها وقدم لها محمد عمارة ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢ م ، ح٢ (الكتابات الاجتماعية) ص ٣١ ، وانظر مثلاً ص ١٦ ، ١٧ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ .

٧٢- السيد محمد بن عقيل : العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ، دار البلاغ ، بيروت ودار الحكمة اليمنية صنعاء ١٩٩٠ م ، ص ٢٥ ، وانظر ٦٤ ، ٨٥ .

٧٣- أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، ح الأول من الأعمال الكاملة ، تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م ، ص ٩٧ . وانظر له أيضاً ضمن الأعمال الكاملة :

أ- الدموع الحائرة ح٢/٦٩ ، ٧٢ .

ب- مذكرات الشابي ح٢/٢٠ .

٧٤- كتاب الامتاع والموانسة لأبي حيان التوحيدي ، مقدمة المحققين أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م ح١ صفحة د .

٧٥- محمد مندور : فن الشعر ، ط٢ ، القاهرة : نهضة مصر ١٩٦٣م ، ص ١١٨ .

٧٦- عن : عبد القادر القط : قضايا ومواقف ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١م ، ص ١٢ .

٧٧- يحيى حقى : ناس فى الظل ، القاهرة : كتاب الجمهورية ١٩٧١ م ، ص ٢٧ .

٧٨- صلاح حافظ : انتصار الحياة ، القاهرة : الكتاب الذهبى - دار روزاليوسف ، ١٩٧٢ م ، ص وانظر ص ٤٢ .

٧٩- محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية - مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللفات السامية ، الكويت : وكالة المطبوعات ١٩٧٣ م ، ص ١٥٢ ، وانظر ص ٧١ ، ١٣٢ .

٨٠- نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت : عالم المعرفة ١٩٨٨ م ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ وانظر ص ٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩١ .

٨١- توفيق محمد شاهين : المشترك اللغوى نظرياً وتطبيقياً ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٠ م ص ٢٢٥ وانظر ص ٢٣١ .

٨٢- عبده بدوى : قضايا حول الشعر ، مجلة (الشعر) العدد ٢٤ ، أكتوبر ١٩٨١ م ، ص ٧ .

٨٣- إسعاد عبد الهادى قنديل : فنون الشعر الفارسى ، ط ٢ بيروت : دار الأندلس ١٩٨١ م ، ص وانظر : يوسف السيسى : دعوة إلى الموسيقى ، الكويت : عالم المعرفة ١٩٨١ م .

ص ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ١١٤ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ .

٨٤- فؤاد زكريا : كسم عمر الغضب ؛ هيكل وأزمة العقل العربى ، ص ٢ ، القاهرة : مطبوعات القاهرة ١٩٨٤ م ، ص ٦٦ وانظر ص ٩٢ . وانظر : أحمد بن محمد الشامى : المتنئى شاعر مكارم الأخلاق ، جدة : تهامة ١٩٨٤ م ، ص ٨ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، على سبيل المثال .

٨٥- محمد حسن حسن جبل : الاحتجاج بالشعر فى اللغة - الواقع ودلالته ،
القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٦ م ، ص ٣٥ .

٨٦- أحمد بن محمد الشامى : شعراء اليمن فى الجاهلية والإسلام - فى من
اسمه إبراهيم ، جدة : تهامة ١٩٨٦م ، ص ٥٩ ، وانظر مثلاً ص ٤٠ ،
٤١ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٥ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
٢٠٠ .

٨٧- محبى الدين اللباد : نَظَرٌ ، القاهرة : العربى للنشر والتوزيع ١٩٨٧ م ،
ح/٨٦ ، وانظر على سبيل المثال ص ٨٨ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، وحـ ٢ (ط ١٩٩١م) ص ١٨ ، ٢٣ ،
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٧٨ .

٨٨- محمد عبد القادر بافقيه : المستشرقون وآثار اليمن ، صنعاء : مركز
البحوث والدراسات اليمنى ١٩٨٨ م ، ح ١/١٥ وانظر ص ٣١ ، ٥٩ ،
٦٦ .

٨٩- محمد التيجانى السماوى : مع الصادقين ، لندن : مؤسسة الفجر
١٩٨٩م ، ص ٢١ وانظر ص ٦ ، ٩ ، ٢٥ ، ٥٨ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ،
١٨٠ .

٩٠- محمد شكرى عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ،
الكويت : عالم المعرفة ١٩٩٣ م ، ص ٦٠ وانظر ص ١٣٥ .

٩١- محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر الأيوبي ، ط ٣ ، الاسكندرية :
منشأة المعارف ١٩٩٠م ، ص ٢٢٠ ، وللمؤلف نفسه انظر :

- الأدب فى العصر الفاطمى - الكتابة والكتاب ، الاسكندرية ،
منشأة المعارف ١٩٩٣م ، ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ١٤٨ ،
٢٠٠ ، ٣٠١ .

- الأدب فى العصر المملوكى : الاسكندرية : منشأة المعارف ١٩٩٦م
ح٣/ ١١ ، ١٩ ، ٤١ مثلاً .

٩٢- حسن الزين : على بن أبى طالب ونجربة الحكم ، بيروت : دار الفكر
الحديث ، ١٩٩٤م ص ٤١ ، وانظر ص ١٦١ ، ٢٢٤ .

٩٣- حسن حنفى : من اللغة إلى الفكر ، مجلة مجمع اللغة العربية
بدمشق ، مج ٧١ ح١ كانون الثانى ١٩٩٦ م ، ص ٧٠ .

٩٤- ندوة الاردواجية فى اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية الأردنى
١٩٨٨م ، ص ١٠ وانظر أيضاً ص ١١ وفى أعمال هذه الندوة راجع
بحث : محمود حسنى : ظاهرة الاردواجية فى العربية بين الماضى
والحاضر ، ص١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

٩٥- محمود على مكى : المذائع النبوية ، القاهرة : الشركة المصرية العالمية
للنشر ١٩٩١م ، ص ١٣٤ .

٩٦- عدنان الخطيب : وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الدورة
السادسة والخمسين مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، العدد ٣٩ ، تموز
- كانون أول ١٩٩٠م ص ٨٩ .

٩٧- عبد الوهاب حومد : دعوة إلى تيسير النحو العربى / مجلة مجمع اللغة
العربية بدمشق ، مج ٧١ ح١ كانون الثانى ١٩٩٦م ، ص ٢٠٢ .

مكانة كتاب التفاحة فى النحو

لابى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ

حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

إعداد الدكتور

مجدى إبراهيم يوسف

أولاً: المقدمة :

يعد كتاب التفاحة من أهم الكتب النحوية التعليمية التى عرفها القرن الرابع الهجرى . مؤلفه : أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى ، المعروف بأبى جعفر النحاس^(١) المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، عالم باللغة والنحو ، نشأ فى مصر ثم رحل إلى بغداد . اهتم بكتاب سيبويه ، أخذ عن المبرد ت ٢٨٥ هـ ، وابن كيسان ت ٢٩٩ هـ ، والزجاج ت ٣١٠ هـ ، وله مناظرات مع ابن ولاد المصرى ت ٣٣٢ هـ . من مؤلفاته : كتاب شرح أبيات سيبويه ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب القطع والائتناف ، وشرح القصائد التسع ، وكتاب التفاحة فى النحو ، وهو موضوع هذه الدراسة .

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس

تاريخ استلام البحث ١٩٩٧/٢/١ م، وتاريخ قبوله ١٩٩٧/٥/٣ م.

(١) انظر فى ترجمته: طبقات النحويين للزبيدي ٢٢٠، انباء الرواه ١٠١/١، معجم الأدباء ٢٢٤/٤، بغية الوعاة ٣٦٢/١، المزهرة فى علوم اللغة ٢٦٤/٢، ٢٨٩، وفيات الأعيان ٨٢/١، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢٧٥/٢ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ١٨٦/٢ ، الأعلام للزركلى ٩٩/١ ، المدارس النحوية لشوقى ضيف ٣٣١.

بوصفه من الكتب التعليمية التى عرفها القرن الرابع الهجرى ، كما تهدف إلى دراسة المصطلحات النحوية التى تناولها أبو جعفر النحاس ، وبيان موقفه من السماع والقياس والتعليل ، ثم توضح الأمثلة التى تناولها ، فأكثرها من الأمثلة المصنوعة ، كما تهدف إلى بيان أهمية كتاب التفاحة وأثره فى النحو السعلى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

لقد عرف القرن الرابع الهجرى اتجاهاً جديداً فى التأليف النحوى يتخذ من المنهج السعلى أساساً له ، تتسم المؤلفات النحوية قبل ذلك بأنها موسوعية ، ومن ذلك كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ ، والمقتضب للمبرد ت ٢٨٥ هـ ، والأصول لابن السراج ت ٣١٦ هـ . لقد أدرك العلماء حاجة الناس إلى تعلم النحو ، وعرفوا أنه ذلك لن يكون من خلال المؤلفات الموسوعية ، فمادتها العلمية غزيرة وصعبة ، وشواهد كثيرة ومن هنا بدأ الاتجاه فى التأليف السعلى الذى يتخذ من سهولة الأسلوب وقلة الشواهد وكثرة الأمثلة أساساً له ، مما يساعد على التعلم والفهم ، ويعد كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ واحداً من المؤلفات التعليمية التى ألفت تلبية لتيسير النحو وتعلمه للناس ، وثمة مؤلفات أخرى منها الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ ، والجمل للزجاجى ت ٣٣٧ هـ ، واللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، لقد تتابع ظهور المؤلفات التعليمية فى القرون التالية فظهرت المتنون والمنظومات ، ومنها ألفية ابن معط ت ٦٢٧ هـ ، وألفية ابن مالك ت ٦٧٢ هـ ، وألفية السيوطى المسماه (الفريدة) ت ٩١١ هـ .

لقد اهتم الباحثون والدارسون بأبى جعفر النحاس ، فهناك دراسة عن أثره فى الدراسات النحوية لوهبة متولى عمر ، رسالة ماچستير دار العلوم ٧٢ ، وهناك دراسة عن آرائه فى النحو لفضل ربه السيد طمان ، رسالة دكتوراه - آداب اسكندرية ، وقد تناوله بالدراسة الدكتور شوقى ضيف فى كتابه المدارس

النحوية . هكذا اهتم الدارسون بأبى جعفر النحاس بعيداً عن دراسة كتابه التفاحية فى النحو ، لقد عرّف الأستاذ عارف التكدى كتاب التفاحية بتحقيق الأستاذ كوركيس عواد فى دراسة نشرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول - المجلد ٤٢ عدد كانون الثانى يناير ١٩٦٧ فى الصفحات من ١٤٩ : ١٥٢ ، ولكنه لم يعد دراسة علمية للكتاب تبين أهميته ومكانته ، ومن هنا كان هذا البحث الذى يهدف إلى بيان مكانة كتاب التفاحية فى النحو من الكتب التعليمية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

تعتمد مادة هذه الدراسة على كتاب التفاحية لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ ، بتحقيق الدكتور ماهر عبد الغنى كريم ، وهناك تحقيق آخر للأستاذ كوركيس عواد . وثمة كتب تعليمية أخرى تناولها هذا البحث حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، أهمها :

- كتاب الموفقى فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ - تحقيق عبد الحسين الفتلى ، مجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثانى ١٩٧٥ م - ص ١٠٣ : ١٢٤ .
- كتاب الموجز فى النحو لابن السراج ت ٣١٦ هـ - تحقيق مصطفى الشومى بيروت ١٩٦٥ م .
- كتاب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ - تحقيق على توفيق الحمد - بيروت ١٩٨٥ م .
- كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ - تحقيق حامد المؤمن - بيروت ١٩٨٥ م .

ثانياً: الاتجاه التعليمي في كتابه التفاحة :

يضم كتاب التفاحة أبواب النحو العربي كلها ، فيعرضها بإيجاز واختصار ويتخذ من سهولة الأسلوب ووضوحه أساساً له ، بما يتفق مع غرضه التعليمي لقد أدرك أبو جعفر النحاس أن تعلم النحو لا يقوم على الصعوبة والتعقيد ، وإنما يقوم على السهولة والتيسير ، ومن هنا نرى كتاب التفاحة وقد تصدرته العبارة التالية (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه فيه فائدة عظيمة ، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ ...)^(١) . وهذا معناه أن كتاب التفاحة ألف للمبتدئين حتى يتعلموا النحو ، ومن هنا كان صغيراً ومختصراً وسهل الأسلوب .

لقد كان النحاس يستخدم عبارات تدل على الأسلوب التعليمي ، الذي اتخذه أساساً لكتابه التفاحة ، ومن هنا نراه يكثر من استخدام فعل الأمر (اعلم) ، ويقترن هذا الفعل ببيان حكم أو قاعدة نحوية ، مع ذكر أمثلة يسيرة للتوضيح ، ومن ذلك مثلاً :

- اعلم أن العربية على ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف جاء المعنى^(٢) .
- اعلم أن الإعراب على أربعة أوجه : على الرفع والنصب والجر والجزم^(٣) .
- اعلم أن الأفعال على أربعة أقسام : فعل ماض وفعل مستقبل ، والأمر والنهي^(٤) .
- اعلم أن كل اسم يستأد به ولم يعمل فيه عامل ، ناصب أو خافض فإنه رفع ، وخبره رفع مثله إذا كان اسماً واحداً تقول من ذلك : زيد منطلق ، رفعت زيدا بالابتداء ، ورفعت منطلق لأنه خبر الابتداء^(٥) .

(١) التفاحة ص ١ . (٢) نفسه ص ١ . (٣) نفسه ٣ . (٤) نفسه ١٠ . (٥) نفسه ١٦ .

- اعلم أن هذه - المراد حروف الخفض - تخفض ما بعدها ، تقول من ذلك : كتبت إلى زيد ، خفضت ريذا بـ « إلى » ، ومثله مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك (١) .
- اعلم أن الجواب بإلقاء منصوب أبداً في ستة أشياء : الأمر والنهي ، والاستفهام والتمنى والمجهد والدعاء (٢) .
- واعلم أن كل فعل في آخره واو وياء أو ألف ، فجزمه بحذف آخره ، نحو قولك : لم تقض ، ولم ترم ، ولم تدع ، ولم تغز ، ولم نخش ، ولم يرض ، حذفت الياء والواو والألف للجزم (٣) .
- اعلم أن المفعول الذي لم يسم فاعله رفع أبداً ، لأنه قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُربَ زيدٌ ، رفعتَ ريذا لأنه مفعول لم يسم فاعله (٤) .
- اعلم أن الأسماء على قسمين : معرفة ونكرة ، فالمعرفة على خمسة أوجه اسم علم ، واسم معهود ، واسم مبهم ، واسم مضمَر ، واسم مضاف إلى أحد هؤلاء المعارف (٥) .
- اعلم أن النعت تابع للاسم في إعرابه وتعريفه وتنكيره ، إن كان الاسم رفعاً فنعته رفع ، وإن كان نصباً فنعته نصب ، وإن كان خفضاً فنعته خفض ، وإن كان معسرة فنعته معرفة ، وإن كان نكرة فنعته نكرة ، تقول من ذلك : قام زيد العاقل ، رفعت ريذا بفعله ، ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد (٦) .
- اعلم أن البدل يجرى على ما قبله من الإعراب كما يجرى النعت ، ويجوز

(١) الضاحية ٢٦ . (٢) نفسه ٣٦ ، ٣٧ . (٣) نفسه ٤٤ .

(٤) نفسه ٥٣ . (٥) نفسه ٥٥ . (٦) نفسه ٥٨ .

بدل المعرفة من المعرفة والنكرة من النكرة والمعرفة من النكرة ، والنكرة من المعرفة ، فكل ذلك جائز ، تقول من ذلك : جاءنى أخوك زيد ، رفعت الأخ بفعله ، ورفعت زيدا لأنه بدل من الأخ ، وهذا بدل المعرفة من المعرفة ، ومثله مررت برجل زيد ، وهذا بدل المعرفة من النكرة ، ومررت بأخيك رجل صالح ، وهذا بدل النكرة من المعرفة ، ورايت رجلين رجلاً طويلاً ورجلاً قصيراً ، وهذا بدل النكرة من النكرة^(١) .

- اعلم أن الحال نصب أبداً ، وهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قد تم الكلام دونه ، تقول من ذلك : جاء زيد ركباً ، نصبت ركباً على الحال ، أى جاد فى حال ركوبه^(٢) .

- اعلم أن الظروف على قسمين : ظرف زمان ومكان ، فالظرف من الزمان مثل : اليوم والليلة والساعة والغدوة والعشية والشهر والسنة وقبل وبعد ... والظرف من المكان نحو قولك : خلف وأمام وفوق وتحت وعند وحول ...^(٣) .

- واعلم أن كل شئ ذكرته مما يحتمل أنواعاً ثم فسرتة بنوع نكرة كان التفسير نصباً ، تقول من ذلك : عندى خمسة عشر درهماً ، نصبت الدرهم على التفسير ، ويقال على التمييز ، ومثله : عندى عشرون عبداً ، وهذه خمسة أوطال ريثاً ، وفلان أكثر الناس مالاً وأحسنهم وجهاً^(٤) .

- اعلم أن كل ما يتعجب منه بـ « ما » فهو نصب ، تقول من ذلك : ما أحسن زيدا ، نصبت زيدا للتعجب ، وفى الثانية : ما أحسن الزيدتين ، وفى الجماعة : ما أحسن الزيدتين ، ومثله : ما أجمل هنداً وما أنظف ثوبك ، ما أكرم أخاك^(٥) .

(١) نفسه ٧٢ .

(٢) نفسه ٧١ .

(٣) التفاحة ٦٩ .

(٤) نفسه ٧٦ . (٥) نفسه ٧٧ .

- اعلم أن عدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة بالهاء ، وعدد المؤنث من الثلاث إلى العشر بغيرها ، تقول فى المذكر : ثلاثة رجال وخمسة اثواب وعشرة أيام ، وفى المؤنث : ثلاث نسوة ، وخمس نبات ، وعشر ليال^(١) .

- اعلم أن علامات التأنيث ثلاث : أولها : الهاء ، والياء ، والهمزة الممدودة ، فالهاء علامة التأنيث فى مثل قولك : القائمة ، والقاعدة ، والصالحة ، وما أشبه ذلك ، والهمزة نحو قولك ، البيضاء والحمرأ وما أشبه ذلك^(٢) .

- اعلم أن جميع الالفات التى هى فى أوائل الاسماء فهى الفات قطع ، إلا فى عشرة أسماء فإن الفاتها وصل ، وهى : ابن وابنه ، وامرؤ ، وامرأة ، واثنان ، واثنان ، واسم ، واست ، والـف لام التعريف ، والـف المصدر سوى مصدر أفعـل نحو قولك : اكتسب اكتساباً ، وانطلق انطلاقاً^(٣) .

- اعلم ان الاسماء التى لا تنصرف على عشرين وجهاً ، عشرة منها لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة ، وعشرة لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة^(٤) .

- واعلم أن أسماء الانبياء - عليهم السلام - لا تنصرف فى المعرفة إلا فى ستة أنبياء : نوحاً وهوداً ولوطاً وشعبياً وصالحاً ومحمداً^(٥) .

- واعلم أن كل اسم لا ينصرف فإنه لا ينون ولا يخفض ويكون فى موضع الخفض نصباً بغير تنوين^(٦) .

(٤) نفعه ٩٧ .

(٣) نفعه ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) نفعه ٨٨ ، ٨٩ .

(١) النفاحة ٨١ .

(٥) نفعه ١٠٤ . (٦) نفعه ١٠٥ .

هكذا كان النحاس يتخذ من فعل الامر (اعلم) مظهراً من مظاهر
الاسلوب التعليمى الذى كان يهدف إليه من وراء كتابه ، فالكتاب تعليمى من
الدرجة الأولى ، ولهذا حرص على أن يكون منهجه واسلوبه متمشياً مع هذا
الهدف .

ثالثاً: الأمثلة المصنوعة فى كتاب التفاحة :

الأمثلة فى كتاب التفاحة كلها مصنوعة ، وقد كان مؤلفه يعتمد إلى عدم
تكرار الأمثلة ، فضلاً عن أنه كان يميل إلى استخدام الأمثلة السهلة ، لقد أراد
النحاس كتابه مختصراً موجزاً فى النحو ليكون عجالة سريعة يسهل على
المتعلمين ، ولعل هذا هو الذى دفعه إلى استخدام عبارات من قبيل (وما أشبه
ذلك) ، أو (وكذلك ما أشبهه) ، فقد كان يستخدم هذه العبارة أو تلك
مكتفياً بها عن تكرار الأمثلة ، ومن ذلك مثلاً :

- عَرَفَ النحاس الاسم بقوله (فالاسم : ما دخله الألف واللام ، وجاز أن
يكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو صلح فيه حرف من حروف الحذف ، مثل :
رجل وفرس وزيد وعمرو ، وما أشبه ذلك)^(١) .
- عَرَفَ النحاس الحرف بقوله (والحرف : ما دل على معنى فى غيره وخلا
من دليل الاسم والفعل ، مثل : هل ، ويل ، وإلى ، ومتى ، وقد ،
وما أشبه ذلك)^(٢) .
- تكلم النحاس عن الافعال الخمسة ، وإعرابها ، ومثل لذلك بأمثلة ، فقال
(ورفع فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد يكون بالنون ،
ونصبهما وجزمهما بحذف النون ، تقول : تذهبان وتذهبون وتذهبين ،
وما أشبه ذلك)^(٣) .

(١) التفاحة ١ . (٢) نفسه ٢ . (٣) نفسه ٨ .

- مثل النحاس لجمع المؤنث بقوله (ورفع جماعة المؤنث التي بالالف والتاء مثل : مسلمات وهندات ، وما أشبه ذلك)^(١) .
- عَرَّفَ النحاس الفعل المضارع ومثّل له بقوله (والمضارع ما كان أوله حرف من حروف الاستقبال ، وهى أربعة أحرف : التاء والياء والنون والالف ، كقولك : تقوم ، ويقوم ، ونقوم ، وأقوم ، وما أشبه ذلك)^(٢) .
- تكلم النحاس عن العلم ، فَعَرَّفَه ، ومثّل لذلك بقوله (فالعلم هو أسماء الناس والبلدان ، نحو قولك : زيد وعمرو ومكة وبغداد ، وما أشبه ذلك)^(٣) . ثم تكلم عن المعهود ، فقال (والمعهود ما كان أوله ألف ولام للتعريف ، كقولك : الرجل والفرس والدار ، والثوب وما أشبه ذلك)^(٤) . وتكلم عن المبهم ، فقال (والمبهم ما يشار به إلى الشئ نحو قولك : هذا وهذه وذلك وذاك وتلك ، وما أشبه ذلك)^(٥) . وتكلم عن المضمر ، فقال (والمضمر نحو قولك : هو وهى وتثنيتهما وجمعهما ، ونحو التاء فى : ضربت ، و(نا) فى ضربنا ، و(نى) فى ضربنى ، والياء فى دارى وثوبى ، وما أشبه ذلك)^(٦) .
- تناول النحاس حروف العطف ، ومثّل لها ، فقال (. . . . تقول من ذلك : جاء زيد وعمرو ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت عمرا لأنه عطف عليه بالواو ، ومثله : رأيت زيدا فعمرا ، ومررت بزيد ثم عمرو ، وجاءنى القوم حتى زيد ، وضربت القوم حتى زيدا ، وكذلك ما أشبهه)^(٧) .
- ويتكلم النحاس عن التوكيد ، ويمثّل له فيقول (. . . تقول من ذلك : جاءنى زيد نفسه ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت نفسه لأنه توكيد لزيد ، ومثله : جاءنى القوم أجمعون ، ولقيتهم أجمعين ، ومررت بهم

(١) التفاحة ٩ . (٢) نفسه ١١ . (٣) نفسه ٥٥ . (٤) نفسه ٥٦ .

(٥) نفسه ٥٦ . (٦) نفسه ٥٧ . (٧) نفسه ٦٥ ، ٦٦ .

أجمعين ، ومررت بهم كلهم ، وبهما ، وكليهما ، وفى المونث أيضاً ، وكذلك ما أشبهه ^(١) .

- تناول النحاس الظروف ، وجعلها على قسمين ، ومثل لكل قسم على حدة ، فقال عن ظرف الزمان (. . . فالظرف من الزمان مثل : اليوم واللييلة والساعة والغدوة والعشية والشهر والسنة وقبل وبعد وما أشبه ذلك من أسماء الزمان) ^(٢) ، وتكلم عن ظرف المكان ، فقال (والظرف من المكان نحو قولك : خلف وأمام وفوق وتحت وعند وحول وما أشبه ذلك من أسماء المكان) ^(٣) .

- عقد النحاس باباً تناول فيه علامات التانيث ، ومثل لكل علامة على حدة ، فقال (أعلم أن علامات التانيث ثلاث : أولها الهاء والياء والهمزة الممدودة ، فالهاء علامة التانيث فى مثل قولك : القائمة والقاعدة والصالحة ، وما أشبه ذلك ، و والياء نحو قولك : الحبلى والسكرى ، والذكبرى ، وما أشبه ذلك ، والهمزة نحو قولك : البيضاء والخمراء والسوداء ، وما أشبه ذلك) ^(٤) .

- تكلم النحاس عن ألف الوصل ، ومثل لها بأمثلة فى باب ألفات الوصل فى أوائل السور فقال (أعلم أن جميع الألفات التى هى فى أوائل الاسماء فهى ألفات قطع ، إلا فى عشرة أسماء فإن ألفانها وصل ، وهى : ابن ، وابنة ، وامرؤ ، وامرأة ، واثنان ، واثنتان ، واسم ، واست ، وألف لام التعريف ، وألف المصدر سوى مصدر أفعّل ، نحو قولك : اكتسب اكتساباً ، وانطلق انطلاقاً ، وما أشبه ذلك) ^(٥) .

(٣) نفسه ٧٢ .

(٢) نفسه ٧٢ .

(١) التفاحة ص ٦٨ .

(٥) نفسه ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) نفسه ٨٨ ، ٨٩ .

- تكلم النحاس عن الاسماء التى لا تنصرف ، وعدّ منها عشرة لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة ، ومثل لكل بأمثلة توضحه وكان يستخدم عبارة (وما أشبه ذلك) تجنباً لتكرار الأمثلة ، يقول فى باب الاسماء التى لا تنصرف (فأما العشرة التى لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة ، فأحدها ما كان على مثال أفعل إذا كان نعتاً ، كقولك : أبيض وأسود وأحسن وأفضل وآخر ، وما أشبه ذلك ، والثانى : ما كان على وزن فعلان الذى أثناء فعلى ، مثل : سكران وسكرى ، وما أشبه ذلك ، والثالث : ما كان على أفعلاء ، مثل : أصدقاء وأنبياء وأولياء وما أشبه ذلك ، والرابع : ما كان على فُعلاء ، مثل : عقلاء وفقهاء وعلماء وما أشبه ذلك ، والخامس : ما كان على فَعَلَاء ، مثل : بيضاء وسوداء ، وما أشبه ذلك ، والسادس : ما كان على فَعْلَى ، مثل : مرضى وسكرى ، وما أشبه ذلك ، والسابع : ما كان على فُعْلَى ، مثل : حُبْلَى وبُشْرَى ، وما أشبه ذلك ، والثامن : ما كان على فعلى ، مثل : ذكرى ، واحدى ، وما أشبه ذلك ، والتاسع : ما كان بعد ألف الجمع أكثر من حرف واحد ، مثل مساجد ، ودراهم ودنانير ودواب وشواب ، وما أشبه ذلك . والعاشر : ما كان معدولاً من العدد ، مثل : مثنى وثلاث ورباع . وما أشبه ذلك ^(١) .

- ثم يتكلم عن الاسماء التى لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة ، ويمثل لكل بأمثلة توضحه مكتفياً بعبارة (وما أشبه ذلك) عن تكرار الأمثلة ، يقول (وأما العشرة التى لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة ، فأحدها : كل اسم أعجمى على أكثر من ثلاثة أحرف ، مثل : ابراهيم ، واسماعيل ، وجبريل ، وميكائيل ، وبهرام ، ورامس ، وما أشبه ذلك . والثانى : كل اسم مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف لا علامة فيه للتانيث ، مثل :

(١) النفاحة ص ٩٧ : ١٠٠ .

زينب ، وسعاد ، ومريم ، وما أشبه ذلك ، والثالث : كل اسم فى آخره هاء التانيث ، مثل : طلحة وحمزة ، وفاطمة ، وخديجة ، وما أشبه ذلك ، والرابع : كل اسم لمؤنث على ثلاثة أحرف متحركة ، مثال : قدم وسفر وطرب وما أشبه ذلك . والخامس : كل اسم للمذكر سميت به مؤنثاً ، أو اسم لمؤنث سميت به مذكراً إذا كان على أكثر من ثلاثة أحرف كرجل سميته زينب ، أو امرأة سميتها جعفر ، وما أشبه ذلك . والسادس : كل اسم على فعل مما لا يحسن فيه الألف واللام مثل : عمر ، وزفر ، وقثم ، وما أشبه ذلك : والسابع : كل اسم على فاعول مما تحسن فيه الألف واللام مثل : طالوت وجالوت وهارون ، وما أشبه ذلك . والثامن : كل اسم على مثال السفل المستقبل أو الأمر ، مثل : أحمد ويزيد ويشكر ، وما أشبه ذلك . والتاسع : كل اسم على فعلان ، أو فعلان ، أو فعلان إذا كانت النون فيه رائدة ، مثل : عثمان وعمران وسلمان ، وما أشبه ذلك . والعاشر : كل اسمين جعلاً اسماً واحداً ، مثل : معد يكرب ، وحضر موت ، ويعليك ، وما أشبه ذلك ^(١) .

هكذا كان النحاس يمثل بأمثلة يسيرة لما يتناوله ، ويتجنب تكرار الأمثلة مكتفياً بعبارة (ما أشبه ذلك) ، أو (وكذلك ما أشبهه) ، ومن هنا جاء كتابه مختصراً موجزاً فى النحو . لقد كان للهدف التعليمى من هذا الكتاب أثر كبير فى اختيار الأمثلة ، فكلها أمثلة مصنوعة سهلة يغلب عليها الوضوح وعدم التكرار بعيداً عن الشواهد ، ويغلب على هذه الأمثلة أن تكون من المطرد فى الاستعمال بعيداً عن الشواذ وهذا يتفق مع السهولة والتيسير التى يحاول كتاب التفاحة أن يحققها لتعلم النحو للمبتدئين ، ومن هنا جاءت أمثلة هذا الكتاب سهلة واضحة لا غموض فيها ولا شواذ ، لتقرب وتوضحها للمتعلمين .

(١) التفاحة من ١٠٠ : ١٠٤ .

رابعاً: القياس

لقد كان النحاس يأخذ بالقياس ويدعو إليه . إن القياس الذى يمكن أن يفهم من التفاحة للنحاس إنما هو ما يمكن أن يسمى بالقياس التطبيقي الاستعمالي^(١) ، فكثيراً ما كان النحاس يردف بعض الأمثلة التى يتناولها بعبارة (وقس عليه) ، ومن ذلك مثلاً :

- يقول النحاس فى باب أقسام الفعل (...) وأما الأمر والنهى ، نحو قولك : قم واذهب ، ولا تدخل ولا تخرج ، وهما مجزومان ، إلا أن يستقبلهما ألف ولام ، أو ألف وصل فيكسران ، كقولك : اضرب القوم ، واطلب الخير ، ولا تطلب الشر ، كسرت الباء من اطلب ولا تطلب ، لالتقاء الساكنين وهما الباء واللام ، ومثله : اكرم القوم ، وادخل الدار ، وادب ابنك ، ولا تطع امرأتك . وقس عليه)^(٢) .

- ويقول فى باب الفاعل والمفعول به (الفاعل رفع أبداً ، تقدم أو تأخر ، والمفعول به نصب أبداً ، تقدم أو تأخر ، تقول من ذلك : ضرب زيد عمراً ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ونصبت عمراً لأنه مفعول به ، ومثله : أكرم أخوك أباك ، وركب زيد فرسك ، ودخل عمرو دارك . وقس عليه)^(٣) .

- ويقول عن حروف الخفض (...) اعلم أن هذه - يريد حروف الخفض - تخفض ما بعدها تقول من ذلك : كتبت إلى زيد ، خفضت زيدا به « إلى » ، ومثله : مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك ، والله لا كلمتك . وقس عليه)^(٤) .

(٢) التفاحة ١١ ، ١٢ .

(٤) نفسه ٢٦ .

(١) انظر د. تمام حسان - الأصول ١٦٤ .

(٣) نفسه ١٤ .

- ويتكلم النحاس عن الحروف الناسخة فى باب الحروف التى تنصب الأسماء وترفع الأخبار ، ويمثل لها ، فيقول (... تقول من ذلك : إن زيدا قائم ، نصبت زيدا بـ « أن » ورفعت قائماً لأنه خبر « إن » ، وفى التثنية : إن الزيدين قائمان ، وفى الجماعة : إن الزيدين قائمون ، ومثله : ليت عمرا قادم ، ولعل أخاك شاخص ، وكان عبد الله أمير . وقس عليه)^(١) .

- ويتكلم النحاس عن جزم جواب الشرط المحذوف الفاء ، يقول فى باب الجواب بالفاء (... وإذا حذفت الفاء من هذه الجوابات فاجزمها ، نحو قولك : أقصد زيدا يحسن إليك ، ولا تقصد عمرا تندم ، ومثله : أين بيتك أذكرك ، وليت لى مالا أنفق . وقس عليه)^(٢) .

- ويقول فى باب المفعول الذى لم يسم فاعله (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعل رفع أبداً ، لأنه قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُربَ زيدا ، رفعت زيدا لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ومثله : أكرم أخوك ، وكلم عبد الله ، وصيغ الخاتم ، وبيع المتاع . وقس عليه)^(٣) . ثم يقول (وإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين أو أكثر ، فارفع الأول وانصب الثانى والثالث ، نحو قولك : أعطى زيد درهما ، رفعت زيدا لأنه مفعول ثان ، ومثله : كسى عمرو ثوباً ، وظن عبد الله شاخصاً ، وأعلم زيد عمرا مقيماً ، وقس عليه)^(٤) .

- تكلم النحاس عن أنواع المعارف فى باب المعرفة والنكرة ، ومثل لها ، ثم قال (... والمضاف إلى أحد هؤلاء المعارف ، نحو قولك : غلام زيد ، ودار الرجل ، وثوبى ، وثوبك . وقس عليه)^(٥) .

(١) الضاحية ٢٩ . (٢) نفسه ٣٨ . (٣) نفسه ٥٣ .

(٤) نفسه ٥٤ . (٥) نفسه ٥٧ .

- تكلم النحاس عن النعت ، ويمثل له بقوله (...) ومثله : جاءنى رجل صالح ومررت برجل ذى مال ، ولقيت أخاك ذا مال ، وكلمت أبا عمرو العاقل ، وكلمت أبوى عمرو الكاتين ، وقس عليه ^(١) .
- ويتكلم عن الفاظ التوكيد ، ويمثل لها ، ثم يقول (...) وتقول : قام القوم جميع وجميعاً ، الرفع توكيد للقوم ، والنصب على الحال . وقس عليه ^(٢) .
- ويتناول النحاس الحال ، ويمثل له ، ويقول (اعلم أن الحال نصب أبداً ، وهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قد تم الكلام دونه ، تقول من ذلك : جاء زيد ركباً ، نصبت ركباً على الحال ، أى جاء فى حال ركوبه ، ومثله : أقبل زيد ضاحكاً ، وهذا أخوك منطلقاً ، وذاك عبد الله هارباً ، وعندك عمرو جالساً . وقس عليه ^(٣) .
- ويتكلم عن التعجب ويمثل له فى باب التعجب ، فيقول (اعلم أن كل ما يتعجب منه بـ « ما » فهو نصب ، تقول من ذلك : ما أحسن زيد ، نصبت زيدا للتعجب ، وفى الثانية : ما أحسن الزيدين ، وفى الجماعة : ما أحسن الزيدين ، ومثله : ما أجمل هذا ، وما أنظف ثوبك ، وما أكرم أخاك . وقس عليه ^(٤) .
- ويذكر النحاس أن حكم المنادى المضاف النصب ، ويمثل له ، فيقول (...) وإذا ناديت مضافاً فأنصبه ، كقولك : يا عبد الله ، يا أبا محمد ، يا غلام زيد ، يا صاحب الفرس ، يا أخانا ، يا أبانا ، وقس عليه ^(٥) .

(٣) نفسه ٧١ .

(٢) نفسه ٦٨ .

(١) التفاحة ٥٨ .

(٥) نفسه ٨٠ .

(٤) نفسه ٧٧ .

- ويوضح النحاس حكم العدد ، ويمثل له ، فيقول فى باب العدد (اعلم أن العدد المذكور من الثلاثة إلى العشرة بالهاء ، وعدد المؤنث من الثلاث إلى العشر بغيرها ، تقول فى المذكور : ثلاثة رجال ، وخمسة أنواب ، وعشرة أيام ، وفى المؤنث : ثلاث نسوة ، وخمس بنات ، وعشر ليال ، وقس عليه)^(١) . ثم يقول (... فإذا جاوزت العشرة حذفت الهاء من العشرة من المذكور وأثبتها فى المؤنث وأسكنت الشين من العشرة من المؤنث ، تقول فى المذكور : أحد عشر رجلا ، وأثنا عشر رجلا ، وثلاثة عشر رجلا . وقس عليه)^(٢) . ثم يقول (... وفى المؤنث : إحدى عشرة امرأة ، واثنى عشرة امرأة ، وثلاث عشرة امرأة . وقس عليه)^(٣) .

ويتكلم النحاس عن حكم المستثنى بـ « إلا » ، ويمثل له ، فيقول (... وإذا استثنيت بـ « إلا » وكان أول الكلام موجباً نصبت المستثنى ، كقولك : قام القوم إلا زيدا ، ومررت بهم إلا عمرا ، هذا دينار إلا قيراطا . وقس عليه)^(٤) .

هكذا كان النحاس يأخذ بالقياس ويدعو إليه ، وقد تبين أن القياس الذى أراده هو القياس التطبيقي ، ذلك أنه كان يمثل لما يريد بالأمثلة التى توضحه ، ثم يدعو إلى القياس على هذه الأمثلة . لقد كان للقياس التطبيقي فى التفاحة أثر كبير فى إيجازه واختصاره من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه يؤكد على الجانب التعليمى بعبارة التى كان يرددها (وقس عليه) إذ كان يحث المتعلمين على إعمال الفكر ، وفى ذلك دعوة صريحة لقياس ما لم يذكره على ما ذكره تجذباً للتكرار ومن هنا . جاء كتابه موجزا ومختصرا ، فيه تركيز لعرض المادة النحوية يبعده عن الإطالة والتكرار . إن القياس التطبيقي الذى كان يدعو إليه أبو جعفر النحاس فى كتابه التفاحة إنما هو قياس على

(٤) نفسه ٨٥ .

(٣) نفسه ص ٨٢ .

(٢) نفسه ٨٢ .

(١) النفاحة ٨١ .

المطرد فى الاستعمال بعيداً عن الشواذ ، فالنحاس لم يدع للمقياس على الشاذ ، بل لم يذكر الشواذ أصلاً فى كتابه التفاحة ، ومن هنا جاء كتابة سهلاً واضحاً بعيداً عن الصعوبة والتعقيد خالياً من الشواذ حتى يحقق الهدف الذى ألف من أجله وهو تعلم النحو للمبتدئين .

خامساً: السماع

لم يعتد النحاس بالسماع وإن كان وقد ورد ذلك عنده مرة واحدة فى باب علامات التأنيث، يقول (. . .) قد جاءت أسماء مؤنثة بلا علامة ، وهى لا تدرك إلا بالسماع ، نحو : السماء ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والرياح ، والنفس ، والنار ، والدار ، والبشر ، والدلو ، والكأس ، والخمر ، والعصا ، والقوس ، والدرع ، والعنكبوت ، والحرب ، والسلاح وهى تذكر وتؤنث ، وكذلك السكين ، والسبيل ، والطريق ، والضياع ، والروح ، والسوق ، والحانوت^(١) .

وهذا معناه أن أبا جعفر النحاس رأى ألا يوسع دائرة السماع فى كتابه التفاحة حتى لا يكون فى ذلك مدعاة لتناوله للشواذ التى سمعت عن العرب ، ولا شك أنه لو كان فعل ذلك لكان قد خرج بالكتاب عن غرضه التعليمى فالكتاب يهدف فى المقام الأول إلى عرض المادة النحوية بإيجاز واختصار مع تركيزها وتهذيبها بما يبعدها عن الشواذ والضرورات التى تزيدها صعوبة وتعقيداً ، ومن هنا رأى النحاس أن تحقيق هدفه التعليمى من هذا الكتاب يتطلب منه تجنب ذكر الشواذ التى لا طائل وراءها من كتاب تعليمى هدفه فى المقام الأول السهولة والتيسير فى عرض المادة النحوية على المتعلمين .

(١) التفاحة ٨٩ : ٩٣ .

سادساً: العلة

يظهر اهتمام النحاس بالعلة واضحاً من خلال بعض الأمثلة التي تناولها ، فقد حاول أن يعلل رفع كلمة « زيد » ، ونصب كلمة « عمرا » فى مثل (ضرب زيد عمرا) ، يقول النحاس (... رفعت زيدا لأنه فاعل ، ونصبت عمراً ، لأنه مفعول به)^(١) .

ويتكلم النحاس عن العلة التى ألزمت الفعل (ضَرَبَ) صورة الأفراد فى مثل : ضرب الزيدان العمرين ، وضرب الزيدون العمرين ، يقول النحاس (... وإنما قلت : ضرب ولم تقل ضربوا ، وهم جماعة ؛ لأن الفعل إذا تقدم وحْد ، وإذا تأخر ثنى وجمع للضمير الذى يكون فيه ، نحو قولك : زيد قام ، والزيدان والزيدون قاما وقاموا ، ثبت قام وجمعت لأنه فعل متأخر)^(٢) .

ويذكر النحاس العلة التى من أجلها سميت حروف الرفع^(٣) بذلك ، فيقول (... وإنما سميت حروف الرفع ، لأنها أكثر ما يجئ بعدها مرفوع ؛ تقول من ذلك : إنما زيد قائم ، رفعت زيدا بالابتداء وقائم خبره ، ومثله : ابن أخوك شاخص ، ومتى عمرو منطلق ، وكيف عبد الله صانع ، وإن زيداً إلا قائم ، ولولا زيد لكلمتك)^(٤) .

والعلة التى من أجله رفع مفعول مالم يسم فاعله - أى نائب الفاعل - أنه قام مقام الفاعل ، يقول النحاس (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعله رفع أبداً لأنه قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُرب زيدٌ ، رفعت زيدا لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ومثله : أكرم أخوك ، وكَلَّمَ عبد الله ، وصيغ الخاتم ، وبيع المتاع)^(٥) .

(٥) نقه ٥٣

(٤) نقه ٥٢

(٣) نقه ٤٦

(٢) نقه ١٤

(١) النفاضة ١٤

ثم يقول (وإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين أو أكثر ، فارفع الأول ، وانصب الثاني والثالث ، نحو قولك : أعطى زيد درهماً ، رفعت زيدا ، لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ونصبت الدرهم لأنه مفعول ثان ، ومثله : كُسى عمرو ثوبا ، وظن عبد الله شاخصاً ، وأعلم زيد عمرا مقيماً ^(١) .

ويعلل النحاس لرفع كلمة « العاقل » فى مثل « قام زيدُ العاقل » ، يقول فى باب النعت (... رفعت زيدا بفعله ، ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد ، وفى التثنية : قام الزيدان العاقلان ، وفى الجماعة : قام الزيدون العاقلون ، ومثله : جاءنى رجل صالح ، ومررت برجل ذى مال ، ولقيت أخاك ذا مال ، وكلمت أبا عمرو العاقل ، وكلمت أبوى عمرو الكاتين ^(٢) .

والعطف هو علة الرفع فى كلمة « عمرو » فى مثل : جاء زيد وعمرو ، يقول النحاس (... رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت عمرا لأنه عطف عليه بالواو ، ومثله : رأيت زيدا فعمر ، ومررت بزيد ثم عمرو ، وجاءنى القوم حتى زيد ، وضربت القوم حتى زيدا ^(٣) .

ويتكلم النحاس عن التوكيد ، ويذكر أن كلمة (نفسه) رفعت لأنها توكيد فى مثل (جاءنى زيد نفسه) ، يقول النحاس (... تقول من ذلك : جاءنى زيد نفسه رفعت زيد لأنه فاعل ، ورفعت نفسه لأنه توكيد لزيد ، ومثله : جاءنى القوم أجمعون ، ولقيتهم أجمعين ، ومررت بهم أجمعين ، ومررت بهم كلهم ، وبهما ، وكليهما ، وفى المونث أيضاً ^(٤) .

ويتكلم النحاس عن البدل ، يقول (... تقول من ذلك : جاءنى أخوك زيد ، رفعت الأخ بفعله زيدا لأنه بدل من الأخ ، وهذا بدل المعرفة من المعرفة ^(٥) .

ولعلة الحال نصبت كلمة «راكباً» فى مثل : جاء زيد راكباً ، يقول النحاس

(١) التفاحة ٥٤ . (٢) نفسه ٥٨ . (٣) نفسه ٦٥ . (٤) نفسه ٦٨ . (٥) نفسه ٦٩ .

(...) نصبت راكباً على الحال ، أى جاء فى حال ركوبه ، ومثله أقبل زيد ضاحكاً ، وهذا أخوك متطلقاً ، وذلك عبد الله هارباً ، وعندك عمرو جالساً^(١) .

ولعلنا نصب حذف النون من الأفعال الخمسة المسبوقة بأداة نصب ، يقول النحاس (...) وفى الثانية : أردت أن تذهباً ، وفى الجماعة : أردت أن تذهبوا ، وفى التانيث : أردت أن تذهبي ، حذف النون من الفعل فى الثانية والجماعة والتانيث للنصب^(٢) .

ويذكر النحاس علة نصب (فأحسن) فى مثل قولنا زرنى فأحسن إليك ، يقول (تقول فى الأمر والنهى : زرنى فأحسن إليك ، ولا تهجرنى فأسى إليك ، نصبت أحسن ، وأسى ، لأنهما جوابا الأمر والنهى بالفاء^(٣) . ثم يقول (وتقول فى الاستفهام : أين زيد فنحدثه ، نصبت نحدثه ، لأنه جواب الاستفهام بالفاء ، وتقول فى التمنى : ليت زيدا عندنا فنكرمه ، نصبت نكرمه ، لأنه جواب التمنى بالفاء ، وتقول فى الدعاء : رزقك الله ما لا فتسع به ، نصبت تتسع لأنه جواب الدعاء بالفاء ، وتقول فى الجحد : مالك مال فتنفقه ، نصبت تنفقه لأنه جواب الجحد بالفاء^(٤) .

وقد تكون علة الجزم سبباً فى حذف النون من الأفعال الخمسة ، يقول النحاس (...) وفى الثانية : لم تذهباً ، وفى الجماعة : لم تذهبوا ، وفى التانيث : لم تذهبي . حذف النون من الفعل فى الثانية والجماعة والتانيث للجزم^(٥) وقد يعبر عن هذا الجزم بحذف حرف العلة من الفعل المعتل ، يقول النحاس (واعلم أن كل فعل فى آخره واو أو ياء أو ألف ، فجزمه بحذف آخره ، نحو قولك : لم تقض ، ولم ترم ، ولم تدع ، ولم تغز ، ولم

(١) الفاعلة ٧١ . (٢) نقه ٢٥ . (٣) نقه ٣٧ . (٤) نقه ٢٨ . (٥) نقه ٤٤ .

تخش ، ولم يرض ، حذفت الياء ، والواو ، والالف للجزم ^(١) . فعلة الجزم هنا هي السبب في حذف حرف العلة .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس يأخذ بالعلة ويهتم بها ، وقد حاول أن يجد تعليلاً لما يحدث في الكلمات من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو حذف مما كان يعرضه في كتابه التفاحة .

سابعاً: العامل

أشار النحاس في كتابه التفاحة إلى العامل ، وللعامل أثر في الكلمة ، فقد يحدث النصب أو الخفض وقد يتجرد الاسم من العامل فيكون مرفوعاً ، ومن هنا قَسَر النحاس رفع المبتدأ بأنه تمهرد من العوامل ، يقول (اعلم أن كل اسم يبتدأ به ولم يعمل فيه عامل ، ناصب أو خافض ، فإنه رفع ، وخبره رفع مثله إذا كان اسماً واحداً ، تقول من ذلك : ريد منطلق ، رفعت ريداً بالابتداء ، ورفعت منطلقاً لأنه خبر الابتداء) ^(٢) .

ويُقَسَّم النحاس العامل إلى ناصب وخافض فقد تكلم عن الاسم المبتدأ الذي لم يعمل فيه عامل ناصب أو خافض ^(٣) ، فيتكلم عن إن وأخواتها ، يقول (إن ريداً قائم ، نصبت ريداً بـ « أن » ورفعت قائماً لأنه خبر « إن ») ^(٤) ، ويقول في « كان ريداً قائماً ، رفعت ريداً لأنه اسم كان ، ونصبت قائماً لأنه خبر كان » ^(٥) . ويتكلم النحاس عن حروف الخفض ، ثم يقول (... اعلم أن هذه تنخفض ما بعدها ، تقول من ذلك : كتبت إلى ريد ، خفضت ريداً بـ « إلى » ، ومثله : مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك) ^(٦) ، فالذي أحدث الخفض هنا حرف الخفض نفسه .

(١) التفاحة ٤٤ . (٢) نفسه ١٦ . (٣) نفسه ١٦ . (٤) نفسه ٢٩ . (٥) نفسه ٣٠ .

(٦) نفسه ٢٦ .

وقد يكون العامل جازماً للفعل ، ومن هنا جاء الفعل (تذهب) مجزوماً فى مثل (لم تذهب يا فلان) ، يقول النحاس (. . .) جزمت تذهب بـ « لَمْ » ^(١) ، للحروف التى تجزم الأفعال المستقبلية ^(٢) .

وقد يكون العامل ناصباً للفعل ، فقد عقد النحاس باباً للحروف التى تنصب الأفعال المستقبلية ^(٣) ، ويمثل النحاس لذلك بأمثلة ، منها (أتيتك لتحسن إلى ، نصبت تحسن بلام كى ، وما كان عبد الله ليشتبك ، نصبت يشتبك بلام الجحود ، وتقول : لا تضرب ريذا وتأخذ ماله ، نصبت تأخذ بواو الصرف ، وتقول : لا أكرمك أو تعطينى نصيباً ، نصبت تعطينى بمعنى حتى تعطينى وإلى أن تعطينى) ^(٤) .

ويتكلم النحاس عن العامل فى المجازاة - أى الشرط - فيوضح أن جزم فعل الشرط عامله « إن » وأما الجواب فقد جُزم لأنه جواب الشرط ، يقول (. . .) وتقول فى المجازاة : إن تكرمنى أكرمك ، جزمت تكرمنى بـ « إن » ، وجزمت أكرمك لأنه جوابه ^(٥) .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يهتم بالعامل ، شأنه فى ذلك شأن المتقدمين الذين شغفوا بالعامل ، ولعل النحاس كان يتخذ من اهتمامه بالعامل مدعاه لتبرير بعض التغيرات النحوية التى قد يسأل عنها المتعلمون ، ومن هنا رأى أن يوضح للمبتدئين أن ثمة عاملاً يحدث هذا التغير أو ذاك فى الكلمة . ومن ثم كان اهتمامه بالعامل فى هذا العمل التعليمى المختصر .

(٣) نفسه ٣١ .

(٢) نفسه ٣٩ .

(١) الفاجعة ٤٤ .

(٥) نفسه ٤٥ .

(٤) نفسه ٣٥ .

ثامناً: المصطلح النحوى فى كتاب التفاحة :

كان أبو جعفر النحاس يأخذ المصطلحات البصرية ، وإن كان أميل إلى استخدام المصطلحات الكوفية ، وفى كتاب التفاحة مصطلحات كوفية تردت عبر صفحات الكتاب ، وهى :

- الحفّض : يقول النحاس (. والحفّض للأسماء خاصة)^(١) ، وقد عبر عنه البصريون بالجر ، ويستخدم النحاس المصطلح البصرى أيضاً ، فنراه يقول (اعلم أن الإعراب على أربعة أوجه : على الرفع والنصب والجر والجزم)^(٢) . ومعنى هذا أن النحاس كان يأخذ بالمصطلح الكوفى ولا يرفض المصطلح البصرى .

- حروف الحفّض : عقد النحاس باباً سماه (باب حرف الحفّض)^(٣) ، وهو ما عبر عنه البصريون بحروف الجر ، لقد ذكر النحاس فى تعريف الاسم أنه ما صلح فيه حرف من حروف الحفّض^(٤) ، أى حروف الجر .

- الجحد : مصطلح كوفى عبر به النحاس عن النفى عند البصريين ، يقول فى باب حروف الاستثناء (. وإن كان أول الكلام جحداً أجريت ما بعد إلا على ما قبلها من الإعراب على البذل ، كقولك : ما أثنى أحد إلا أبوك ، وما رأيت أحداً إلا أباك ، وما مررت بأحد إلا أيبك)^(٥) .

- المفعول الذى لم يسم فاعله : مصطلح كوفى ، عبر به النحاس عن نائب الفاعل عند البصريين ، وعقد باباً سماه باب المفعول الذى لم يسم فاعله ، جاء فيه (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعله رفع أبداً ، لأنه

(١) التفاحة ٣ ، وانظر ص ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٢٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، وانظر مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٥ .

(٢) نفسه ٣ . (٣) نفسه ١٨ .

(٤) نفسه ١ ، وانظر ص ١٦ ، ١٨ ، وانظر مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٥ .

(٥) نفسه ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر ص ٣٥ ، وانظر معانى القرآن الفراء ١/ ٥٢ .

قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضَرَبَ رِيْدٌ . رفعت ريْدًا لأنه مفعول لم يسم فاعله ^(١) .

- التفسير : عبر النحاس بهذا المصطلح الكوفى عما عبر به البصريون بـ « التمييز » ، يقول (. . . .) واعلم أن كل شئ ذكرته عما يحتمل أنواعاً ثم فسرتة بنوع نكره ، كان التفسير نصباً ، تقول من ذلك عندى خمسة عشر درهماً ، نصبت الدرهم على التفسير ^(٢) . ويستخدم النحاس إلى جانب هذا المصطلح الكوفى المصطلح البصرى وهو التمييز ، فنراه يقول (. . .) تقول من ذلك عندى خمسة عشر درهماً ، نصبت الدرهم على التفسير ، ويقال على التمييز ^(٣) .

- النعت : استخدم النحاس هذا المصطلح الكوفى للدلالة عما عبر به البصريون عن الصفة ، يقول فى باب ما يتبع الاسم اعرابه (. . .) اعلم أن النعت تابع للاسم فى إعرابه وتعريفه وتنكيره ، إن كان الاسم رفعاً فنعته رفع ، وإن كان نصباً فنعته نصب ، وإن كان خفضاً فنعته خفض ، وإن كان معرفة فنعته معرفة ، وإن كان نكرة فنعته نكرة ، تقول من ذلك : قام زيد العاقل ، رفعت ريْدًا بفعله ، ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد ^(٤) . وقد ذكر أبو حيان أن النعت مصطلح الكوفيين ، ثم قال (. . .) وربما قاله البصريون والأكثر عندهم الوصف والصفة ^(٥) .

- واو الصرف : عبر النحاس بهذا المصطلح الكوفى ^(٦) عما سماه البصريون

(١) التفاحة ٥٣ ، ٥٤ ، وانظر معانى القرآن للفراء ٣٠١/١ .

(٢) التفاحة ٧٦ ، وانظر معانى القرآن ٢٢٥/١ ، ومجالس ثعلب ٤٢٥/٢ .

(٣) التفاحة ٧٦ .

(٤) نفسه ٥٨ ، وانظر معانى القرآن ١١٢/١ ، ١٤٥/٢ ، ١٤٦ .

(٥) جمع الهوامع / ١١٦ . (٦) انظر معانى القرآن للفراء ٣٤/١ ، ١١٥ .

بـ « واو المعية » ، وقد عدّها من الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلية^(١) .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يميل إلى استخدام المصطلحات الكوفية ، وإن كان هذا لا ينفى استخدامه لمصطلحات البصريين ، فقد كان يأخذ بمصطلحاتهم ، ثم يختار من مصطلحات الكوفيين ما يراه مناسباً .

ورثة مصطلحات أخرى استخدمها النحاس فى كتابه التفاحة فى النحو ، ومنها :

- العربية : استخدم النحاس هذا المصطلح للدلالة على أنواع الكلام ، فقد جاء فى باب أقسام العربية (اعلم أن العربية على ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف جاء المعنى)^(٢) . فاستخدام المصطلح هنا يشير إلى الكلام ، وقد قسمه النحاس إلى اسم وفعل وحرف .

- فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد ، استخدمه النحاس للدلالة على الأفعال الخمسة ، يقول (... ورفع فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد ، يكون بالنون ، ونصبهما وجزمهما بحذف النون ...)^(٣) .

- فعل مستقبل : أراد به النحاس الفعل المضارع ، يقول فى باب أقسام الأفعال (اعلم أن الأفعال على أربعة أقسام : فعل ماض ، وفعل مستقبل ، والأمر ، والنهى)^(٤) ، فالفعل المستقبل هنا هو الفعل المضارع ، وقد عقد النحاس بابين ، أحدهما باب الحروف التى تنصب

(١) التفاحة ٣١ ، ٣٣ . (٢) نفسه ١ .

(٣) نفسه ٨ ، وقد استخدم الزجاجي (الأفعال الخمسة) ، انظر الجمل ٤ .

(٤) التفاحة ١٠ ، وانظر ص ١٠٣ .

الأفعال المستقبلية^(١) ، والثاني باب الحروف التي تجزم الأفعال المستقبلية^(٢) ، فالأفعال المستقبلية هنا يراد بها المضارع ، ذلك أن النصب والجزم كليهما خاص بالفعل المضارع .

لقد استخدم النحاس مصطلح الفعل المضارع أيضاً ، يقول (. . .) والمضارع : ما كان أوله حرف من حروف الاستقبال (. . .)^(٣) . وهذا معناه أن النحاس عبر عن المضارع بمصطلحين أحدهما (المستقبل) والثاني (المضارع) .

- حروف الاستقبال : عبر النحاس بهذا المصطلح عن الحروف التي تحول الماضى إلى مضارع ، وهى حروف المضارعة ، يقول (. . .) حروف الاستقبال ، وهى أربعة أحرف : التاء ، والياء ، والنون ، والالف ، كقولك : تقوم ، ويقوم ، ونقوم ، وأقوم ، وما أشبه ذلك^(٤) .

- المجازة : مصطلح استخدمه النحاس للدلالة على الشرط ، يقول (. . .) وتقول فى المجازة : إن تكرمى أكرمك ، جزمت تكرمنى بـ « إن » ، وجزمت أكرمك لأنه جوابه ، فالأول شرط والجواب جزاء ، ومثله : إينما تكن أقصدك ، ومهما تصنع أصنع ، وأينما تذهب أذهب^(٥) . ثم يقول (وإذا أدخلت الفاء فى جواب المجازة ، رفعته ، كقولك : مَنْ يكرمنى فأكرمه ، ومن يقصدنى فأحسن إليه ، رفعت أكرمه ، وأحسن ، لأنه جواب المجازة بالفاء)^(٦) .

- حروف المجازة : عبر بها النحاس عن حروف الشرط ، يقول (. . .) وحروف المجازة ، وهى : إن ، ومن ، ومأ ، ومهما ، ومتى ، ومتى ، ما ، وأين ، وأينما ، وكيفما ، وحيثما ، وإذا ما ، وإذا ما ، وأى ، وأيهم^(٧) .

(١) انظر التفاحة ٣١ . (٢) نفسه ٣٩ . (٣) نفسه ١٠ . (٤) نفسه ١٠ ، ١١ .

(٥) نفسه ٤٥ . (٦) نفسه ٤٥ . (٧) نفسه ٤٠ .

- المعهود : مصطلح عبر به النحاس عن الاسم الذى فيه ألف ولام للتعريف ، وقد عده من المعارف^(١) ، يقول (... والمعهود ما كان أوله ألف ولام للتعريف ، كقولك : الرجل والفرس والدار والثوب وما أشبه ذلك)^(٢) .

- المبهم : عبر به النحاس عن اسم الإشارة ، وعده من المعارف^(٣) ، يقول (... والمبهم ما يشار به إلى الشئ ، نحو قولك : هذا وهذه ، وذلك ، وذاك ، وتلك ، وما أشبه ذلك)^(٤) .

- المضمر : أراد به الضمير ، وهو من المعارف^(٥) ، يقول النحاس (... والمضمر نحو قولك : هو ، وهى ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، ونحو «التاء» فى : ضربت ، و «نا» فى ضربنا ، و «نى» فى ضربنى ، والياء فى دارى ، وثوبى ، وما أشبه ذلك)^(٦) .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يأخذ بمصطلحات الكوفيين والبصريين ، فضلاً عن مصطلحاته الخاصة التى أوردها فى كتابه التفاحة ، ومن هنا كانت بدايات نزعة البغدادية فى اختيار ما يراه مناسباً من مصطلحات البصريين أو الكوفيين ، فقد كانت مصطلحاته فى كتاب التفاحة مزيجاً من هؤلاء وأولئك وهذا هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى ، الا وهو الاختيار من آراء ومصطلحات البصريين والكوفيين .

تاسعاً : النحاس وآراؤه النحوية :

يقوم الفكر النحوى للنحاس على أساس الاختيار من آراء البصريين والكوفيين ، ومن هنا يمكن أن نعهده ببغدادى المذهب ، فالمذهب البغدادى قام

(١) انظر التفاحة ٥٥ . (٢) نفسه ٥٦ . (٣) انظر التفاحة ٥٥ . (٤) نفسه ٥٦ .

(٥) انظر التفاحة ٥٥ . (٦) نفسه ٥٦ .

على أساس الاختيار من آراء هؤلاء وأولئك ، والنحاس يعد واحداً من العلماء الذين ينتمون إلى هذا المذهب البغدادي ، ويمكن أن نتناول آراء النحاس من خلال كتاب التفاحة في النحو كمايلي :

- يرى النحاس أن الأسماء الخمسة معربة بحروف العلة ، يقول (. . . وخمسة أسماء معتلة مضافة ، رفعها بالواو ونصبها بالالف وخفضها بالياء ، وهى : أبوك ، وأخوك ، وحموك ، وفوك ، وذو مال . والنصب : أباك وأخاك وحماك وذامال ، والخفض : أبيك وأخيك وحميك وفيك وذى مال^(١) . فحروف العلة هنا ، الالف والواو والياء ، هى علامة الإعراب فى الأسماء الخمسة ، وهذا الرأى يتفق مع قُطرب وهشام من الكوفيين ، والزجاجى من البغداديين^(٢) .

- ذهب النحاس إلى أن المثنى وجمع المذكر إعرابهما بالحروف لا نيابة عن حركات مقدرة ، فيرفعان بالالف والواو ، وينصبان بالياء ، يقول النحاس فى باب رفع الاثنين والجمع (ورفع الاثنين بالالف ونصبهما وخفضهما بالياء ، نقول فى الرفع : الزيدان والعمران والبكران ، وعلامة الرفع فيهما الالف التى قبل النون ، ونقول فى النصب والخفض : الزيدين والعمرين والبكرين ، وعلامة النصب فيهما الياء التى قبل النون . ورفع الجمع الذى على هجاءين : بالسواو ، نحو قولك : الزيدون والعمرون والبكرون ، ونصبهم وخفضهم بالياء ، نحو قولك : الزيدين والعمرين والبكرين^(٣) . إن ما ذهب إليه النحاس هنا هو رأى الكوفيين ، وقطرب والزجاج والزجاجى^(٤) .

- اختار النحاس رأى الكوفيين فى أن فعل الأمر معرب مجزوم ، لا مبنى

(٣) التفاحة ٧ .

(٢) انظر مع الهوامع ٣٨/١ .

(١) التفاحة ٤ ، ٥ .

(٤) انظر مع الهوامع ٤٧/١ .

كما ذهب البصريون ، ومن هنا نراه وقد تناول فعل الامر مع المضارع المسبوق بـ « لا الناهية » بوصفهما مجزومين ، يقول (. . . .) وأما الامر والنهى ، نحو قولك : قم واذهب ، ولا تدخل ، ولا تخرج ، وهما مجزومان ^(١) .

- اختار النحاس رأى الكوفيين فى أن « حتى ، ولام الجحود ، ولام كى ، وفاء السببية ، وواو الصرف ^(٢) - أى واو المعية - كلها تنصب المضارع دون تقدير « أن » ومذهب البصريين أن الناصب أن المضمرة ^(٣) .

- يتفق رأى النحاس مع الأخفش فى أن المضاف إليه مجرور بالإضافة لا بالمضاف كما ذهب سيبويه ^(٤) ، يقول النحاس (. . .) وإذا أضفت اسماً إلى اسم فالثانى مخفوض بالإضافة ، تقول : غلام زيد ، وفرس عمرو ، ودار أخيك ، وثوب أبيك ، خفضت الثانى فى كل ذلك بإضافة الأول إليه ^(٥) .

- اختار النحاس رأى الكوفيين والأخفش فى أن « لاسيما » من أدوات الاستثناء ^(٦) ، وذكر أن ما بعدها يجوز فيه الرفع والخفض ، يقول (. . .) وإذا استثنيت بـ « لاسيما » فإن شئت رفعت ، وإن شئت خفضت ، كقولك : ضربنى القوم لاسيما زيداً ، ولاسيما زيد ^(٧) .

- اختار النحاس رأى الكوفيين والبغداديين فى أن « بله » من أدوات الاستثناء ^(٨) .

(١) التضاحة ١١ ، وانظر الانصاف ٥٢٤/٢ ، والهمع ١٥/١ .

(٢) انظر التضاحة ٣٢ وما بعدها . (٣) انظر مع الهوامع ٧/٢ ، ٨ ، ١٤ ، ١٧ .

(٤) انظر الكتاب ٤١٩/١ ، ٤٢٠ ، مع الهوامع ٤٦/٢ . (٥) التضاحة ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) انظر التضاحة ٨٥ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٢٦٢/٢ ومع العوامع ٢٣٤/١ .

(٧) التضاحة ٨٧ .

(٨) انظر التضاحة ٨٤ ، وانظر شرح الجمل لابن عصفور ٢٦٢/٢ ، ومع الهوامع ٢٣٥/١ .

- ذهب النحاس مذهب البصريين في أن الفعل إذا تقدم وحّد ، وإذا تأخر ثنى وجمع للضمير الذى يكون فيه ، نحو قولك : زيد قام ، والزيدان والزيدون : قاما وقاموا ، ثبت قام وجمعه لأنه فعل متأخر^(١) .

- اختار النحاس مذهب البصريين في أن المبتدأ يرتفع بالابتداء ، يقول (اعلم أن كل اسم يتبدأ به ولم يعمل فيه عامل ناصب أو خافض فإنه رفع ، وخبره رفع مثله ، إذا كان اسماً واحداً ، تقول من ذلك : زيد منطلق ، رفعت زيدا بالابتداء ، ورفعت منطلقاً لأنه خبر الابتداء^(٢)) . ومذهب الكوفيين أن المبتدأ يرفع الخبر ، والخبر يرفع المبتدأ ، فهما يترافعان^(٣) .

- اختار النحاس رأى الزجاجى فى عدّ « كان وأخواتها » حروفاً^(٤) ، وعقد لذلك باب الحروف التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، وعد منها : كان وصار وظل وبات وأمسى وأصبح ولم يزل ولا يزال وما زال وما دام وما أنفك^(٥) .

- عدّ النحاس واو رُبّ من حروف الخفض^(٦) ، وهذا مذهب الكوفيين وأما البصريون فمذهبهم أن واو رُبّ لا تعمل ، وإنما العمل له « رُبّ المحذوفة »^(٧) .

هكذا كان أبو جعفر النحاس يأخذ من آراء البصريين ولا يرفض آراء الكوفيين ، والظاهر أن ميله إلى السهولة والتيسير هو الذى دفعه إلى الأخذ تارة بآراء الكوفيين وأخرى بآراء البصريين ، ذلك أن التعصب للمذهب بعينه ليس هو الأساس فى تيسير النحو ، وإنما الأساس هو اختيار الرأى الأكثر مناسبة بعيداً

(١) انظر النحافة ١٤ ، وانظر مع الهوامع ١/ ١٦٠ .

(٢) النحافة ١٦ . (٣) انظر الانصاف ١/ ٤٤ . (٤) انظر النحافة ٣٠ ، والجمل ٤١ .

(٥) النحافة ٣٠ . (٦) انظر النحافة ٢٣ . (٧) انظر الإنصاف ١/ ٣٧٦ .

عن كونه للبصريين أو الكوفيين فالأمر سيان ، ومن هنا تزاوجت الآراء البصرية جنباً إلى جنب الآراء الكوفية فى كتاب التفاحة ، فما دام هذا الرأى أو ذاك يحقق السهولة واليسير فى عرض المادة النحوية للمتعلمين فلا مانع من الأخذ به ، وهذا هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى ، وأبو جعفر النحاس واحد من أعلام هذا المذهب .

عاشراً: مكانة كتاب التفاحة فى النحو التعليمى

أولاً: الكتب النحوية التعليمية المتقدمة على التفاحة

أ- الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ

ب- الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ

يعرف الاتجاه التعليمى فى النحو كتابين تعليميين متقدمين على التفاحة للنحاس ت ٣٣٧ هـ ، أحدهما كتاب الموفقى فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ ، والثانى كتاب الموجز فى النحو لابن السراج ت ٣١٦ هـ ، لقد تأثر أبو جعفر النحاس بابن كيسان أيما تأثر ، ذلك أن أبا جعفر النحاس كان تلميذاً لابن كيسان ، ومن هنا سار التلميذ على نهج أستاذه فى التأليف فى النحو التعليمى من ناحية ، وفى اختياره المذهب البغدادى من ناحية أخرى ، لقد وضع ابن النديم ابن كيسان مع العلماء الذين خلطوا المذهبين^(١) - يريد البصرى والكوفى - ووصفه بأنه كان فاضلاً خلط المذهبين ، وأخذ عن الفريقين^(٢) . ومن هنا نرى أبا جعفر النحاس وقد سار على منهج أستاذه ، فقد كان يأخذ من آراء البصريين والكوفيين ، ومن هنا يمكن أن نعهده ببغدادى المذهب .

لم تذكر كتب التراجم والطبقات أية علاقة بين أبى جعفر النحاس

(١) انظر الفهرست ٨٧ .

(٢) نفسه ٨٩ ، وانظر طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ .

وأبى بكر بن السراج ت ٣١٦ هـ ، ولكن الاثنین یستفان معاً فی كونهما من أصحاب المؤلفات التعليمية فی النحو ؛ لقد صنف ابن السراج كتاب الموجز فی النحو ، وهو كتاب تعليمی مختصر فی النحو ، ويعد الموجز الكتاب الثانى فى الاتجاه التعليمى .

ويستكمل أبو جعفر النحاس مسيرة الاتجاه التعليمى ، فىؤلف كتابه التفاحة فى النحو ، ويعد كتاب التفاحة ثالث كتاب فى الاتجاه التعليمى .

تتشرك هذه الكتب الثلاثة فى كونها تعليمية من ناحية ، وفى سهولة عرضها للمادة النحوية بعيداً عن الحشو والتعقيدات من ناحية أخرى ، فهى من المختصرات النحوية التى ألفت لتعلم النحو للمبتدئين . لقد أدرك أصحاب هذه المختصرات أن المؤلفات الموسوعية فى النحو لا تصلح للتعلم ، وذلك لكثرة شواهدا وغزارة مادتها العلمية ، ومن هنا شعروا بحاجة الناس إلى مصنفات نحوية موجزة تختلف عن كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ ، وعن المقتضب للمبرد ت ٢٨٥ هـ ، بل وحتى عن مؤلفاتهم هم أنفسهم الموسوعية . فأبى جعفر النحاس له مؤلفات تسم بالموسوعية منها : إعراب القرآن ، وشرح أبيات سيبويه ، والقطع والائتناف ، ولابن السراج ت ٣١٦ هـ كتابه الأصول فى النحو . إن المادة العلمية فى هذه الكتب لا تصلح للمبتدئين ، وذلك لصعوبتها وغزارة مادتها العلمية وكثرة شواهدا ، ومن هنا أدرك أصحاب هذه المختصرات أن مؤلفاتهم هم أنفسهم الموسوعية لا تصلح للتعلم ، ومن ثم يدارا فى تأليف المختصرات النحوية التى تسم بسهولة مادتها العلمية وقلة شواهدا مع التركيز على المادة النحوية بعيداً عن الشواذ والتعقيدات .

ويعد كتاب الموفقى^(١) فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ أول كتاب فى

(١) كتاب الموفقى لابن كيسان نجيب بن عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الرابع العدد الثانى ١٩٧٥م من ص ١٠٣ - ١٢٤ .

الاتجاه التعليمي ، لقد صنف ابن كيسان هذا المختصر بعد أن سمع من رجل اسمه حسان أن الموفق بالله القائد العباسي طلب شيئاً من مختصرات النحو ، ويبدو أن كتباً كانت قد صُنفت له في هذا المجال ، ثم صنف ابن كيسان كتاباً مختصراً آخر في النحو ، وقد صرح ابن كيسان بهذا في مقدمه كتابه ، فقال (. . . قال لي ابن حسان : طلب الموفق شيئاً من مختصرات النحو ، فَعَمِلَ له غير كتاب . قال أبو الحسن : فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب)^(١) .

وإذا كان كتاب ابن كيسان قد بدأه بمقدمة توضح سبب تأليفه ، فإن كتاب الموجز لابن السراج ت ٣١٦هـ يخلو من المقدمة تماماً ، فقد بدأه ابن السراج بالكلام ، وأنه على ثلاثة أقسام : اسم ، وفعل ، وحرف ، ويبدو أن الكتاب يمثل مجموعة من المحاضرات أملاها أبو بكر بن السراج على تلاميذه ، فقد جاء في آخره أن الناسخ كتبه من نسخة (مقروءة على الشيخ أبي على النحوى صاحب أبي بكر السراج ، وعارضته بنسخة بغدادية على ظهرها : أملاه علينا أبو بكر مجلساً مجلساً إملاءً ، وابتداء به في سنة أربع وثلاثمائة)^(٢) .

وأمّا كتاب التفاحة في النحو للنحاس ت ٣٣٧هـ ، فإنه يخلو من المقدمة أيضاً ، وإن كان قد جاء في أوله العبارة التالية : (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه ، فيه فائدة عظيمة ، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ من الأجرومية والملحة ، فهو الحقيقة بأن يقال فيه :

سهم الفناء أمضى مدى من رمحه والسيف يوم طعانه وضرايه
فعلبك أيها المبتدئ في هذا الفن بحفظه ، وتحقيقه واثقان لفظه والله المستعان)^(٣) .

(١) الموفقى ص ١٠٦ . (٢) الموجز ٢٧ . (٣) الموجز ١٧٧ . (٤) التفاحة ٢٨ .

والظاهر أن هذه العبارة كتبت متأخرة^(١) ، وأنها من إضافات النُسخ ، فابن
أجروم صاحب الأجرومية ت ٧٢٣هـ ، والحريزي صاحب ملحمة الإعراب ت
٥١٦هـ ، وكلاهما متأخران ، وهذا معناه أن هذه العبارة ليست ضمن متن
التفاحة نفسه ، ولكنها كتبت متأخرة بدليل أن الإشارة فيها إلى الأجرومية
وملحمة الإعراب ، وهذان الكتابان كلاهما متأخران على التفاحة ، ومن ثم
فإن كتاب التفاحة يخلو من المقدمة ، وقد بدأه مؤلفه بالكلام عن أقسام العربية
ثم باب الإعراب .

تتصل مادة هذه الكتب الثلاثة بالنحو اتصالاً وثيقاً ، فتعرض مادتها العلمية
بإيجاز وباختصار وبأسلوب سهل يسير بعيداً عن الحشو والتعقيد ، ومن هنا
جاءت هذه الكتب مختصرة وموجزة لتفي بحاجة المستثنين ، ولتسد حاجة
المتعلمين في النحو .

يضم كتاب الموقفى في النحو لابن كيسان ثلاثاً وثلاثين باباً تناولت أبواب
النحو العربي كله فى سهولة ويسر ، واقتصرت المباحث الصرفية عنده على باب
ما يعرض فى الأسماء ، وقد تناول فيه ابن كيسان جمع التكسير ، والتصغير
والنسبة ، والكتاب يخلو من المباحث الصوتية تماماً . إن كلام ابن كيسان عن
حروف الحلق جاء عرضاً عندما تناول باب معرفة الأفعال وتصرفها^(٢) ، يقول
(...) ويكون على فَعَلٍ يَفْعَلُ ويفْعُلُ نحو : ضرب يضرب ضرباً وهو ضارب
والمفعول مضروب ، وكذلك يقتل قَتلاً وهو قاتل والمفعول مقتول ، وهذا
مستقبله يكون على وجهين بالضم والكسر جميعاً ، وربما فتح إذا كانت فيه
حروف الحلق ، وهى : الهزمة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، وذلك
أن تقع فى موضع السلام أو العين من فعل ، فيفتح فى الاستقبال^(٣) .
هكذا أشار ابن كيسان إلى حروف الحلق . ويبدو أن وعيه بأن الهدف من

(١) انظر كتاب التفاحة تحقيق د. ماهر عبد الغنى ص ٢٨ ، وانظر أيضاً تحقيق كوركيس عواد ص ٥٠٧ .

(٢) انظر الموقفى ١١٥ . (٣) نفه ١١٦ .

كتابه أن يكون تعليمياً هو الذى دفعه إلى مثل هذا الإيجاز والاختصار ، فقد رأى ألاّ يخصص باباً مستقلاً للأصوات حتى لا تستنفى صفة الإيجاز من الكتاب ، فضلاً عن صعوبة هذا المبحث الصوتى

وعما تناوله ابن كيسان عرضاً دون أن يخصص له باباً مستقلاً الإدغام ، فقد أشار إلى إدغام التاء فى الطاء ، والدال^(١) ، وعدّ من ذلك قوله تعالى ﴿ اطيرنا بك وبمن معك ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿ ادرك علمهم ﴾^(٣) ، وقوله تعالى ﴿ وإذا ادركوا فيها ﴾^(٤) ، الأصل تطيرنا بك وأدغمت التاء فى الطاء وأيضاً الأصل تداركوا فأدغمت التاء فى الدال^(٥) .

ويختلف كتاب الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ من هذه الناحية ولقد تناول ابن السراج البحث الصوتى من خلال مبحث كامل جعله للإدغام^(٦) ، تناول فيه حروف المعجم ، ومخارج الحروف وأصنافها ، ثم تناول إدغام الحرفين المتماثلين ، وإدغام الحرفين المتقاربين ، وأخيراً عالج إدغام المخارج المتقاربة . إن البحث الصوتى عند ابن السراج جاء من خلال ظاهرة الإدغام التى عالجها ابن السراج فى آخر الموجز ، لم يتناول ابن السراج كل القضايا الصوتية فى مبحث واحد فثمة قضايا وردت متفرقة ، فقد عالج الإمالة فى مبحث مستقل جعله بعنوان ذكر الإمالة^(٧) ، وأوضح أن معناها : أن تحمّل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة ، ثم عقد باباً تناول فيه ما يمنع الألف من الإمالة^(٨) ، وباب الراء^(٩) ، وباب الفتحة الممالة^(١٠) ، وهكذا جاء البحث الصوتى فى آخر الكتاب من ناحية ، وفى أماكن متفرقة من ناحية أخرى .

وأما كتاب التفاحة فى النحو للنحاس ت ٣٣٧ هـ فيدخلو من المباحث

(١) انظر السابق ١١٨ . (٢) النحل ٤٧ . (٣) النمل ٦٦ . (٤) الأعراف ٣٨

(٥) انظر الموقفى ١١٨ . (٦) الموجز ١٦٥ وما بعدها . (٧) نفسه ١٣٩ وما بعدها .

(٨) نفسه ١٤١ . (٩) نفسه ١٤٢ . (١٠) نفسه ١٤٣ .

الصوتية والصرفية تماماً ، لقد جاء كتاب التفاحة ، نحويّاً فقط ، عرض فيه مؤلفه للقضايا النحوية بأسلوب سهل ويسير بما يجعله موجزاً صالحاً لتعلم النحو للمبتدئين ، وقد رأى النحاس ألا يعرض للمبحثين الصوتي والصرفي حتى ولو عرضاً إذ أن مثل هذه الموضوعات قد تنفى من الكتاب صفة الإيجاز والاختصار من ناحية ، فضلاً عن صعوبتها من ناحية أخرى .

تكاد تتفق الكتب التعليمية فى قلة شواهدها ، ويرجع هذا إلى اهتمامها بالمادة العلمية مع التمثيل لها بأمثلة يسير سهلة تبعتها عن الصعوبة والتعقيد ، ومن هنا فإن كتاب الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ يخلو تماماً من الشواهد الشعرية والنثرية ، وقد اكتفى ابن كيسان بالاستشهاد بأجزاء من آيات قرآنية ، بلغ عددها ست آيات وجزء من آية . وأما كتاب الموجز فقد استشهد فيه ابن السراج بشواهد شعرية بلغ عددها ١٧ شاهداً ، وبلغ عدد الشواهد القرآنية ٢٧ شاهداً . ويخلو كتاب التفاحة لآبى جعفر النحاس من الشواهد تماماً بجميع أنواعها الشعرية والنثرية ، وقد اكتفى مؤلفه بالأمثلة السهلة اليسيرة لتوضيح ما يريد .

إن عدم اهتمام أصحاب هذه المؤلفات التعليمية بالشواهد أمر يتفق مع هدفهم فى كون هذه المؤلفات مختصرة وموجزة ، ومن هنا ركزوا على المادة العلمية مع عرضها بأسلوب سهل ويسير يبعدها عن التعقيد والصعوبة .

ثانياً : الكتب النحوية التعليمية المتأخرة على التفاحة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

أ- كتاب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ

ب- كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ

لقد عرف الاتجاه التعليمى هذين الكتابين التعليميين بعد كتاب التفاحة لآبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ . والناظر فى هذين الكتابين يلاحظ منذ السهولة الأولى كبر حجمهما بالقياس لكتاب التفاحة .

يخلو كتاب الجمل للزجاجي ت ٣٤٠ هـ من المقدمة شأنه في ذلك شأن كتاب التفاحة ويعرض فيه مؤلفه لأبواب النحو العربي كلها بأسلوب سهل يسير يتفق والاتجاه التعليمي . وقد رأى مؤلفه أن يعرض لمباحث التصريف والأصوات في آخر كتابه^(١) . فقد تكلم عن الحروف المهموسة والحروف المجهورة وعرضهما بأسلوب سهل يسير^(٢) ولكن أبا جعفر النحاس لم يعرض لهذه الموضوعات ولهذا جاء كتابه مختصراً في النحو فلم يعرض فيه للمباحث الصرفية أو الصوتية ومن ثم جاء الكتاب صغيراً .

وما انفرد به كتاب الجمل للزجاجي إضافة أبواب في الهجاء^(٣) وأحكام الهمزة في الخط^(٤) . وهذه المباحث التي تتصل بقضايا الإسلام والخط رأى النحاس ألا يعرض لها في كتابه التفاحة وقد ساعده هذا على أن يكون كتابه أكثر إيجاراً وأصغر حجماً .

ويتفق الجمل للزجاجي مع التفاحة لأبي جعفر النحاس في اختياره بعض المصطلحات الكوفية ، فقرأ يستخدم الخفض ، وحروف الخفض^(٥) ، والنعت^(٦) ، والجد^(٧) ، وما لم يسم فاعله^(٨) . ولكن هذا لا يمنعه من الأخذ بمصطلحات البصريين ، وفي هذا ما يؤكد أن مذهبه كان قائماً على الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية ، وهذا الأساس أخذ به أبو جعفر النحاس من قبل في التفاحة .

وإذا كان كتاب التفاحة لأبي جعفر النحاس يعتمد على الأمثلة المصنوعة ويخلو من الشواهد (القرآنية والشعرية) فإن كتاب الجمل للزجاجي يعتمد في

(١) انظر الجمل باب التصريف ٣٩٩ . (٢) نفسه ٤١٢ ، ٤١٣ وما بعدها .

(٣) انظر الجمل باب الهجاء ٢٧٠ ، وانظر من ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤) نفسه باب أحكام الهمزة في الخط من ٢٧٩ . (٥) انظر الجمل من ٦٠ .

(٦) الجمل ١٣ . (٧) نفسه ١٨٥ ، ٢١٠ . (٨) نفسه ٧٦ .

المقام الأول على الشاهد القرآني^(١) والشاهد الشعري^(٢) بل ورد فيه حديثان شريفان^(٣) ، فضلاً عن أقوال وأمثال للعرب^(٤) ، ولعل هذا ما ساعد على كبر حجم الجمل بالقياس لكتاب التفاحة ، فعدد الآيات القرآنية ١٣٨ آية وجزء من آية ، وعدد الشواهد الشعرية ١٦١ شاهدا .

وأما كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، فإنه يمثل نهاية القرن الرابع الهجرى . يشترك هذا الكتاب مع التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ فى كونه من المؤلفات التعليمية فى النحو ، فهو كتاب تعليمى سهل الأسلوب عرض فيه ابن جنى لمباحث النحو العربى بإيجاز ، ولكن حجم هذا الكتاب يعد كبيراً بالقياس لكتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس .

يتفق هذا الكتاب مع التفاحة فى بعده عن عرض المسائل الصرفية والصوتية ، وقد بدأه ابن جنى بالحديث عن الكلام وأنواعه وباب المعرب والمبنى ثم ضم الموضوعات المتشابهة معاً ، وقد بدأ بالأسماء المرفوعة باب المبتدأ ، وباب خبر المبتدأ ، وباب الفاعل ، وباب المفعول الذى جعل الفعل حديثاً عنه وهو ما لم يسم فاعله ، أى نائب الفاعل ، ثم تناول الأسماء المنصوبة وعالج فيها باب المفعول المطلق ، وباب المفعول به ، وباب المفعول فيه ، وباب المفعول له ، والمفعول معه ، ثم تناول الأسماء المشبهة بالمفعول وعدّها منها : باب الحال ، وباب التمييز ، وباب الاستثناء ، ثم عالج المجزورات بحروف الجر والإضافة . ثم تناول ما يتبع الاسم فى إعرابه ومن ذلك باب

(١) انظر مثلاً الجمل ص ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ١٠٥ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ، ٣٥٣ .

(٢) انظر مثلاً الجمل ص ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ .

(٣) انظر الجمل ص ٢٦١ ، وفيه حديث الرسول ﷺ (البكر تستأمر ، واليب تعرب عن نفسها ، وانظر ص ٢٠٨ ، وفيه (.. وروى عن رسول الله ﷺ ... قال فى بعض المنازى : لتأخذوا مصافكم) .

(٤) انظر مثلاً الجمل ص ١٢٠ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٢ ، ٢٣١ ، ٢٧٦ .

الوصف ، وباب التوكيد ، وباب البدل ، وباب عطف البيان ، باب العطف .
ثم تناول إعراب الأفعال ، وعالج النسب والتصغير ، وعقد باب الفات القطع
والوصل ، وباب الإحالة ، وهو آخر ما عالج ابن جنى فى اللمع .

إن هذا العرض يدل على عقلية علمية منظمة عرض فيها صاحبها
للموضوعات المتشابهة وعالجها معاً ، لقد عرض ابن جنى مادة كتابه اللمع
بأسلوب سهل ويسير ، ولكن هذا الكتاب يختلف عن التفاحة فى كبر حجمه
من ناحية ، وفى كثرة شواهد من الشعر والقرآن من ناحية أخرى ، ولعل هذا
ما ساعد على كبر حجم اللمع ، فقد كان ابن جنى يستشهد بشواهد شعرية
على قضاياها التى يعالجها^(١) . وكان يستشهد أيضاً بآيات من القرآن الكريم على
القضايا التى يعالجها فى كتابه اللمع^(٢) ، لقد بلغ عدد الآيات المستشهد بها فى
اللمع ٦٥ آية وجزء من آية . وبلغ عدد شواهد الشعرية ٨١ شاهداً وفى هذا
ما يدل كثرة الشواهد فى كتاب اللمع مما أدى إلى كبر حجمه مقارناً بكتاب
التفاحة لأبى جعفر النحاس .

ويتفق اللمع مع التفاحة فى الاختيار من آراء البصريين والكوفيين ، وهذا
هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى فى النحو .

ومن هنا تكمن أهمية كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ ، فهو
كتاب تعليمى صغير الحجم يخلو من الشواهد الشعرية والقرآنية ، يعرض
للموضوعات النحوية بأسلوب سهل يسير يجعله موجزاً ، اكتفى فيه مؤلفه
بعرض الأسس النحوية بعيداً عن التعقيدات التى لا طائل وراءها وبعيداً عن
مباحث التصريف والاصوات .

(١) انظر مثلاً اللمع ص ٨١ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ،
٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٥٧ ، ٣١٥ .

(٢) انظر مثلاً اللمع ص ٨٠ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ .

وقد قام هذا الكتاب على الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية بعيداً عن التعصب لأحد المذهبين على الآخر ، مادام هذا الرأي أو ذاك يتمشى مع تحقيق الهدف المنشود وهو السهولة والتيسير التي يبتغيها التعلّمون في النحو .

لقد أدرك العلماء أهمية كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس وعرفوا قدره ومكانته ، فقد جاء في صفحة عنوان المخطوط عبارة (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه ، فيه فائدة عظيمة ، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ من الأجرومية والملحة ، فهو الحقيقة بأن يقال فيه :

سهم الغناء أمضى مدى من رمحه والسيف يوم طعانه وضراجه
فعليك أيها المبتدئ في هذا الفن بحفظه وتحقيقه واتقان لفظه والله
المستعان (١) .

إن هذه العبارة وإن كانت تدل على أهمية ومكانة كتاب التفاحة لأبي جعفر النحاس المتوفى ٣٣٧ هـ من ناحية ، فإنها تؤكد من ناحية أخرى أن أهمية هذا الكتاب ومكانته قد تجاوزت القرن الرابع الهجري حتى أصبح كتاب التفاحة من أهم الكتب التعليمية على الإطلاق ، فقد فاق الملحة ، والأجرومية وكلاهما متأخران على التفاحة ، فسالملحة للحريرى ت ٥١٦ هـ ، والأجرومية لابن أجروم ت ٧٢٣ هـ ، وقد فاقت شهرة التفاحة هذين الكتائين . وفي هذا ما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور ماهر كريم من أن هذه العبارة كتبت متأخرة على النسخة المخطوطة (٢) .

(١) انظر صفحة عنوان المخطوط - كتاب التفاحة بتحقيق ماهر كريم ص ٢٨ وقد أدرجها كوركيس هواد في

هامش الصفحة ٢٠٧ من تحقيقه المطبوع بمجلة المجمع العلمي العراقي - عدد فير العادي - ١٩٦٥ م.

(٢) انظر ص ٢٨ من كتاب التفاحة بتحقيق ماهر كريم .

حادى عشر : الخاتمة :

(١) كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ يعد من أهم الكتب التعليمية فى النحو على الإطلاق وقد عرف العلماء أهميته ومكانته فى النحو التعليمى ، ووصفه النُساخ بأنه أفضل من الملحة للحريرى والأجرومية لابن أجروم .

(٢) يعد كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس من أصغر الكتب التعليمية على الإطلاق ، فهو يخلو من الشواهد تماماً باستثناء بعض الأمثلة المصنوعة ، وقد ساعد هذا على صغر حجم الكتاب وإيجازه ، ومن هنا جاء الكتاب موجزاً صغير الحجم بالقياس للكتب التعليمية الأخرى .

(٣) يقوم هذا الكتاب على الاختيار من آراء ومصطلحات البصريين والكوفيين وهذه السمة تغلب على كل المؤلفات التعليمية الأخرى فليس المهم أن يكون الراى بصرياً أو كوفياً ، ولكن الأهم أن يكون الراى يسيراً بعيداً عن التعقيدات التى لا طائل وراءها .

(٤) يشترك أصحاب المؤلفات التعليمية فى كونهم من أبرز علماء القرن الرابع الهجرى بالإضافة إلى أنهم من أصحاب المؤلفات النحوية المطولة إن صح التعبير ، فالانحياز التعليمى عندهم كان يسير جنباً إلى جنب المؤلفات النحوية الموسوعية أو المطولة ، فأبو جعفر النحاس له مؤلفات نحوية موسوعية مطولة منها : إعراب القرآن ، شرح كتاب سيبويه ، وشرح أبيات كتاب سيبويه ، وابن السراج ت ٣١٦ هـ ، له كتاب الموجز فى النحو التعليمى ، وله كتاب الأصول فى النحو ، وهو عمل موسوعى كبير يقع فى ثلاثة أجزاء ، قام بتحقيقه الدكتور عبد الحسين الفتلى ، وأعد فهارسه الدكتور محمود الطناحى ، وابن جنى ت ٣٩٢ هـ له كتاب اللمع فى النحو التعليمى ، وله مؤلفات مطولة موسوعية منها : الخصائص ،

وسر صناعة الإعراب ، والمنصف شرح التصريف للمازني ، والمحتسب
فى تبين وجوه شواذ القراءات .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن أصحاب الاتجاه التعليمى أدركوا أهمية تيسير
النحو وتخليصه من الشوائب والتعقيدات التى لا طائل وراءها ومن هنا
أخذوا على عاتقهم تحقيق هذا الهدف ومن ثم كانت مؤلفاتهم التعليمية
تهدف إلى الإيجاز فضلاً عن السهولة والتيسير .

٥- يخلو كتاب التفاحة من المقدمة ، كما يخلو الشواهد تماماً ، ولكنه يحظى
بكثير من الأمثلة السهلة المصنوعة ، وكلها أمثلة لا شذوذ فيها ولا
تعقيد ، فهى أمثلة الهدف منها تقريب المادة النحوية للمبتدئين .

٦- كان النحاس يدعو إلى القياس التطبيقى فى كتابه التفاحة ، وقد تبين أنه لم
يدع للقياس على الشواذ ، وقد كان فى دعوته للقياس على ما لم يذكره
دعوة صريحة لإعمال الفكر حتى يساعد المتعلمين على قياس ما لم يذكره
على ما ذكره .

٧- لم يعتد النحاس فى كتابه التفاحة بالسماع ولكنه أخذ بالسماع مرة واحدة
فى باب التانيث وهذا معناه أنه لم يرد أن يفتح الباب للسماع على مصرعيه
تجنباً للشاذ وأخذاً بالمطرود فى الاستعمال .

٨- اهتم النحاس بالعامل شأنه شأن المتقدمين من النحاة ، ويبدو أن ذلك راجع
لههدف تعليمى ، فقد يسأل المتبدلون عن حكم من الأحكام فى الكلمة وما
يترتب على ذلك مسن رفع أو نصب أو جر أو جزم أو حذف وما إلى
ذلك .

٩- لقد عرف التراث النحوى اتجاهات جديدة فى التأليف التعليمى بدأ بكتاب
الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩هـ ، وكتاب الموجز لابن السراج ت
٣١٦هـ ، وتوسط بكتاب التفاحة للنحاس ت ٣٣٧هـ ، وكانت نهايته

بكتايب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ ، واللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ ،
وهو يمثل نهاية القرن الرابع الهجرى .

ويعد كتاب التفاحة للنحاس واحدا من هذه الجهود التى حظى بها القرن
الرابع الهجرى وهو أكثر هذه الجهود التعليمية إيجازاً وأشدّها اختصاراً ،
وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أنه يمثل مرحلة وسط بين كتب المتقدمين وكتب
التأخرين ، ولهذا الكتاب أهمية كبرى فى تاريخ النحو العلمى فقد تجاوزت
شهرته القرن الرابع الهجرى حتى وصف بأنه أوضح من الملحة للحريرى ت
٥١٦ هـ ، والأجرومية لابن أجروم ت ٧٢٣ هـ .

المصادر والمراجع

- ١ - أبو البركات بن الأنبارى - الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٨٢ م .
- الإغراب فى جدل الإغراب ولمع الأدلة - تحقيق سعيد الأفغانى بيروت ١٩٧١ م .
- ٢ - أبو بكر الزبيدى - طبقات النحويين واللفويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٧٣ م .
- ٣ - تمام حسان - الأصول دراسة فى الفكر اللغوى - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٦ م .
- اللغة العربية مبناها ومعناها - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٥ م .
- ٤ - ثعلب - مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٨٦ م .
- ٥ - أبو جعفر النحاس - كتاب التفاحة فى النحو - تحقيق ماهر عبد الغنى كريم - القاهرة ٩١ .
- تحقيق كوركيس عواد - مطبوعات المجمع العلمى العراقى - عدد غير العادى ١٩٦٥ - من ص ٤٩٥ : ٥٢٤ .
- ٦ - جلال الدين السيوطى - الاقتراح فى علم أصول النحو - تحقيق أحمد محمد قاسم القاهرة ٧٦ .

- المزهري في علوم اللغة - مطبعة السعادة
١٣٢٥هـ.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة -
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة
١٩٦٤م .

- همع الهوامع - بيروت - د . ت

٧ - ابن جنى - اللمع في العربية - تحقيق حامد المؤمن - بيروت ١٩٨٥م .

- سر صناعة الإعراب - تحقيق حسن هندأوى
دمشق ٨٥ .

- الخصائص - تحقيق محمد على النجار -
بيروت د . ت .

٨ - أبو الحسن القفطى - إنباه الرواه على انباه النحاة - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - الهيئة العامة للكتاب
١٩٨١م .

٩ - ابن خلكان - وفيات الأعيان - تحقيق إحسان عباس د . ت .

١٠ - الزجاجى - الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق الحمد - بيروت ٨٥م .

- مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ٨٣م .

١١ - ابن السراج - الموجز فى النحو - تحقيق مصطفى الشومى - بيروت ٦٥ .

- الأصول فى النحو - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بيروت

٨٥ .

- ١٢- أبو سعيد السيرافى - أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزينى وآخرين الحلبي ١٩٥٥ م .
- ١٣- سيبويه - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٧ م .
- ١٤- شوقي ضيف - المدارس النحوية - دار المعارف ١٩٦٨ م .
- تيسير النحو التعليمى قديماً وحديثاً مع نهج لمجديده - دار المعارف ٨٦ م .
- ١٥- أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٧٤ م .
- ١٦- عارف النكدى - التفاحة فى النحو - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - الجزء الاول - المجلد ٤٢ عدد كانون الثانى يناير ١٩٦٧ م من ص ١٤٩ - ١٥٢ .
- ١٧- ابن عصفور - شرح الجمل للزجاجى - تحقيق صاحب أبو جناح - العراق - ١٩٨٢ م .
- ١٨- الفراء - معانى القرآن - تحقيق أحمد يوسف لمجائى وآخرين - دار المعارف ١٩٦٧ م .
- ١٩ - ابن كيسان - الموقفى فى النحو - تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثانى ١٩٧٥ م - ص ١٠٣ - ١٢٤ .
- ٢٠- المبرد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه - المجلس الاعلى للثئون الإسلامية - ١٩٦٣ م .

- ٢١- محمود الطنّاحي - فهارس كتاب الأصول في النحو لابن السراج -
القاهرة ٨٦ م .
- ٢٢- ابن النديم - الفهرست - بيروت - د. ت .
- ٢٣- ابن يعيش - شرح المفصل - القاهرة د. ت .

رقم الإيداع ٦٨١٥

